

مفونات الحياة



للنشر و التوزيع

#غرد_للعالم

رئيس مجلس الإدارة

م / أحمد عبدالعزیز

المدير العام

أ/رشا العمري

الطبعة الأولى

سبتمبر ٢٠١٨

سيمفونيات الحياة
رواية

محمود جناحي

تصميم الغلاف: مصطفى يونس

التنسيق والإخراج: عمرو سواح

مراجعة لغوية: نادية محمود

رقم الإيداع: 2018/16644

ISBN: 978-977-6639-17-1

دار تويطة للنشر والتوزيع

٧ شارع محمد أبو العطا- محطة العريش-

فيصل- الجيزة

هاتف: ٠١٠١٧٧٩٩٧٩٩/٠١٢٢٥٧٦٢٠٦٦

tweetpublishing2017@gmail.com

www.facebook.com/Tweetforpublish

❖ جميع الحقوق محفوظة للمؤلف وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في

أي صورة سواء ورقية أو الكترونية سيعرضك للمساءلة القانونية.

❖ هذه النسخة للقراءة الشخصية فقط ولا يجوز إعادة طباعتها أو

نشرها إلا بعد حصول على إذن كتابي من المؤلف.

يمفونيات الحياة

رواية

محمود جناحي

دار تويته للنشر والتوزيع

الخوف يشل الحياة، والأمل يطلقها؛ والغضب
يربك الحياة، والهدوء ينسقها؛ والكراهية تظلم
الحياة، والحب ينيرها؛ والمعاناة تعذب الحياة،
والبراءة تريحها؛

والألم يقتل الحياة، والسلام ينقذها...

إهداء

لكل من اهتمت لأمره ولم يخذلني...

لمن تخلوا عني وتركوني بمنتصف الطريق...

للحياة بجلوها ومرها...

للظروف السعيدة والحزينة...

لا استثنى شيئاً ولا أندم على شيء في حياتي، لأن

كل شيء حدث لي ساهم بجعلي حر ومجنون...

وأصبحت محمود عبد اللطيف جناحي

شكر وتقدير خاص ل

خالي حمدي وخالتي منال وأصدقائي الأعزاء الذين

آمنوا بي

و

أخي العزيز أحمد عبد اللطيف

و

مرفوريوس مراد

و

إسلام نجم الدين

و

إنجي القاضي

و

محمد سعد حماد

و

حسام محمد

و

هيثم خليل

و

سارة أبو ريا

و

أحمد عادل

و

أريد أن أخص بالذكر العميد السابق للمعهد العالي

للسينما بجمهورية مصر العربية:

د/ غادة جبارة

هي شمعة تحترق لأجل طلابها، تشجعهم ليسعوا وراء
أحلامهم وطموحاتهم، ليس ذلك فقط بل تساعدهم
بقدر المستطاع لتحقيق هذه الأحلام ولهذا أرادت بأن
يكون هناك تقدير واضح وصريح منى لمجهوداتها الرائعة
التي أراها تساهم بشكل كبير في تشكيل عالم طالما
حلمت به...

شكراً د/ غادة لإثباتها بأنه مازال هناك أمل بهذا

العالم...

كلمتي

في بدايات حياتي اعتقدت بأنني وصلت لمعنى القوة والكمال وفهمته جيداً، وحاولت تطبيقه بعزل وكتمان جميع المشاعر السيئة التي رأيتُ إنها تضعف من الإنسان العادي، مثل الخوف، والكراهية، والغضب والإحساس بالألم، أو أي شيء قد يسبب الشعور بالمعاناة، فالهروب من المعاناة شيء جميعنا نطمح إليه، لم أكن أعلم بعملتي ذلك لن أُصير إنسان، بل أُصير شيء آخر، شيء ليس له وجوداً، مسخ فاقد أي صلة بالعالم البشري...

لكي يصبح إنساناً، لابد من شعوره بهذه المشاعر وتفرغها إذا أراد الوصول للسلام مع نفسه، فالكتمان يولد الانفجار، وحتى إذا حاولنا دفن الكتمان، ونجحنا بذلك فسيؤثر ذلك على حياتنا، وعلى حياة من نجهم بالسلب، سنشعر دائماً بأننا لسنا على ما يرام، وإن شيئاً ما مفقود بداخلنا، وسيسبب ذلك نوبات من الغضب غير المبرر تهب علينا وعلى من حولنا، وستعود علينا بالمعاناة، نحاول جميعاً الهروب منها، لهذا لابد من قول ما نشعر به، وفعل ما يريحنا حتى لا نحيا حياة بصورة مشوهة، فالمشاعر جميعها جزء من إنسانيتنا، وكل إنسان لابد

من أن يشعر، فلا يوجد إنسان يشعر فقط، بالمشاعر الجميلة والجيدة، ويتجاهل السيئة؛ فالمشاعر هي المشاعر سواء كانت جيدة، أو سيئة فهي كيان لا يجزأ، لا يمكنك قبول ما ترغبه، وترفض ما لا تريده؛ فهذه المشاعر حتى وإن كانت كريهة وسيئة، أساس إنسانيتنا، ولا بد من تفريغها وإطلاقها للعلن من حين لآخر، فالمشكلة لم تكن في المشاعر بل في التصرف الذي ينتج عنها وكيفية التعامل معها، فكل شعور له وظيفة يحتاجها الإنسان لكن كل ما كنت أفعله هو كتمانها ودفنها بداخلي دون أي محاولة للحديث عنها، أو حتى التفكير بإطلاقها، ما فعلته كان يزيد فقط من ألمي وعذابي، فبغبائي حاولت التخلص من إنسانيتي...

لقد آن الأوان لأعود إنساناً، وأطلق العنان لمشاعري المكتومة، حان وقت ولادة إنسان من جديد...

ها هي صراعاتي وهواجسي، تخرج الآن للحياة لكم...

محمود عبد اللطيف جناحي

يمفونيات
الحياة

السيمفونية الأولى

سيمفونية حامل الموت (الميلاد)

نهاية عام ١٩٨٧ كان الشعور العام بها في الشوارع والبيوت مختلف عن أي وقت مضى، فقد كانت هناك حالة من التفاؤل والأمل لغد مشرق، بسبب ذلك الموضوع الوحيد الذي يشغل أحاديث الناس، وعناوين الجرائد بالصفحات الأولى، وشاشات التلفزيون... حملة (العلاج من حق الجميع). تلك الحملة المنظمة من قبل وتحت رعاية أهم وأكبر أربع شركات دواء في العالم، الهدف منها هو علاج غير القادر، فحص من ليس معه المال، وكل ذلك مجانًا بدون أي مقابل... وأولوية العلاج كانت لذوي الحالات الحرجة التي يتم تحديدها طبقًا لوجهة نظر الشركة، وتمّ فتح باب التسجيل بحد أقصى التاسع من أغسطس من عام ١٩٨٨. وكان لا بد من أن يتواجد التمجيد، والتهليل لمن يصله ذلك الخبر، وبالأخص الإعلاميين الذين عظموا من تلك الحملة، وصفها بالخطوة الثابتة والصحيحة تجاه الإنسانية، وكيف هم خطوا الخطوة الأولى إلى عصر العولمة، الخطوة التي تعطي أعظم المعاني لجملة حقوق الإنسان. فالتناس في كل مكان يشعرون للمرة الأولى بالتركيز على القضية الأهم؛ مساعدة الإنسان لأخيه الإنسان، كان هناك كم مهول من الشعارات، والآمال، والأحلام المشتركة لمستقبل أفضل. انتشرت حالات الفرح والسعادة بين الفقراء لأنهم لوهلة شعروا بوجود أهمية لهم في العالم، وكيف إنهم أخيرًا أصبحوا أصحاب حقًا في الحياة، ونسى الجميع أن الحقيقة كما هي عادت دائمًا ليست جميلة، فهناك دافع خفي لتلك الشركات تستغل تلك الحملة من أجله، فشركة

منهم تريد أن تجد عينات من البشر حتى يكونوا حقل تجارب لعلاجات أولية، هربًا من انتظار حصول الموافقة من إدارة الصحة لبدء الاختبارات البشرية، ودعنا لا ننسى الهروب من المسئلة القانونية في حالة فشل العلاج، لأننا كما نعلم الفقراء، ليس لديهم من يحميهم. أما هدف وحلم الشركة الثانية، إيجاد فيروس جديد ونادر لتصنع له العلاج، حتى تنشر الفيروس بشكل أكبر بين الناس، وتصبح من خلاله المسيطرة على العلاج.

بالنسبة للشركة الثالثة كانت تبحث عن حقل تجارب لكي تستكشف مدى فعالية بعض الفيروسات التي صنعتها، كيفية التحكم بها، والسيطرة على انتشارها، وما مدى سرعة العلاج المضاد، ليضمنوا تحكمهم بالتجربة وعدم خروجها عن السيطرة. أما أبشعهم وأفظعهم كانت الشركة الأخيرة، الشركة التي تدعى (كيور)؛ فهدفها الحصول على عينات مميزة من البشر ذات الجينات السليمة، أقول عينات لأنها لا تنظر إليهم كبشر...

حلم شركة (كيور)، إيجاد الإنسان الكامل الذي خلقه الله دون أي عيوب أو شوائب، قد تظهر، وتؤثر على قدرته بالمستقبل، والذي كان يساعد الشركة ببحثها هو نجاحها في اكتشافها الخريطة الجينية للإنسان قبل أي شركة بالعالم، فقد كانت هذه قفزة كبيرة في العلم، فلم يكن من المتوقع الوصول لهذا الإنجاز الآن، ربما بعد عشرين عامًا على الأقل.

من خلال هذه الخريطة استطاعوا التوصل لطرق فحص مثالية، تمكنهم من تحديد الإنسان الكامل، وكل ذلك من أجل برنامج خاص بهم يدعوهم (الأبناء السبعة). وما جعل ذلك الموضوع أفظعهم هو بحثهم عن الإنسان الكامل بملاحي الأيتام واختيارهم للأطفال، الذين لا يزيدون عن ثماني سنوات...

كان الفقراء والأيتام بالنسبة للشركات الأربعة مجرد سوق للتسويق، يتم اختيار ما يناسب احتياجاتهم لمشروعاتهم المستقبلية، وعند الانتهاء منهم يتم التخلص من تلك فئران التجارب دون أي رحمة أو شفقة، فالفقراء والأيتام ليس لديهم من يفتقدهم.

* * *

فتحت الحملة أبوابها بأول أيام عام ١٩٨٨، كان في كل مستشفى ركنًا خاصًا لحجز موعد للكشف، وهناك أيضًا حملات مكثفة بالشوارع الفقيرة، لمن لا يستطيع الذهاب إلى المستشفى. ولكن شركة (كيور) لاختلاف اهتمامها نظمت حملات الفحص بملاجئ الأيتام، وعملت على مدار الأربعة وعشرين ساعة، فهدفها هو الأصعب، والعذر الذي استخدمته الشركة لدخول الملاجئ بأي وقت، إنها تريد تغطية أكبر عدد ممكن من فحوصات الأطفال قبل انتهاء وقت الحملة. كان السباق مع الوقت صعبًا لشركة (كيور) لكنها نجحت ووجدت غايتها فبعد مرور سبعة أشهر ونصف من عمليات البحث والفرز، أصبح لديها الآن عشرون طفلًا، وذلك كان أكبر من الهدف المطلوب مما سبب سعادة وارتياح داخل الشركة.

بنهاية يوم التاسع من أغسطس بإحدى الملاجئ، كانت حملة شركة (كيور) على وشك الرحيل عندما استوقفها إحدى المربيات بالملجأ التي تحمل طفلًا لديه ثماني أشهر، تريد أن تعطيه للطبيب المسئول.

المربية:

"لقد أتى ذلك الطفل للتو، أرجوك أكشف عليه"

ينظر الطبيب في ساعته ليجد وقت الحملة انتهى، تلاحظ المربية ذلك

فتقول، وتحمل عينها نظرات الاستعطاف:

- "أرجوك فهو طفل صغير حديث الولادة، سيحتاج إلى كل العناية المتوافرة... ولن يأخذ ذلك الكثير من وقتك"

فيضع الطبيب يديه على لحيته ويمسكها ثم يهز رأسه بالموافقة، يشير لأعضاء الحملة بإحضار الأجهزة الطبية من السيارات التي بالخارج، وتوصيلها لعمل الفحوصات، وأخذ العينات اللازمة...

* * *

انتهت الحملة بنجاح ساحق، نجاح فاق جميع التوقعات التي وضعتها الشركات الأربعة، ولم يعلم أحد نيتهم السرية من وراء الحملة.

يأتي اليوم الموعود ١٢/٨/١٩٨٨ لرئيسة شركة (كيور) لأخذ الخطوة الأولى ببرنامج (الأبناء السبعة).

رئيسة شركة (كيور) تدعي (إليزابيث مورجان) في السابعة والعشرين من عمرها، ترتدي دائماً في مناسبات العمل بذلة سيدات الأعمال، تحب اللون الأزرق الداكن حتى يتناسب مع لون عينها الأزرق. متوسطة الطول، ذات شعر ناعم متوسط الطول، ذهبي اللون، ليست ناصعة البياض وليست سمراء، تمتلك ملامح ساحرة كنجمات السبعينات، صاحبة ابتسامة مذهلة، تحمل بها نوع من القوة الذي يختلط بالرعب، فقد تثير أحياناً القشعريرة في جسد الناظر إليها الذي يشعر بأن شيئاً ما ليس على صواب مع هذه السيدة، يمكنك أن تعرف على الفور من خلال النظر إليها، إنها خالية من المشاعر باردة كالثلج، امرأة لا تعرف أي معنى للرحمة، قاسية القلب، تفعل ما ينبغي لتصل إلى مرادها دون أي ندم أو خوف، لديها نوع من النرجسية تحب أن تظهر إنها الأجمل، ولا تقبل فكرة تواجد من هي

أجمل منها، تحب التحكم، واللعب بالرجال... كانت كلوحة زيتية جميلة تنظر إليها من بعيد ولكن عندما تقترب تكتشف إنها خالية من المشاعر...
تخرج (إليزابيث) حاملة الملفات التي تظهر من طرف حقيبة يدها الشخصية، وقبل اتجاهها للمصعد يستوقفها مساعدتها الشخصي، وهو يمسك ملف بيده.

المساعد:

"سيدة (مورجان) دقيقة من فضلك، فهناك ملف آخر"

تأخذ (إليزابيث) الملف منه:

"ولماذا لم يتم تسليمه مع الملفات الأخرى؟!"

"لأنه، تم إلحاق ذلك الطفل في آخر يوم للحملة، وكما تعلمين نتائج

الفحوص تأخذ وقتًا"

فتتح (إليزابيث) الملف، تنظر إلى البيانات الأولية للطفل لثانية ثم تتوقف

عند القراءة:

"ما هذا؟!... ثمانية أشهر؟!"

"لكن انظري سيادتك، لنتائج الفحوصات، فسوف تثير إعجابك"

فتقلب بالأوراق وتنظر إليها بتمعن، تبسم وتهز رأسها بالموافقة وهي تضع

الملف في الحقيبة ثم تشير بيدها لمساعدتها بالانصراف، وتركب المصعد...

* * *

تذهب (إليزابيث) إلى وسط المدينة لمقابلة رجل غامض، صاحب سلطة

كبيرة، يحيا ببنائة فارهة للغاية، تخاطبه دائماً بسيدي دون أي أسماء لكنها مقربة

منه للغاية، وذلك يتضح من طريقة التعامل معه، فهي تتعامل معه دون خوف أو

توتر.

تدخل (إليزابيث) مكتب ذلك الرجل الذي كان بالدور العشرين، لا يوجد أي صوت بذلك الدور، ولا أحد لاستقبالها، ولا يمكن لأحد الصعود إلى هذا الدور إلا من خلال إدخال الشفرة السرية بالمصعد. ومنذ لحظة خروج (إليزابيث) من المصعد كل ما يتم سماعه صوت أقدامها تتقدم نحو غرفة مكتب في غاية الضخامة، لا يوجد بها مقاعد، أو أماكن لجلوس الضيوف، يوجد فقط مكتباً والكرسي الجالس عليه، ذلك الرجل، والباقي مجرد ديكورات فنية، ولوحات غالية، وتمائيل أثرية من الطراز الروماني. الإضاءة الوحيدة بالمكان، كانت إضاءة الأباجورة الموجودة على مكتبه، وضوء القمر الساقط من خلال النافذة الضخمة التي عبارة عن الحائط الخلفي لمكتبه يمكن من خلالها رؤية المدينة في أجمل صورها، يحضنها القمر أعلاها، وبالرغم من كل هذه الإضاءة، لا يمكنك تبين ملامحه، فالظلال تغطي وجهه بالكامل...

تخرج (إليزابيث) الملفات وتضعها على المكتب، وتبتسم:

"لقد تم الأمر، هؤلاء هم المرشحون"

يمسك الرجل الملفات، يتفحصهم بسرعة وتكمل (مورجان) كلامها:

"معك واحد وعشرون طفلاً تم اختيارهم بعناية فائقة من جميع الملاجئ،

التي دخلناها، وكل طفل منهم يرتقي لاسم الإنسان الكامل، فنحن أمام أفضل عينة مختارة من ٨٧٥ ملجأ أيتام، وتم عمل اللازم للتأكد من عدم السؤال عليهم في المستقبل"

يغلق الرجل الملفات، وينظر إليها:

"جيد، النتائج مبهرة كما المتوقع... معك الضوء الأخضر للبدء بالمرحلة

الأولى لبرنامج (الأبناء السبعة)"

يعود الرجل الغامض بظهره إلى الخلف:

"من الآن سيكون اسمك الحركي بالبرنامج (الأم)... وستخاطبيني باسم (الأب)... ومقر التأهيل سيعرف باسم (جنة عدن)... ولا بد من اطلاعي بجميع المستجدات والأحداث، فلن أسمح بحدوث أي خطأ" يقول الجملة الأخيرة بنوع من الحزم والقوة.

"بالتأكيد أيها (الأب)" تقولها (الأم) مع هزة بسيطة بالرأس دليلاً على الموافقة.

"اذهبي وأبدأي أيتهما (الأم)"

"سيتم رفع أول تقرير عندما نستقر - (جنة عدن)"

يهز الرجل يده اليمنى لتذهب...

ترحل (الأم) من المكتب، ثم تخرج هاتفها المحمول، وتتصل بشخص:

"لدينا الضوء الأخضر، أبدأوا" ثم تغلق الهاتف...

كان في ذلك الوقت أمام كل ملجأ من الواحد وعشرين تقف سيارة سوداء، تراقب الملاجئ منذ لحظة وصول نتائج الفحوصات لمراقبة المختارين للبرنامج...

يخرج من كل سيارة شخصان يتجها إلى الملجأ، الذي كانوا يراقبونه ويطلبوا من مدير كل ملجأ إعطاءهم الطفل المطلوب بحجة إنهما من شركة (كيور)، وأن الطفل لديه مرضاً خطيراً وقد يموت في أي ثانية ولا بد من إلحاقه بمستشفى خاصة تستطيع علاجه، ويتم تسليم الأوراق التي تؤكد كلامهما، لا يملك أي من

المديرين رفاهية الرفض، لهذا يبدؤوا باتخاذ الإجراءات المطلوبة لإلحاق الأطفال بالمستشفى المكلفة بعلاج الطفل على نفقة شركة (كيور). ويتم البدء بتسليم الأطفال للمستشفيات، وأصعب تسليم كان الطفل ذو الثمانية أشهر، فالمربية المكلفة برعايته تعلقت به بشدة، وكانت تبكي عندما علمت أن لديه مرضاً خطيراً، وعند لحظة التسليم أشد البكاء، وقبل تسليمه قبلت جبهته، همست بصوت ضعيف وحزين بأذن الطفل:

- "يا مسكين... لم يكتب لك الراحة والسعادة لكني على يقين بأن وقتك المتبقي سيصنع فارقاً بالحياة".

* * *

يتم تسجيل دخول الأطفال بسجل المستشفى، يتم بقاء الأطفال بها لمدة أسبوع قبل كتابة شهادات الوفاة المزورة لهم، فكان ذلك الأمر سهلاً، فجميع هذه المستشفيات ملك شركة (كيور)، وذلك ضمن خطة موضوعة لمسح أثار الأطفال كخطوة أولى... الخطوة الثانية بعد مرور خمس سنوات يتم تدمير شهادات ميلادهم، وجمع كل شيء يثبت أي وجود لهم بالعالم وتدميره حتى شهادة الوفاة المزورة لمنع أي محاولة تتبع لهذا الحدث بالمستقبل، ومحو أي معلومات من تاريخ العالم عن الأطفال.

ينقلوا الاطفال إلى المقر المخصص لهم الذي أطلق عليه (الأب) اسم (جنة عدن)، ذلك المكان كان عبارة عن حدائق ضخمة مقسمة بعناية فائقة على مساحة تقدر بحوالي ١٢٠ فدان، في منتصفها المباني التي يعيش بها الأطفال، ومباني الحراسة، ومراكز التدريب والتأهيل اللازمة للوصول إلى الهدف الذي يرغبه (الأب). يحيط ب(جنة عدن) سور ضخمة للغاية وأعلاه أسلاك شائكة، معلق عليه لافتة

مكتوب عليها (احترس تيار كهربائي عالي)، وأعلى السور كاميرات مراقبة مع وجود أبراج حراسة بها أشخاص يحملوا أسلحة نارية ثقيلة. فههدف (الأب) من المكان إنشاء بيئة محكمة الصنع لضمان عدم وجود أي تأثير من العالم الخارجي قد يؤثر بالنتائج، يريد تربية الأطفال في عالم متميز يتيح لهم الارتقاء بإمكانياتهم للدرجة القصوى التي يضمنها تفوقهم الجيني، وأيضاً جعل الأطفال مثل الصلصال ليتم تشكيلهم كما يرغب (الأب)...

* * *

بعد مرور شهر على وجود الأطفال بـ (جنة عدن) تجتمع (الأم) بالفرق المختصة بعناية الأطفال، الذي يتكون من أفضل الأطباء النفسيين، وأفضل الأساتذة في التعليم سواء مواد علمية، أو مواد لها علاقة بفنون القتال، وبعض من القادة العسكريين الذين تم إحالتهم للتقاعد. وكانت (الأم) تهتم أكثر برأي الأطباء النفسيين في تلك الفترة، تركز على وجود تحليل نفسي صحيح وكامل للأطفال، يمكن من خلاله إيجاد نقاط الضعف بشخصياتهم ومعالجتها ومتابعة التأثيرات والتغيرات الناتجة عن برنامج التدريب والتأهيل. فكل ما يهم (الأم) تخمين وتحديد الحلقة الضعيفة بالسلسلة حتى تستطيع تفاديها أو وضعها تحت السيطرة، فنجاح البرنامج هو أمر مفروغ منه...

يجلس الجميع على طاولة الاجتماعات المستطيلة و(الأم) على رأس الطاولة وعلى يمينها الأطباء النفسيين وعلى يسارها الأساتذة والعسكريين.
(الأم):

- "قبل البدء أذكركم بقواعد الاجتماع... الجانب النفسي لديه أولوية الكلام، والجانب التعليمي لديهم حق الرد الذي يحدد طلباتهم المطلوبة بالمستقبل،

لكي نتفادى أي عقبة تمنعنا من الوصول لما نريد، ثم يرد الأطباء النفسيين بالعلاج المناسب لنصل إلى هذه المتطلبات... وأعلم بأن الجانب التعليمي، وخصوصاً العسكري لم يتم له التعامل مع الأطفال بعد لكن هذا الاجتماع من أجل عمل التعديلات اللازمة لإنجاح الخطة التي سبق وضعها مع الجانب العسكري"
ثم تصمت (الأم) قليلاً، تنظر لوجوه الجالسين حولها لكي ترى إن كان هناك أي اعتراض على كلامها، لا تجد أي مظاهر على الاعتراض.
(الأم):

"-دعونا نسمع التحليل النفسي للأطفال"

تنظر (الأم) إلى الطبيب (توماس جولد) رئيس الجانب النفسي، أكفأ الأطباء النفسيين المتواجدين على الساحة، فلديه قدر كبير من المعرفة والخبرة، سنه ٦٠ عاماً، شعره متوسط الطول أبيض خفيف، لديه لحية بيضاء مهذبة بشكل مناسب، يرتدي نظارة نظر، دائم الحركة بيديه، والإمساك بنظارته عندما يندمج بالحديث...

(توماس جولد) شخصية غريبة، مشارك فقط ببرنامج (الأبناء السبعة) من أجل المعرفة، وليس الاهتمام بالأموال الطائلة التي يحصل عليها، معروف عنه في مجال الطب النفسي بتجاربه المثيرة للجدل التي تبدو غير آدمية، وخالية من أي تعاطف مع المرضى التي كانت السبب في سحب رخصة مزاوله الطب النفسي منه...
(جولد):

"-كما تعلمي سيادتك إننا نريد الأطفال أن يشعروا كأنهم أطفال عاديين لذلك خلقنا وهم يستطيعوا التعايش به داخل (جنة عدن) وهو إنهم أخوة...
والحقيقة أن بعضاً منهم لا يهتم بذلك، والبعض الآخر بمرحلة عدم التصديق،

وأخرين ابتلعوا الوهم... أما بالنسبة للتحليل النفسي للأطفال، لا يوجد أي شيء يثير الاهتمام حتى الآن، فهم لم يعطوا أي ملامح قد تشير لأي شيء، ولكن هناك ستة أطفال لفتوا الانتباه وأحب أن أذكرهم"

يفتح (جولد) الملفات التي أمامه، وهو يقول:

"لنفتح ملفات الجلسة الأولى التي أمامنا"

يفتح الجميع الملف الأول الموضوع أمامهم و(الأم) كذلك التي تنظر إلى الصور المرافقة مع الملف وتتأملها، فهي صور للطفل كاملة من الرأس إلى القدم من جميع الزوايا، تجد (الأم) أن ذلك الطفل يتميز بجسد أضخم مما يمتلكه أي طفل بعمره، ذو شعر أسود قصير للغاية، لديه نظرة تحمل الألم والحزن بعينه تشعر منها إنه من نوعية الناس التي تحيا كل يوم دون أي أمل أو طموح، تريد فقط مرور اليوم بسلام، ولا شيء أكثر من ذلك.

يكمل (جولد) كلامه:

"الطفل رقم ١ لديه ٨ سنوات، يتميز بالعزلة والوحدة، لا يتفاعل مع الآخرين ولا حتى معنا... قليل الكلام، يتجنبنا بقدر المستطاع، ومن أجل الوصول لسبب تلك الحالة، استعنا بملفاته القديمة بالملجأ التي ساعدتنا بالوصول للتفسير التالي... حب الطفل للعزلة والوحدة نتيجة لامتلاكه جسد ضخم وكبير... أكبر مما ينبغي لطفل بعمره... وذلك أدى إلى سخرية بعض من زملائه بالملجأ، وابتعاد الباقي عنه خوفاً منه مما نتج عنه اختيار الطفل للعزلة والبعد عن الناس، لكي لا يسمع ما لا يحب أو يرى ما لا يريد بأعين الآخرين"

ينصت رئيس الجانب العسكري الذي يدعى (سام جوزيف)، كولونيل سابق بالجيش الأمريكي تم تسريحه بشكل غير مشرف بسبب أفعاله غير الأدمية

والتي تتسم بالعنف الشديد خلال حرب فيتنام، وكاد أن يصنف مجرم حرب لكن البنتاغون لم يكن يريد تشويه نظرة العالم للجيش الأمريكي...
(سام جوزيف)، شخصية قوية يستطيع الصمود أمام أصعب الظروف، لا يفقد تركيزه، يرى أن العدو لا يستحق أي نوع من الرحمة، وأن من ليس معه هو ضده، أصلع ذو ملامح قاسية وشديدة، لديه ٥٠ عامًا، مشدد القامة، تجد العروق واضحة في جسده من كثرة التمارين الرياضية، لديه جسد مثل المصارعين، لا يعترف بتأثير السن أو الظروف على الإنسان، شعاره في الحياة... الإنسان هو المسيطر، والضعيف هو من يسمح لأي شيء بالتغلب عليه...
(جوزيف):

"لا أرى أي مشكلة هنا... مع بعض الرياضة، وتعليم فنون القتال، سيتغلب على ذلك والوقت مبكر لاتخاذ أي طريقة أخرى للتصرف معه"
(الأم):

"هل يختلف أحد بالرأي؟"

فيرد الجميع:

"لا"

تشير الأم للدكتور بالاستمرار ويفتح الجميع الملف التالي، ينظرون إلى الصور وبعض الأطباء يشعروا برعشة من الرعب والخوف، فذلك الطفل يمتلك الخواص الجسدية للطفل رقم ١ لكن عينيه وطريقة نظره إلى الكاميرا تشعرك بالظلام الكامن داخله، لا يوجد بها أي إحساس بالحياة كما لو كان شيئًا غريبًا من عالم آخر...

(جولد):

"الطفل رقم ٢ يثير لنا القلق من الناحية النفسية، فهو يشبه الطفل رقم ١ بنفس الظروف، نفس البنية الجسدية، نفس السن لكن طريقة تعامله مختلفة، فهو اختار القسوة، والرد على من يسبب له الأذى... يحب عمل المقالب المؤلمة للآخرين، ينظر للأطفال الآخرين ومن حوله على إنهم أشياء يلعب بها من أجل إرضاء حسه السادي والغريب"

يضحك (جوزيف):

"لا أرى ما المشكلة هنا، فذلك مثال جيد على ما نريد"

(جولد) يقاطعه في حالة دفاعية:

"لكن هذه الحالة ستكون ذات مؤشرات خطيرة، فسوف تتطور مع الوقت إلى الأسوأ، ونحن متأكدون من إنه سيصبح صعب السيطرة عليه بالمستقبل، لأنه لا يهتم بأي شيء سوى إشباع شعوره المرضي"

(جوزيف) بحزم وشدة:

"الانضباط والعقاب سيعرفه من المسئول، وسيضمن عدم خروجه عن

السيطرة".

تجد (الأم) النقاش يشتد مع بعضهم البعض فتدخل:

"يكفي" وهي تضرب يديها على الطاولة

تكمل كلامها:

"لنضع الأمر بالاعتبار ونجعله تحت الملاحظة وخلال ذلك الوقت نستخدم

الانضباط والعقاب، ونشاهد إذا كان هناك تغيير أم لا؟"

يهز الجميع رؤوسهم بالموافقة.

(الأم) بنبرة مرتفعة بعض الشيء وبها شدة:

- "التالي"

يفتحوا الملف التالي ويجدوا إنها طفلة ذات جمال خلاب، لديها شعر أصفر كالذهب ناعم كالحرير، كثيف وطويل، تمتلك عيون زرقاء. ومجرد النظر إلى صورتها بأسرك في عالم جميل مثالي لا تريد الاستيقاظ منه. تلاحظ (الأم) بطرف عينيها أن بعضهم يحاول أخذ تلك الصور لكنها لا تفعل شيئاً وتتصنع التجاهل بالرغم أن الغضب والانزعاج يملأها.

(جولد):

- "الطفل رقم ٣ أو الطفلة بالأصح... لديها ٦ سنوات تتميز بروح ساحرة، تستطيع ملأ قلبك بالحب والمشاعر البريئة التي افتقدناها، تجعلك تشعر بأمل، وتفتح قناة تتصل بعالمك الخيالي، تعود معها إلى الأحلام المنسية والمفقودة من ضجيج الحياة، تخطف الأنظار سواء كان بسبب شكلها الجميل أو روحها الخلابية، لديها اهتمام كبير وشديد بسيادتك، فهي تنظر إليك كالأم والقودة التي يجب أن تحتفي بها وتحلم أن تصبح مثلك بيوم من الايام"

يرد أحد الأطباء:

- "ومن من النساء لا يحلم بأن يكون مثل سيادتك؟"

تضحك (الأم) ضحكة خفيفة، فهي تحب مثل هذه الأمور التي ترضي غرورها وتشبعه.

(جوزيف):

- "نرى مع بعض من التدريب الخاص سوف يستخدم ذلك الجمال كميزة كبيرة، وسيصبح في صالح البرنامج"

تهز (الأم) رأسها بالموافقة على الكلام:

- "التالي"

يمسك الجميع الملف التالي، ينظروا إلى الصور، يجدوه طفل ذو جسد متوسط الحجم والطول، ذو شعر ذهبي ناعم، عينيه خضراء كحجر الفيروز، والإحساس العام المتولد من النظر إلى الصورة، إنه طفل وسيم يمكنه الظهور على شاشات التلفاز والإعلانات مما يثير عدم ارتياح مبدئي لدى الجانب العسكري.
(جولد):

- "الطفل رقم ٤ لديه ٦ سنوات، لا يملك رغبة الطمع أو الأنانية البريئة التي تتواجد في كل الأطفال، يحب الجميع بلا استثناء، اجتماعي، لا يريد سوى رؤية السعادة بعيون الجميع حتى وإن كانت على حسابه الشخصي، يحب الوقوف مع الآخرين مع إنه لا يتكلم كثيرًا، ظننا في البداية أن السبب هو حب استماعه للآخرين لكن اكتشفنا فيما بعد أن السبب شعوره بالخجل الشديد، فهو لديه مشكلة بسيطة من التلعثم في الكلام يمكن التغلب عليها من خلال العلاج النفسي المناسب، يحاول دائمًا بقدر المستطاع أن لا يشعر الآخرين بحضوره وذلك بتجنب النظر بأعين الآخرين أو الوقوف في صمت"

يصمت (جولد) قليلاً ويضبط نظارته:

- "في حياتي كطبيب نفسي أنا وزملائي لم نرى مثل هذا الطفل في انعدام الأنانية وطيبة القلب، إننا يمكننا القول إنه لا يعرف معنى لكلمة الكراهية أو الحقد أو حتى الطمع"

تنظر (الأم) إلى الجانب العسكري منتظرة تعليقه لكنها ترى وجوههم تعبر على عدم الارتياح والضييق، فتقول لـ(جوزيف):
- "ما الأمر؟"

- "ذلك الطفل سوف يشكل مشكلة إذا استمر هكذا... فإنه لم ولن يستوعب الأفعال المطلوبة منه وسيخيب ظننا بأي شيء يكلف إليه، فالأنانية والطموح والطمع هي ما يحفزنا لكي نكون الأفضل لكن طفل مثل هذا لا يريد شيء من الدنيا سوى سعادة الآخرين... كلام فارغ وسيكون نقطة الضعف بالبرنامج إذا تم إلحاقه".

- "حسنًا، فلنضغط عليه أكثر من الآخرين حتى نعالج تلك المشكلة، وإذا لم ينجح ذلك نزيد الضغط أكثر حتى نضمن عدم وصوله لبرنامج (الأبناء السبعة)"
تنظر (الأم) يمينًا ويسارًا، لا تجد أي تعليق، فتشير بيدها بالاستمرار، وتمسك بالملف التالي وتنظر إلى الصور، تجد طفل رفيع الجسد ووجه مستطيل بعض الشيء، ذو أعين واسعة تحمل نوع من الطموح والتحدي.
(جولد):

- "الطفل المعروف برقم ٥ لديه ٤ سنوات، لديه أغرب ميزة بالنسبة لطفل في مثل عمره، ممتلئ بالطموح والآمال، لديه الكثير من الأحلام والأهداف التي يحلم بتحقيقها والأغرب ثقته بذاته، يري نفسه قادرًا على قهر المستحيل..."
يقاطعه (جوزيف):

- "وما دليلك على ذلك؟"
- "دليلي على ذلك، إنه الطفل الوحيد الذي رأيتته يهتم بنتائج امتحانات القدرات"

- "وهل هذا شيء غريب؟" ثم يضحك (جوزيف) في سخرية
- "غريب عندما يهتم بنتائج الآخرين، ومحاولة فهم لما الآخرين أفضل منه، وكيف يمكنه التحسين من نفسه ليكون الأفضل بلا منازع، إنه حتى يأخذ ملاحظات

علينا ليفهمنا ويحللنا نحن الأطباء، فهو يريد أن يمتلك القدرة على تحليل من أمامه"

تبتسم وجوه الجانب العسكري كلهم، ينظر (جوزيف) إلى (الأم) وهو يقول بكل سعادة وفرحة:

"- ذلك الطفل سيكون بالتأكيد ضمن (الأبناء السبعة)
(الأم):

"- الأمر مبكرًا لقول مثل هذه التكهينات لكننا سنأخذها بعين الاعتبار"
تمسك (الأم) بالملف التالي وتنظر إلى الصور، تجد طفل نحيف للغاية، ذو شعر أسود وبه خصلات أمامية فضية اللون، لون عينيه عسلي وتبدو السداجة عليه بعض الشيء.

يشير (جولد) بيديه إلى الملف:

"-الطفل رقم ٦ لديه ٣ سنوات، لكنه ليس مثل أي طفل آخر، ذو ذكاء خارق ومرتفع بالنسبة لطفل، يحقق أرقامًا قياسية بجميع الاختبارات، وليس على مستوى (جنة عدن) بل على مستوى العالم، فلا يوجد طفل آخر بالعالم حقق مثل هذه الأرقام باختبارات الذكاء، لكنه ساذج ويؤمن بشدة بفكرة العائلة، ابتلع وصدق الوهم الذي خلقناه... يعامل الآخرين كأنهم أخواته، يظن أنك والدته البيولوجية، وذلك نبع من شعوره بالحرمان، فهو يفتقد العائلة والحب"

يشرب (جولد) كوب من الماء ثم يكمل كلامه:

"- كان الجميع يعامله بسوء في الملجأ، وكان لديه ذلك الحلم، عودة عائلته إليه، وإنقاذه مما هو فيه، ونحن أكدنا ذلك الحلم عندما أخذناه، فمعاملتنا الحازمة معه تعد أفضل بكثير من معاملته بالملجأ، لديه ثقة كبيرة بعائلته... أي

نحن، يتمتع بسداجة كبيرة للغاية تجعله هدفًا مفضلًا للطفل رقم ٢ لعمل المقابل المؤلمة، وبالرغم من ذلك ينظر إليه الطفل رقم ٦ كأخ جدير بالثقة، يبرر ما يفعله به... مزح مؤلم وثقيل"

(جوزيف):

"لا يوجد أي تعليق الآن فالصورة غير واضحة... ولكن مع مرور الوقت

سوف تتضح أكثر"

(الأم):

"حسنًا... أهنأك شيء آخر؟"

(جولد):

"نحن نحب أن نؤكد، إذا تم التعامل مع هؤلاء الأطفال... ما عدا الطفل

رقم ٢ و ٤ على النحو الذي تم الاتفاق عليه فسيكونون بنسبة كبيرة من ضمن

(الأبناء السبعة)"

تضع (الأم) يديها الاثنتين على الطاولة وتقول بكل هدوء:

"أريد منكم التالي، أن يُشار إلى هؤلاء الأطفال الستة بالأسماء المؤقتة

التالية، طبقًا للصفة الغالبة بشخصيتهم التي تم رصدها من تقارير الجانِب

النفسي، الطفل رقم ١ سيدعى (سلام)، ورقم ٢ (سادي)، ورقم ٣ (هدوء)، ورقم ٤

(حب)، ورقم ٥ (أمل)، ورقم ٦ (براءة)"

قبل أن تنهض (الأم) من مقعدها يقول (جولد):

"هناك أمر آخر نريد التحدث به سيدتي؟"

فتجلس (الأم) وتنظر إلى (جولد):

"تفضل، ما هو؟"

- "إنه بخصوص الطفل الصغير ذو الثمانية أشهر، كيف نتعامل معه من حيث القواعد واللوائح؟ فلا يوجد شيئاً مكتوباً لمثل هذه الحالة، فنحن لا يمكننا محاسبته أو حتى امتحانه!"

فترفع الأم يديها في الهواء، وتشير بأصبعها إلى (جولد):

- "جيد أنك فتحت ذلك الموضوع... كما تعلموا يا سادة هدف البرنامج الحصول على سبعة أبناء من خلال عقد امتحانات بنهاية كل عام، وأقل اثنين في الدرجات يتم الاستغناء عنهما، ومن يحصل على المركز الأول له الحق بتحقيق طلب له، إذا كان لا يخالف اللوائح، لهذا قررت البدء بمحاسبة الطفل عندما يصل إلى سن الثالثة."

(جولد) في حالة من الاستغراب:

- "ولكن سيدتي... هذا ليس عدلاً، فعندما يصل إلى سنة الثالثة ستكون الامتحانات تفوق قدراته الذهنية، فالآخرون سيكونون متقدمون عليه من ناحية الخبرة!!"

(الأم) ببرود شديد يسبب الرعب:

- "ومن قال إن الحياة عادلة؟ إذا لم يستطع التعامل مع ذلك، فهذا دليل إنه لا يصلح لبرنامج (الأبناء السبعة)، ونحن لا نريد سوى الأفضل مهما كانت الظروف والأسباب"

تلاحظ (الأم) أن (جولد) مازال يريد الحديث في ذلك الموضوع لهذا تقول بكل حزم وشدة قبل أن يفتح فمه:

- "لقد أغلق الموضوع على ذلك، ولا أريد سماع المزيد عنه... انتهى الاجتماع"

ثم تنهض (الأم) من مقعدها حاملة الملفات، وتخرج من غرفة الاجتماعات...

بالرغم ما كانت تخلقه (جنة عدن) كبيئة مغلقة، كان هناك حالة غريبة بين الأطفال لا يستطيع الجانب النفسي إيجاد تفسير لها، وهي عدم تفاعل الأطفال مع بعضهم، كان هناك شعور بشيء ما مفقود من المعادلة لكن ذلك لم يكن يؤثر على أدائهم بالاختبارات الذهنية والرياضية، فهي تسير كما ينبغي لهذا فقدوا الاهتمام بهذه المشكلة...

تمر ثلاث سنوات، ونصبح في عام ١٩٩١ وقد حدث الكثير من الأحداث والتطورات في الأطفال طوال هذه الفترة، تتلخص في مجموعة تقارير الاجتماعات السابقة التي كانت كالتالي:

اختفاء ستة أطفال بمعدل اثنين كل عام نتيجة لحصولهما على أقل درجات، وكان صاحب المركز الأول دائماً الطفل رقم ٦ (براءة)، ومعه يحصل على طلبه الخاص الذي يتم تحقيقه، وكانت طلباته متعلقة ببعضها البعض، أشياء لها علاقة ببرنامجه التلفزيوني المفضل الذي كان مسيطراً عليه وعلى أفكاره ويشغل باله دائماً، برنامج (المبدع ستيفن)، برنامج موجه للأطفال وكان في غاية الشهرة بوقته، يقدمه شخص يرتدى بذلة ديناصور لونها أزرق، تخفي معالم الشخص، ويبدو كما لو كان شخصية ديناصور كارتونية، قد يكون البرنامج غير ملائم لطفل يمثل ذكاء (براءة) لكنه كان كافي برسم السعادة على وجهه، يري به الحياة الوردية الجميلة التي طالما حلم بها...

المركز الثاني كان دائماً من نصيب الطفل رقم ٥ (أمل)، الذي يحاول بشدة كل عام الحصول على المركز الأول بتكثيف جهوده بالمذاكرة والتدريب لكنها كانت دون فائدة، فلا يوجد أحد يمثل كفاءة وذكاء (براءة)، ولكن كل ذلك لا يحبط من عزيمة وطموح (أمل) لأن يكون الأول والأفضل. ف(أمل) يريد أن يكون الأول مهما حدث وبمجهوده الخاص، دون أي طرق مختصرة أو أي شيء يمس بميثاق شرفه، فالشرف والواجب أهم أشياء تعلمها وتعلق بها من خلال أستاذ فنون القتال (جون براد)؛ فهو أستاذ فريد من نوعه لا يعلم فقط فنون القتال بل يعطهم دروس بالتاريخ، يشرح لهم كيف أن أشخاص عاديين أصبحوا أعظم القادة بالتاريخ، وما هي النجاحات والسقطات التي مروا بها. وكل ذلك كان يلامس الوتر الحساس ب(أمل)، فهو أحس كأنه يتحدث إليه، مما جعله يتخذه قدوة ومثل أعلى له، يري ب(براد) إنه الشخص الذي باستطاعته تسليمه مفاتيح وصوله لأماله وأحلامه، وأصبح يريد بشدة أن يثبت ل(براد) إنه لا يقل شيئاً عن هؤلاء العظماء. ورأي (براد) شيئاً ب(أمل)، فهو لديه كل شيء تميز به أعظم القادة، لديه الشرف، الواجب والسعي نحو التميز، ف(أمل) يطمح بالخلود في التاريخ، ويعلم (براد) إنه يمتلك الإرادة لتحقيق ذلك ولهذا أصبح (أمل) الطالب المفضل لديه، ونشأت بينهما علاقة مميزة بين الأستاذ وتلميذه...

المركز الثالث، والرابع؛ لم يكون لهما حامل على التوالي فقد كان دائماً التغير بين طفلان، واحد منهما الطفل رقم ١ (سلام) والآخر هو الطفل رقم ٢ (سادي). والعلاقة بين (سادي) و(سلام) شديدة التوتر، لأن (سادي) يغير من (سلام)، لأنه يعتبر المعادل له في القوة الجسدية، فهذان الاثنان يحصلوا دائماً على الدرجات النهائية بالاختبارات الرياضية، التي تشمل فنون القتال، ودائماً يحصل

الأخرين على درجات أقل منهما، ولكن (سادي)، و(سلام) لم يستطيعا الحصول على المراكز المتقدمة بسبب درجتهما المتوسطة باختبارات الذكاء، فالدرجات تجمع ثم يتم تحديد من صاحب الدرجات الأعلى...

المركز الخامس دائماً من نصيب الطفل رقم ٣ (هدوء)، التي تعاني من معاملة (الأم) لها، ف(الأم) أمرت بعدم تفاعل أو اقتراب الحراس والمربين منها، بحجة إنها فتاة ولا بد أن تعتمد على نفسها وتصبح قوية مثل الأولاد. وأصبحت (هدوء) معزولة وبمفردها دائماً، محاطة فقط بعرائسها التي حصلت عليهم كهدايا من الأطباء النفسيين والحراس، تلعب بهم بمفردها بغرفتها. والحقيقة وراء ذلك القرار أن (الأم) تشتعل بالغيرة، فجمال (هدوء) يتزايد يوماً بعد الآخر، ويتسبب باهتمام جميع من في (جنة عدن)، فلم يكن الجمال فقط، بل كان أيضاً قوة حضورها المميز الذي يسلب روحك عندما تتحدث أو تدخل المكان. تحاول (الأم) بقدر المستطاع إخفاء غيرتها أمام الآخرين، الغيرة التي تزداد وتنمو كشجرة اللبلاب حول قلبها، الغيرة التي ستسيطر عليها بالمستقبل...

المركز السادس؛ وفي بعض الأوقات السابع، كان من نصيب الطفل رقم ٤ (حب) مما يثير غضب (الأم) والجانب العسكري، فبالرغم من الضغط عليه بشدة، ومحاولة كسره، وجعله يتحمل أكثر ما باستطاعته، يصمد ويقهر ما يضعوه من عقبات بمنهجه الذي يتبعه... منهج المسامحة والحب. فيجبرهم (حب) على زيادة الضغط عليه سنة تلو الأخرى، ولا تأتي النتيجة المرغوبة، ويتسلل القلق واليأس إليهم، فيسلوكوا الطريق الأخير وهو التحيز ضده دائماً، ومعاقبته على أي خطأ مهما كان صغيراً كأنه خطأ ضخماً وكبير، وتطبيق أشد عقوبة ممكنة عليه، وأدى ذلك إلى التأثير بشيء بسيط بنفسيته، أصبح كثير الصمت بسبب زيادة حالة التلعثم

لديه، لكنه مازال متمسكًا بأصله، ويرفض التخلي عن معدنه...

العامل الأهم والملفت للأنظار بهذه الفترة الطفل الرضيع الذي كلما كبر يكسر الحواجز، والموانع الموجودة بين الأطفال، فقد جعلهم يتفاعلوا مع بعضهم وساعد بتغيير أحوالهم النفسية إلى الأفضل، وساهم بإنشاء ترابط بين الأطفال من خلاله، فهو طفل ممتلئ بالحياة. فالبداية، عندما أصبح الطفل قادرًا على السير، فأول من ذهب إليه الطفل كان (سلام) وأخذ يلعب معه مما جعل (سلام) يتفاعل معه بسعادة وفرحة، فالطفل الصغير لا يخاف منه، ولا يتعامل معه بأي طريقة غير طبيعية. ولم ينتهي الأمر عند ذلك بل الطفل الصغير أصبح يأخذ معه (سلام)، عندما يذهب لكي يختلط مع الآخرين، نلاحظ ولادة علاقة وترابط مميزة تنشأ بين الستة، خصوصًا بين هذين الاثنين التي سوف يظهر معناها مع الزمن...

كان الطفل الصغير هو الجزء المفقود من المعادلة، فهو حلقة الوصل بين الأطفال، والستة أصبحوا الآن يتحدثوا مع بعضهم أكثر من المعتاد. يشاركونهم الطفل الصغير اهتماماتهم، فعندما يتعامل مع (براءة) يشاهد معه برنامج المفضل (المبدع ستيفن)، ويلعب معه بالجوائز التي حصل عليها، وقد يمثلوا بعض اللقطات المفضلة لـ(براءة) من البرنامج. أما تعامل الطفل مع (هدوء) أحيًا بها الجانب الأنثوي، دون أن يعلم من خلال مشاركته خيالاتها، ولعبها بعرائسها، وكان سببًا في تحسين حالتها النفسية التي ساءت جراء قرار (أم) بالتجاهل، وعدم التعامل معها. وتعامل الطفل الصغير مع (أمل) من خلال استماعه لأماله وطموحه، وسماع حكايات عظماء التاريخ، وتشجيعه لتحقيق حلمه بالخلود...

كان الطفل دائمًا يتحدث مع (حب) الذي طالما كان يخجل، ويحاول تجنب المحادثات مع الجميع، ولكن الطفل لديه القدرة في جذبك للتغيير، وكان بكل براءة

ودون أي نية مسبقة يضع (حب) في مواقف تجبره على التعامل والتحدث مع الآخرين، وكان ذلك يساعده بالتغلب على تلغثمه بالكلام، مما يرفع من روحه المعنوية التي كانت محطمة قليلاً، جراء الضغط والألم الشديد. كان الطفل هو التأثير المضاد لكل اقتراحات الاجتماعات، يعالج دون أن يعلم جروح الأطفال وألمهم النفسي، كان السبب بتحسّن مستواهم بشكل كبير وملحوظ. وعندما جلس الأطباء النفسيين مع الطفل الصغير، تم سؤاله عن رأيه بالآخرين، وجدوا إنه لديه إعجاب شديد بهم، معجب بكل صفة التي تميز كل واحد منهم، معجب ببراءة وطفولة (براءة)، والحب المهول الذي لدى (حب)، وهدوء وسماحة (هدوء)، والأمل والأحلام التي لدى (أمل)، وطيبة قلب (سلام)، وعندما يصل إلى (سادي)، لا يجد ما يقوله تجاهه يصمت فقط ولا يتكلم. لاحظ الأطباء إنه أنضح وأكبر من سنه، يملك قدرًا كبيرًا من الذكاء والحكمة ولكنه لسبب ما مجهول لا يهتم بدرجاته، أو تحسينها ولا يستطيعوا الأطباء معرفة السبب، فهم يختلفوا في تفسيرهم، فالصورة غير واضحة وضبابية بعض الشيء، فربما مع مرور الوقت تظهر بعض المعطيات التي من خلالها يمكنهم معرفة السبب...

قررت (الأم) إطلاق اسم (حياة) على الطفل الصغير، ف(الأم) لا تستطيع تحديد العيب بشخصيته، فهو يحتوي على أشياء كثيرة متعددة، ولا توجد صفة غالبية به لهذا اختارت ذلك الاسم نتيجة لما فعله مع الآخرين، من وهيم حياة اجتماعية مع بعضهم التي ساهمت في تحسين أدائهم بصورة كبيرة. وتخطي الهدف المرغوب منهم. أما بالنسبة لباقي الأطفال، يمكننا القول إنهم مجرد آلات بلا روح ينفذوا ما يطلب منهم ولا نجد شيئاً يميزهم، كعساكر الشطرنج يريدوا الأوامر طول الوقت. إنهم موتى أحياء، بلا عقل، وسوف يشكلوا خطورة كبيرة على برنامج (الأبناء

السبعة)، ولهذا تم تحضير خطة للتعامل معهم، ومحاولة تغيير ذلك الوضع لكنها لم تنجح، فالرغبة في التغيير لا بد من أن تأتي منهم أولاً، وهم لا يستطيعوا التغيير أو التطور...

* * *

يمر عامٌ ويختفي طفلان آخران ونصبح عام ١٩٩٢، ومازال (حياة) يحاول الاقتراب من (سادي) بالرغم من مزاحه المؤلم، ولكن ذلك العام كان مختلفاً، ف(سادي) فاض كيله من (حياة)، فهو يكره عدم خوفه منه، فأراد فعل شيئاً شديد الألم معه. لهذا ذهب (سادي) إلى غرفة (حياة).

(سادي):

"- هل تعلم أن القطاع المهجور يسكنه وحش مخيف يأكل لحم البشر؟"

"- لا أصدقك، أنت تمزح معي " يقولها (حياة) وهو يتسم.

"- لا أمزح، إن كنت لا تصدقني، يمكنني أن أريك الوحش"

"-... " يتردد (حياة) ولا ينطق بكلمة.

"-ألست شجاعاً؟!"

"-بل أنا شجاع..."

"-إذا، هيا بنا؟"

يذهب معه (حياة) إلى القطاع المهجور وكان شديد الظلام، لا يوجد به أي مصدر ضوء سوى الكشاف الذي يحمله (سادي)، وكلما تقدموا في الظلام، يحكى ل(حياة) حكايات عن الوحش، ومدى بشاعته وكيف يأكل ضحاياه أحياء، وعجز الحراس على قتله، والخطورة التي وصلت لدرجة تهجير ذلك القطاع أملاً بحبس الوحش داخله...

يبدأ (سادي) بالحديث:

"اعتقدوا إنهم سيوقفون تقدمه بالظلام ولكنهم كانوا مخطئين، فهو ملك الظلام...".

يندمج معه (حياة)، ويشعر بالارتباك.

(سادي):

"لم يعلموا أنه يري بالظلام... وقد كلفهم ذلك الخطأ الكثير... فقدوا القطاع بالكامل، وفقدوا العديد من الأرواح... لم يبق حل سوى حبسه ليمنعوا نزيه الأرواح..."

ثم يقف (سادي) ويسلط ضوء المصباح على وجهه، ويقول وهو ينظر مباشرةً إلى وجه (حياة):

"الحبس جعله أكثر خطورة وغضبًا... إنه مشتاقًا لطعم الدماء..."

يرتعب (حياة) أكثر، وتتسارع دقات قلبه...

يكمل (سادي) سيره، ويسبق (حياة) ويقول دون أن يستدير:

"لا تخاف، طالما هناك ضوء، نحن بمأمن..."

يسقط المصباح من يد (سادي)، وينكسر، ونسمع صوت ارتطام جسد

(سادي) بالأرض الذي يصيح:

"إنه يهجم على!!"

فيصرخ (حياة) بخوف:

"ماذا حدث؟ أين النور؟!"

يسمع (حياة) أصوات حوافر مع صباح (سادي) العالي:

"إنه يأكلني"

تشدد أصوات الحوافر، ويشعر (حياة) بالخوف الشديد، ينادى على (سادي) بأعلى صوت لكنه لا يسمع أي شيء سوى الصمت القاتل. تدمع عيني (حياة)، وينادى على (سادي) بنبرات كل مرة تقل حدة، ثم تتحول إلى بكاء وهنا يسمع (حياة) صوت حوافر تتحرك حوله بسرعة مع تهديدات لصوت لا يبدو إنه بشري. فيزداد خوف (حياة) ويدور حول نفسه باحثاً عن حل، لكنه يشعر بشيء ما له ملمس الفراء يدفعه إلى الحائط بقوة، ثم يسمع أصوات حوافر تبتعد عنه. فينهض (حياة)، ويسير وظهره إلى الحائط محاولاً تتبعه للخروج من القطاع، لكنه يسمع أصوات الحوافر تتقدم نحوه بقوة وبسرعة، يرتبك (حياة) ويسقط ثم ينهض مسرعاً، ويجري بكل ما به من قوة، لكن الصوت يقترب أكثر وأكثر منه. ويتم إمساك (حياة) وإلقائه إلى عرض حائط، ثم يسمع صوت باب يغلق، ويصرخ، ويبدأ بالبكاء بطريقة هستيرية. لسماعه التهديدات مرة أخرى، ومعها احتكاكات مغالب بالحائط تزيد رعباً، فيصرخ بأعلى ما في طاقته لدرجة قد تصل إلى تمزق الأحبال الصوتية. تبدأ دقات قلب (حياة) في التزايد بطريقة كبيرة وخطيرة على حياته، ولكن هذا الصوت والاحتكاكات على الحائط مازال مستمرًا، لا يمكنه رؤية شيء حوله، فالظلام الدامس بكل مكان. يتراجع (حياة) للخلف فيصدم بركن الحائط، ثم يبدأ بالانكماش إلى أن يجلس على الأرض، يحضن نفسه بخوف وهو يبكي ويصرخ. لم يكن يدري أن من يفعل ذلك به (سادي) نفسه، فالظلام لا يشكل عائقاً له، يظن نفسه سيد الظلام، وإنه في أشد قوته في الظلام، يستطيع التحرك به بكل دقة وسرعة بسبب تركيزه على سماع الأصوات المحيطة به، مثل اضطراب دقات القلب، تسارع الأنفاس، حتى احتكاك الملابس، وأصوات الأقدام. وكلما ازداد خوف وصراخ (حياة) ازدادت سعادة (سادي) بإطلاق الصراخات المرعبة، التي تبدو كما لو كانت

صادرة من حيوان مفترس. واستمر ذلك الوضع إلى أن فقد (حياة) صوته من كثرة الصراخ، فذهب وتركه (سادي)، فبدون صراخ لا توجد متعة له لكن قبل رحيله أغلق الباب بالمفتاح وتركه بمفرده في الظلام الذي يلتهمه شيء بشيء نفسيًا...

* * *

(سلام) يشعر بقلق شديد على (حياة)، فهو لم يره منذ صباح اليوم، فيذهب لكي يبلغ الحرس باختفائه لكنهم لم يهتموا كثيرًا، فجميع الأطفال مربوط حول معصمها أساور تتبع، وجهاز التتبع الذي يحمله الحراس يظهر وجوده بمحيط (جنة عدن)، أو بالأخص داخل المبنى مما لا يثير القلق لديهم، فيتم تجاهل قلق (سلام). وبالرغم من كلام الحراس، (سلام) مازال غير مطمئن وقلق على (حياة)، يشعر في قلبه بوجود شيء ما خطأ، وأن (حياة) في أزمة لهذا سرق (سلام) جهاز تتبع من أحد الحراس دون أن يشعر به الحارس...

يتتبع (سلام) إشارة (حياة) إلى الغرفة المظلمة بالقطاع المهجور، وعندما اقترب من الباب، طرق عليه وسمع همهمات (حياة) الضعيفة، التي استطاع بصعوبة التعرف عليها لكنه لا يفهم معناها. فيحاول (سلام) فتح الباب الذي يجده مغلقًا، فيحاول بعنف أكثر مما يجعل (حياة) يجمع ما بقي داخله من قوى، ويصرخ من جديد بخوف شديد، فالخوف تملكه، وفصله عن العالم وأصبح كل تفكيره، وجود الوحش معه بالغرفة، فلا يقدر على تمييز صوت (سلام)، فهو الآن لا يستمع إلى أي شيء آخر سوى خوفه، وللأسف دخل (حياة) مجددًا في حالة هستيرية من الصراخ والبكاء... (سلام) مستمر بمحاولة فتح الباب لكنه مغلقًا بأحكام، ولا يقدر على فتحه، يعلم أن الوقت ليس في صالحه حتى يذهب ويأتي بالمساعدة، فهو لا يقدر ترك (حياة) بمثل هذه الحالة. فيضرب الباب باندفاعه المتكرر بجسده لكن

الباب كان صلبًا وقويًا، لم يحبط ذلك من عزم (سلام)، واستمر باندفاعات متكررة تشتد قوتها عما قبل حتى تسببت بشرخ عظمة كتفه الأيمن لكنه لا يهتم بالألم، يستمر بالاندفاع، فكل ما يشغل باله إنقاذ (حياة)...

ينجح (سلام) بكسر الباب، ويدخل الغرفة رافعًا ضوء كشافه بحثًا عن (حياة)، فيجده بزاوية الغرفة محتضنًا قدميه، والدموع لا تسقط من عينيه، فقد جفت من كثرة البكاء المتواصل وأصبح لونها أحمر مثل الدماء. فيمد (سلام) يده اليمنى ذو الكتف المشروخ له وهو يقول:

"تعال... لا تخف"

لكنه لا يتحرك من مكانه، يرتعش من الخوف، عينيه في حالة من التوهان، ويقول بصوته المبحوح الضعيف متلعثمًا:

"الظلام... الوحش... سيأكلني... الظلام... الظلام..."

(سلام):

"لا تخاف، طالما أنا موجود، سأحميك من الظلام"

هنا يبدأ (حياة) بالعودة لأرض الواقع، ويلاحظ وجه (سلام) ونظراته التي تشعره بالأمان. يمد (حياة) يديه إلى يد (سلام)، فيمسكها، ويصحبه خارج الغرفة والقطاع المهجور. يقود (سلام) (حياة) لغرفته ويجلس بجوار (حياة) الجالس على سريره، محتضنًا قدميه، لا يتفوه بأي كلمة، فهو في حالة من الصدمة الشديدة. يأتي كل من (أمل)، و(هدوء)، و(حب)، و(براءة) الذين يروا حالة (حياة) السيئة، يشعروا بالقلق الشديد عليه، فيحاولوا كل ما في استطاعتهم للتخفيف عنه لكن ذلك لا يفلح، فهو مازال في حالة الصدمة لا يتحدث إلى أحد محتضن جسده...

ينهض (سلام) بسكوت، وينظر إلى الآخرين ويقول لهم:

- "اعتنوا به لحين عودتي"

فتنظر (هدوء) ل(سلام) باستغراب:

- "إلى أين أنت ذاهب؟!"

- "لدى شيء لا بد من عمله"

يخرج (سلام) من الغرفة دون قول أي كلمة أخرى أو الاستماع لمزيد من الاستفسارات، ف عقله يحتوي على شيء واحد يحكمه... الانتقام، فهو يعلم شخصاً واحداً هو من يفعل هذه الفعلة... (سادي)...

يقتحم (سلام) غرفة (سادي) دون أي كلام، يمسكه ويلقي به إلى الحائط مما يفقده اتزانه، ويجعله يسقط على الأرض محاولاً استيعاب ما حدث للتو لكن (سلام) لا يعطيه فرصة ويتجه إليه مسرعاً، يمسكه من ملابسه، ثم يرفعه ويدفعه إلى الحائط بشدة، ويسدد إليه لكلمات قوية متتالية التي تجعل وجه (سادي) يتزفر بشدة. لا يبالي (سلام) بالألم والتعب الذي يشعر به جراء كسر الباب، ويستمر بضرب (سادي) بشدة تفوق كسره للباب. ويقول (سلام) واللکمات تتوالى سريعاً على وجه (سادي):

- "إذا اقتربت من (حياة)، أو فكرت بلمسه، سأجعل حياتك جحيم لا

يُطاق"

تمر دورية حراسة أمام غرفة (سادي) بالصدفة، ويلاحظوا ضرب (سلام) ل(سادي) فينادي أحدهم على آخرين للمساعدة، ويدخل الآخر بسرعة ليمسك ب(سلام)، لكنه لا يستطيع السيطرة على (سلام) الذي ضرب وجه الحارس بكوعه، وعاد إلى (سادي) ليكمل ضربه. فيأتي باقي الحراس مسرعين، وينجحوا بصعوبة بالإمسك به وشله عن الحركة، يسحبوه بمعاناة إلى الخارج وهو يحاول الرجوع

لإكمال الضرب.

يسقط (سادي) على الأرض ويبصق الدماء من فمه، ثم ينظر بغضب وكراهية إلى (سلام) الذي يبادل هذه النظرات بتحدي واضح وصريح، كانت هذه بداية العداوة الشديدة بينهما التي سوف تزداد بالسنوات المقبلة...

يتم جلد (سلام) خمسة وعشرون جلدة على ما فعله من سرقة جهاز التتبع، وضرب (سادي) المبرح الذي تسبب بكسر بعض أسنانه، وتورم وجهه بالكامل. والعقاب تم تنفيذه بسرعة، وبكل هدوء في نفس الليلة دون أن يسمع أو يعلم أي طفل عما حدث، ف(الأم) لا تريد الأطفال أن يفكروا بما فعله (سلام) لضمان عدم تقليده، وقتال بعضهم البعض بهمجية وتوحش. الجدير بالذكر إنه أثناء الجلد لم يصرخ، أو يصدر أي صوت من (سلام)، فقد تحمل جميع الجلادات بصمت...

تم أخذ (سلام) للعيادة بعد انتهاء الجلد لعلاج الجروح حتى لا تلتهب وعند الفحص يكتشف الطبيب المعالج بأنه مصاب بشرخ كبير بعظمة كتفه الأيمن، ينصدم الطبيب من قوة تحمله وعدم فقدانه لوعيه لحظة الجلد، فحالته كانت سيئة للغاية، فكيف استطاع طفل تحمل مثل هذا الألم؟! يلزمه الطبيب بالراحة في الفراش لكنه لا يسمع كلام الطبيب، هرب في تلك الليلة، وذهب لغرفة (حياة) ووجد الآخرين جالسين حول السرير بقلق وخوف حول (حياة) المستغرق بالنوم به. تلاحظ (هدوء) دخول (سلام) وجسده مغطى بالرباط الطبي الكثيف، فتقول (هدوء) بصوت منخفض حتى لا تقلق (حياة) من نومه:

"ماذا حدث؟!"

"لا يهم ما حدث... (حياة)، كيف حاله الآن؟" وهو يهمس.

- "كما ترى، غلبه النعاس أخيرًا"

- "جيد فليأخذ راحته حتى يستعيد عافيته"

يجلس (سلام) جانب سرير (حياة) بجوار الآخرين، لم يستطع أحد منهم النوم هذه الليلة قلقًا على (حياة)...

تمر فترة قصيرة من الزمن، ويعلم الآخريين بما فعله (سادي) فيقرروا مقاطعته نهائيًا، وعدم التعامل معه حتى (براءة) ابتعد عنه وقاطعه؛ فما فعله مع (حياة) شيء لا يستطيع أحد غفرانه أو تقبله، فالحالة التي أصبح عليها (حياة) كانت سيئة للغاية، فهو منذ ذلك اليوم أصبح يخاف من النوم بمفرده في الظلام. يحاول الجميع إخراجه من تلك الحالة حتى يعود لطبيعته، لكن الأمر كان صعبًا، لذلك استمروا بالبقاء معه بغرفته طوال الوقت، لا يتركوه وحيدًا، بقوا بجواره لمدة ٨ أشهر حتى استطاع البقاء بمفرده، ولكن خوفه من الظلام استمر معه إلى الأبد...

يأتي عام ١٩٩٣ الذي يثير خوف (سلام) بشدة، فقد اختفى من (جنة عدن) طفلان آخران أصحاب أكثر الدرجات انخفاضًا وتبقى ١١ طفل...
يذهب (سلام) إلى (حياة) في ليلة الثاني عشر من شهر مايو، ويوقظه من نومه.

(سلام):

- "ارتدي ملابسك، وتعال معي"

فينهض (حياة) من فراشه ويرتدي ملابسه ثم يذهب معه، ويقول (حياة)
وهو يسير بجوار (سلام):

- "إلى أين نحن ذاهبون؟"

- "رحلة خارج (جنة عدن)"

يبتسم (حياة) ويفرح بشدة:

- "أحقًا ذلك؟"

السعادة البالغة كانت لسبب عدم خروج أي أحد منهم من (جنة عدن) قبل ذلك، وكل ما تعلموه عن العالم الخارجي، كان من خلال الأفلام التسجيلية، وما يتعلموه بدراستهم.

(سلام):

- "أجل"

- "أين الآخرين؟"

- "أما هدية خاصة بك أنت"

- "أنا لا أريد أن أذهب من غيرهم"

يجلس (حياة) على الأرض، ويرفض التحرك فينحني (سلام) على ركبته،

ينظر إلى (حياة) بكل هدوء وحنان.

(سلام):

- "أتريد أن تجعلني حزينًا؟"

فينظر إليه (حياة)، وهبزه رأسه نافيًا، فيكمل (سلام) كلامه:

- "أنظر إليّ...، أنت تعلم إنني لا أريد سوى سعادتك؟ أليس كذلك؟"

هبزه (حياة) رأسه بالموافقة.

(سلام):

- "إذا هيا بنا... أنا أريد إهدائك هذه الرحلة، فهل ستفضيها؟"

ينهض (حياة) ويذهب معه، لا يدري نية (سلام) في هذه الرحلة. فقد كانت رحلة بلا عودة، فدرجات (حياة) الضعيفة، وتمرجحه الدائم بين المركز التاسع والعاشر، كان يثير رعب وقلق (سلام)، فهو لاحظ اختفاء كل عام أصحاب أقل درَجَات، وقد تبقى منهم ١١ طفل، وقد يكون هذا العام دور (حياة) بالاختفاء والمصير المجهول الذي ينتظر من يختفي... لا يستطيع (سلام) المخاطرة بترك الأمور للحظ، فهو يخاف ويخشى بشدة عليه، لا يريد فقدانه لمصير مجهول لا يعلمه، لذلك قرر الهروب بلا رجعة مع (حياة).

كانت خطة (سلام) في منتهى الذكاء بالنسبة لعمره، تخلص من أسورة المتابعة التي علي معصمهما ثم تسلل إلى غرفة المراقبة دون علم الحراس وطبع صور فوتوغرافية في غاية الدقة لما تراه كاميرات المراقبة، ثم وضع الصورة المناسبة أمام كل كاميرا مراقبة وأصبحت كاميرات المراقبة الآن تنقل صور ثابتة، ولم يلاحظ الحراس أي شيء، فقد اختار (سلام) وقت وضع الصور أثناء صيانة وتقوية محولات الكهرباء، ففي هذه الفترة الوجيزة كان نظام المراقبة لا يرى ولا يسجل شيئاً...

تكتشف إحدى دوريات الحراسة بالصدفة بعد رحيلهما بفترة عدم تواجدهما بغرفهم، فيطلق جرس الإنذار الذي يعم جميع أنحاء (جنة عدن)، تعلم (الأم) بما حدث وتتجه لغرفة مركز القيادة، التي تم اختيار اسم (أوليمبوس) لها نسبة إلى (جبل أوليمبوس) الذي كان مكان اجتماعات آلهة الإغريق، يتم به تحديد مصير العالم وبإمكانهم رؤية أي شيء يحدث بالكون من فوق هذا الجبل، فهذه الغرفة تستطيع فعل ذلك نظراً لما تحتويه من أحدث أنظمة الأمن والمراقبة، فقد كانت المكان الوحيد بـ(جنة عدن) يتم من خلاله التواصل مع العالم الخارجي، وبها متابعة دائمة لوكالات الأنباء العالمية، وفريق من المحللين لدراسة هذه الأنباء،

ووضع توقعات مستقبلية، ول(أوليمبوس) قدرة التنصت على أي شيء متصل بالإنترنت حتى سيرفرات الحكومة والشركات الخاصة، لم تكن في مأمن منها فعندما تنشأ أي شركة أو مؤسسة حكومية سيرفر خاص بها يتم وضع جهاز خاص يمنح (أوليمبوس) السيطرة الكاملة على السيرفر دون علم الشركة بذلك، فأفضل شركة مصنعة للسيرفرات تتبع لشركة (كيور) وتحت إمارتها، تضمن اختيارها من خلال العروض والأسعار التي لا يقدر أحد منافستها. وأي كاميرا بالعالم بمثابة عين لهم يستطيعوا التحكم بها ورؤية ما يحدث حتى أي قنوات اتصال لم تكن بمأمن، فجميع المعلومات المرسله تحت تصرفهم ويتحكموا بها ويستطيعوا منعها أو تغييرها إذا شاءوا، وليس ذلك فقط بل يمكنهم سماع أي المحادثات اللاسلكية التي تحدث بأي مكان في العالم. فالتكنولوجيا المتواجدة بهذه الغرفة تسبق أي تكنولوجيا موجودة بالعالم بعشرة سنوات على الأقل، وكان تحت إمارة هذه الغرفة شبكة من الغرف الأخرى الكثيرة المشابهة لها، والمتواجدة بأجزاء مختلفة بالعالم، كانت شبكة كبيرة من غرف المراقبة والتجسس تحكمها غرفة (أوليمبوس)، إنه حلم أي وكالة مخبرات بالعالم فمن خلال الغرفة تصبح أله، تري وتسمع وتتحكم بمصير العالم. غرفة (أوليمبوس) في غاية الضخامة وذات تأمين عالي، لا يمكن لأي أحد دخولها، تحتوي على الكثير من الشاشات، يعمل بها أكثر من خمسين موظفًا من أعلى الكفاءات الموجودة بالعالم...

تدخل (الأم) (أوليمبوس)، تطلب من الموظفين بها مراجعة جميع تسجيلات المراقبة الخاصة بمدخل ومخارج (جنة عدن) في الخمس ساعات السابقة فهذا كان آخر وقت مسجل لرؤيتهما. تنظر (الأم) للعرض السريع لتلك التسجيلات على شاشات العرض ويلفت نظرهما شيئًا ما غريبًا بكاميرا ستة، فسيارة

المؤن التي لا تأتي سوى يومين بالأسبوع موجودة بالجراج، وهذا اليوم ليس منهما، فتأمل بفحص كاميرا ستة، فيكتشفوا خدعة (سلام) ووضعه لصورة فوتوغرافيا أمام الكاميرات.

(الأم):

"أريد جرد جميع السيارات الموجودة بالجراج"

يبدأ الموظفين بالجرد ويقول أحدهم:

"سيارة رقم ١٨ غير موجودة، ولا يوجد لها إذن بالخروج"

(الأم):

"استخدموا الجي.بي.إس* لتحديد مكان السيارة"

* نظام الجي.بي.إس يعرف باسم نظام تحديد الموقع العالمي، يتكون من عدة أقمار صناعية تحوم حول الأرض على ارتفاع ٢٠٢٠٠ كيلومتر. يقوم قمر صناعي ببث إشارة تحمل موقعه [أي موقع القمر الصناعي] كما تحمل توقيت أو لحظة بث الإشارة بدقة عالية مرجعها إلى ساعة ذرية بالغة الدقة. يقوم جهاز الاستقبال باستقبال الإشارات القادمة من القمر الصناعي، وعن طريق مقارنة توقيت وصول الإشارة، وتوقيت بثها يمكن للجهاز معرفة زمن انتقال الإشارة، وبالتالي حساب المسافة بين القمر الصناعي وجهاز الاستقبال، وباستقبال أربعة إشارات من أربع أقمار مختلفة فإن نقطة تقاطعهم تحدد موقع جهاز الاستقبال.

يبدوا باستخدام الجي.بي.إس الذي يستخدم في تحديد المكان بدقة عالية

بالرغم من أن هذه الفترة الإشارة ذات الجودة العالية يتم تخصيصها للاستخدام العسكري، والإشارة المتاحة للاستخدام المدني كانت منخفضة الجودة بشكل متعمد [الإتاحية الانتقائية]، وانتهت الإتاحة الانتقائية في عام ٢٠٠٠، فتحسنت دقة

الجي.بي.إس المستخدم في الأغراض المدنية من ١٠٠ م إلى ٢٠ م ولكن (أوليمبوس)، لديها إمكانيات تنصت تمنحها القدرة على استخدام دقة النظام العسكري...

أحد الموظفين:

"وجدت السيارة"

يضغط على بعض الإزرار ويعرض الخريطة على شاشة العرض الرئيسية،

وبها نقطة تتحرك ترمز لموقع السيارة.

(الأم):

"السيارة مازالت تتحرك، ما أقرب وحدة يمكنها التدخل؟"

يرد أحد الموظفين:

"وحدة ٢٣، يمكنها الوصول خلال ٣٥ دقيقة"

"أمرها بالتحرك الآن، وإرسال ثلاث وحدات أخرى لمساندة وحدة ٢٣"

"أجل سيدتي"

"بعد خمسة دقائق، أريد إيقاف محرك السيارة ١٨"

فكل سيارة كانت تملكها أو تعمل تحت إشراف (جنة عدن)، تحتوي على

نظام تحكم خاص عن بعد من خلال الأقمار الصناعية، كان أقصى ما يمكنهم

عمله بذلك الوقت إيقاف موتور السيارة، وذلك كان يعتبر تقدم في غاية الإبهار

بالنسبة لتلك الفترة الزمنية، يمتلكوا أيضًا القدرة على تفجير السيارة من خلال

جهاز يطلق شرارة داخل خزان البنزين، الذي لم يكن له داعي لاستخدامه حاليًا،

فهم يريدوهم أحياء...

لقد اختارت (الأم) خمس دقائق بالتحديد بسبب اعتمادها على خريطة

(أوليمبوس)، التي تشير بأن المنطقة التي ستصل إليها السيارة بعد خمس دقائق

مهجورة تمامًا، ويكون ذلك أنسب مكان تمسك بهم وحدة ٢٣ دون إثارة أي شبهات أو مشاكل. ما لم تكن تعلمه (الأم) أن بيانات الخريطة التي اعتمدت عليها غير دقيقة، فقد تم قريبًا الانتهاء من بناء مسرح مفتوح بهذه المنطقة، وذلك هو الأسبوع الثاني بعد الافتتاح، فالمسرح كان دون سقف، لا يوجد سوى السماء والنجوم فوقه...

تتوقف السيارة بمنتصف الشارع، يلاحظ (سلام) أن سبب التوقف غير عادي، فمؤشرات السيارة تشير إلى أن كل شيء على ما يرام، فيستنتج (سلام) الأمر ويعلم إنه لا بد لـ(حياة) أن يد في ذلك وإذا استطاعوا إيقاف السيارة، فهم بالتأكيد يعلموا موقعهما وفي الطريق إليهما الآن...

ينظر (حياة) لـ(سلام) بكل براءة:

"هل وصلنا؟"

"ليس بعد، هناك فقط عطل بالسيارة...، هيا بنا نزل"

يلاحظ (سلام) أضواء كثير صادرة من المسرح المفتوح فيتجه إليه. ويجد (سلام) و(حياة) أنفسهم بالجراج المخصص لضيوف المسرح، وكان لحسن حظهم لا يوجد أي حراسات للسيارات

يختار (سلام) إحدى السيارات لكي يسرقها، ينجح بفتح الباب ويحاول لفترة تشغيل الموتور حتى ينجح بذلك فينهض (سلام):

"هيا بنا"

ليتفاجأ بأن (حياة) ليس بأي مكان حوله، وإنه اختفى من جواره أثناء انشغاله بالسيارة. ينظر حوله إلى أن تقف عينيه على الإضاءة الصادرة من المسرح. فقد كان (حياة) شد انتباهه الأضواء القادمة من المسرح، فذهب إليهما،

فتلك الأضواء مبهرة بشدة والمسرح كان بمثابة ضوء أمل بنهاية نفق مظلم طويل يجبرك على الاتجاه إليه لا إرادياً، وكلما يقترب (حياة) يسمع صوت موسيقى يأخذ بالعلو، فتثيره ويتقدم نحوها ويشعر بشيء غريب داخله يدفعه إلى الاستمرار والإسراع إليها شارد الذهن، إنه نوع من السعادة والفرحة لم يجربه من قبل يولد داخله...

يصل (حياة) للمسرح، يقف بالخلف وراء الصفوف الأخيرة للجمهور دون شعور أحد به واقفاً بصمت متأملاً المشهد المذهل للمسرح، الذي كان عبارة عن منصة ضخمة وبمنتصفها يشاهد عازف يعزف منفرداً على البيانو، وعندما رفع نظره متابعاً أشعة أضواء المسرح، شاهد القمر فضي اللون، بدرًا ينير السماء بقوة وجمال، بدء يتأمل جمال بناء المسرح، يلاحظ صفوف الجمهور المظلمة التي تم تصميمها بحيث الصف الأخير، يكون أعلى الصفوف وتزل الصفوف تدريجاً، بمنحدر كبير يتوسط الصفوف سلالم تقود لخشبة المسرح، فقد تم تصميم المسرح ليكون القمر دائماً أعلى منتصف المنصة فوق العازف، ويستطيع جميع الجالسين الإحساس بضوء القمر الساقط عليهم، فصفوف الجمهور تعتمد فقط على إضاءة القمر في خلق الجو العام المناسب للموقف، كان مشهد كأنه خرج من كتاب فانتازيا منفرد في الجمال والإبهار. ما يراه (حياة) يؤثر به بشكل كبير، فكان الإبهار والاندماج ظاهراً على وجهه بكل وضوح، جعله يثبت في مكانه دون حركة مصوباً الآن كل حواسه وتركيزه لعازف البيانو، الذي كان يعزف سوناتا (ضوء القمر) ل(بيتهوفن).

تلك السوناتا [السوناتا، عبارة عن قالب موسيقي يحوي على ثلاثة أقسام رئيسية: العرض، التفاعل، المرجع، حركاتها بالترتيب: سريع، بطيء، سريع] التي قصد بها (بيتهوفن) كل الخلجات والانفعالات، التي يمكن أن يمر بها الإنسان

وانتقاله من حالة مزاجية إلى حالة مزاجية أخرى، كانت موسيقى حزينه هادئة تشبه انسياب أشعة القمر على سطح الماء، إنها قصيدة لا قدرة للكلمات البشرية على وصفها، لها تأثير يهزكيان كل من يستمع لها، بها حزن نبيل يدمي الروح. كانت لوحة ضخمة للروح البشرية...

(حياة) الآن يحيا بعالم الخيال ومشاعر جميلة لا توصف تولد داخله للمرة الأولى، أحاسيس لم يكن يعرف إنه يمتلكها، تولد السعادة الحقيقية التي لم يعرفها قلبه من قبل...

يتبع (سلام) الإضاءة هو الآخر ويجد (حياة) واقفًا خلف الصفوف في حالة غريبة من السعادة والفرحة التي تتضح من خلال ملامح وجهه ونظرات عينيه، فهو بحالة من شرود الذهن لا يشعر أو يبالي بما حوله، لم يشعر حتى بوجود (سلام) بجواره واقفًا هو الآخر متأملًا نظرة (حياة) للعازف والمسرح، التي كانت مثل الميت الذي أعطيت له الحياة. يريد (سلام) أخذه والرحيل من المكان قبل وصول أي شخص إليهما، لكن نظرة (حياة) الممتلئة بالفرحة والسعادة كانت شيئًا نادرًا وجميلاً، فهذه المرة الأولى التي رآه بمثل هذه السعادة منذ أن تعرف عليه بـ(جنة عدن). ويعلم (سلام) أن (حياة) يستحق ذلك الشعور، فطالما ما منحه السعادة، فلما لا يعطيه جزءً مما منحه إليه، فيقرر (سلام) المخاطرة والانتظار حتى ينتهي العازف من عزفه...

تصل للتو الوحدة ٢٣ للسيارة المهجورة، تجد الطفلان غير موجودان ويبدوون البحث بمحيط المنطقة ويلاحظوا أضواء صادرة من مسرح بعيد بالأفق، فيتم إبلاغ (أوليمبوس) بذلك. تنزعج (الأم) من هذه المفاجأة غير المتوقعة ويبدو الرعب على وجهها بشدة، فكيف يحدث مثل ذلك الخطأ بخرائط (أوليمبوس)...

الخطأ الذي سيُصيح سببًا في هروب (سلام) و(حياة) دون عودة وسيكون ذلك على عاتقها. فتأخذ (الأم) بضعة ثواني حتى تستعيد تركيزها وتفكر بالخطوة القادمة...
(الأم):

"-هل العرض بالمسرح، مازال مستمرًا؟"

ترد الوحدة ٢٣:

"-أجل سيدتي"

"-اذهبوا لجراج المسرح، ابحثوا عن شيء مُلفت، فأول تصرف لهما

سيكون إيجاد وسيلة انتقال بديلة"

"-أمرك، سيدتي"

يذهبوا الحراس إلى الجراج، يبحثوا ويجدوا السيارة التي كان يحاول

(سلام) سرقتها مفتوحة الباب والموتور يعمل. يتم إبلاغ (الأم) بذلك التي تستغرب

(الأم) بشدة، وتقول لنفسها:

"-لماذا لم يهربوا!"

(الأم):

"-الطفلان مازالوا بالمنطقة أريد منكم فريقين، فريق يجرد المسرح، وفريق

يجرد الجراج"

"-أمرك، سيدتي"

حدث ما كان يخشاه (سلام)، ووجدهما الحراس يقفان خلف الصفوف

الأخيرة بالمسرح، تقدموا الحراس بهدوء نحوهما، وتم تكميم أفواه (سلام) و(حياة)

بمادة مخدرة وأخذهما بهدوء بعيدًا عن المسرح، عائدتين ل(جنة عدن). ليتم عمل

تحقيق موسع بموضوع الهروب، ويجدوا المسؤولية الكبرى تقع على عنق (سلام)

الذي هو أيضًا يعترف بذلك، ويؤكد أن (حياة) لم يكن يعلم شيئًا عن نيته بالهروب...

يتم اتخاذ قرار بمعاقبة (سلام) ١٠٠ جلدة متتالية بلا توقف، يشرف عليها طبيب حتى يضمن عدم فقدان وعيه خلال الجلد. وأن حصل وغاب ينتظروا الطبيب حتى يعالجه، ثم يكملوا الجلد مرة أخرى. ويتم تنفيذ العقوبة على مرء ومسمع الجميع ليكون عبرةً لهم وتحذيرًا واضحًا وصريحًا، إنه لا يوجد أي تهاون في عقوبة الهروب. لكن ما حدث كان عكس المتوقع، ف(سلام) لم يصرخ أو حتى يغيب عن الوعي، أخذ المائة جلدة دون إظهاره أي ملامح ضعف أمامهم، والذي ساعده على تحمل الجلدات تذكره لوجه (حياة) السعيد ومدى فرحته بالمسرح، فطالما ما ستكون هذه ذكرته السعيدة التي تنسيه إحساس الألم...

كل جلدة تضرب وتمزق جسد (سلام)، كانت تمزق قلب (حياة)، لأنه يعرفه جيدًا ويعلم بكتمانه الصراخات داخله... بالجلدة العشرون تبدأ الدموع تسقط من عين (حياة) وبالمثل الآخرين. أعينهم كانت ممتلئة بالدموع من مدى قسوة الموقف، فالجلدات شقت جلده، ويمكنك رؤية الدماء واللحم الداخلي. والوحيد الذي كان سعيدًا بذلك (سادي) لكن ليس بالقدر الكافي، يريد أن يكون الجلاد، يريد أخذ انتقامه بنفسه، لكنه لا يستطيع بسبب القوانين الصارمة والمراقبة الشديدة عليهما منذ الاشتباك لضمان عدم اشتعال الموقف بينهما مرة أخرى...

ينتهي الجلد وينهض (سلام)، يرفض أي مساعدة من الأطباء لحمله للعيادة، أصر على السير برغم حالته السيئة للغاية. يسير بصعوبة والدماء تسيل من ظهره متجهًا إلى العيادة رافضًا أي مساعدة، يستطيع الجميع ملاحظة ظهره

ورؤية عظمه من خلال لحمه الممزق، يتحمل كل ذلك ويسير متحدثاً ألمه، وجميع المشرفين بما فيهم الجانب العسكري يشعروا بالسعادة، فقد أبدى (سلام) اليوم قدرة فائقة على التحمل والتحدي وهذه صفات الجندي المثالي لديهم...

* * *

يصل (سلام) للعيادة بمفرده، ويستلقى على السرير حتى يتلقى العلاج، وهنا يغيب لوهلة عن الوعي من شدة الإرهاق والألم، حتى يفق وهو مستلقياً على معدته بسرير العيادة، يرفع رأسه ويجد (حياة)، وبجواره الآخرين جالسين أمامه. يلاحظ (حياة) أن (سلام) ينظر إليه، فتسقط بعض الدموع من عين (حياة)، وينهض من مقعده متقدماً نحو (سلام).

(حياة):

"أنا أسف، عما حدث"

(سلام):

"لا تتأسف، إنه ليس ذنبك..."

يلاحظ (سلام) القلق الشديد على وجه (حياة) فيقول:

"لا تقلق عليّ... أنا بخير"

يتقدم (حياة) نحوه، والدموع مستمرة بالسقوط ثم يمسك بيده أسفًا

وحزينًا ويقول:

"أعدك بأنني لن أكون سبباً لألمك مرة أخرى"

بيتسم (سلام) ولا يقدر على قول شيء، فعينيه تغلق بهدوء وارتياح،

ويغيب عن وعيه فالمسكنات التي أعطاهها إليه الطبيب كانت كثيرة للغاية...

* * *

يمر الوقت، ويتعافى (سلام) ويعود الجميع لحياتهم اليومية ما عدا (حياة) الذي نلاحظ إنه قد تغير فممنذ سماعه لهذه الخمس دقائق من عزف سوناتا القمر، يحلم بمنح أخواته نفس المشاعر التي عرفها، لذلك قرر تعلم العزف على البيانو وأن تصبح تلك المقطوعة أول شيء يعزفه لهم، ولكن لكي يتم ذلك لابد له من دراسة الموسيقى، وأن يكون على دراية تامة بذلك الفن، ولم تكن هذه مشكلته الوحيدة، فهو ليس لديه بيانو ولا يوجد بيانو بـ(جنة عدن)، والطريقة الوحيدة لكي يمتلك البيانو هنا هي حصوله على المركز الأول وطلبه كأمنية له. ومن هنا بدء (حياة) مشوارًا طويلًا وصعبًا مطلوب منه اجتيازه في فترة قصيرة، فهو لابد عليه التفوق بدراسته مع تعلم البيانو بدقة ومهارة، لهذا كان دائم التردد والذهاب لمكتبة (جنة عدن) التي تحتوي على كل المعرفة الموجودة بالعالم، فالمكتبة صممت لكي تمنحهم مراجع لا نهائية بجميع المجالات تساعد على الارتقاء بمعرفتهم، كانت المكتبة تحتوي على عدد مهول وكبير من الأفلام التسجيلية، والحفلات الاجتماعية والموسيقية ليتعلموا منها كيفية الاختلاط أثناء هذه المناسبات وتقمص أي شخصية من هذه الشخصيات...

(حياة) استخدم المكتبة بجوار استخدامه للدراسة، في تعلم البيانو من خلال قراءة ومشاهدة، كل ما له علاقة بالموسيقى والبيانو لدرجة صناعة نسخة للوحة مفاتيح البيانو، من الكرتون والأوراق التي كانت نسخة طبق الأصل دون أي اختلاف في الشكل أو المساحات، يتدرب عليها نظرًا كل يوم، يحفظ من خلالها أماكن المفاتيح ونغماتها، يدرّب يديه على الخفة وسرعة الحركة، ويستعين بالأفلام لمعرفة صوت كل مفتاح، وضبط التوقيت المناسب للضغط. والدارسة لم تكن سهلة أيضًا، ولكنه كلما احتاج (حياة) إلى مساعدة ذهب إلى (براءة)، فهو الأذكي

وصاحب المركز الأول بينهم، ودائمًا ما يلاحظ (براءة) ببعض الأحيان كتب موسيقى يحملها (حياة) معه أينما ذهب بل إنه شاهده بإحدى المرات يتمرن على نسخته من لوحة المفاتيح مما جعل (براءة) بإحدى المرات، يحاول الاستفهام عما يفعله... (براءة):

"لماذا تحمل كتب الموسيقى معك، أيجاد اختبار للموسيقى؟!"

يرد (حياة) بابتسامة:

"كلا، إنها... لا أعرف الوصف الصحيح... هي شيء أخذ روجي عندما

سمعته..."

بدء (حياة) في الانفتاح بشدة، شرح كل ما عرفه عن الموسيقى والشعور المصاحب لهذا الفن الجميل الذي يملأ الشخص بالسعادة والفرحة، ويجعله يغرق في عالم من الخيال الجميل لا تتمنى الاستيقاظ منه، لم يقف الأمر إلى ذلك الحد، فقد حكى له أيضًا عن سوناتا (ضوء القمر)، وكيف أن سبب تأليف (بيتهوفن) لتلك السوناتا مازال غير معروف، وأن هناك الكثير من الأقوال والقصص، ولا يوجد أحدًا يمكنه الجزم أيهما الحقيقية، ولكن القصة التي يفضّل (حياة) تصديقها:

إنه في عام ١٨٠١ ألتقى (بيتهوفن) بمحبوبته الكونتيسة (جوليتا جويتشاردي) في قصور أحد النبلاء يدعى (برونشفيك)، بينما كان يعطي درسًا بالموسيقى في ذلك القصر، وقد اشتعل قلبه بعاطفة قوية تجاهها، لكنه لم يقدر على الارتباط بها، وذلك للفارق الطبقي الهائل بينهما، ولكنها كانت ملهمته لتأليف واحدة من أروع سوناتاته وسوناتات العالم الموسيقى... السوناتا رقم ١٤ والشهيرة باسم سوناتا (ضوء القمر)، فبعد وقوعه بحبها وفي إحدى الليالي القمرية. كان (بيتهوفن) وصديق له، يتجولان بشوارع فيينا المظلمة، وتوقفا أمام منزل بسيط،

يصدر منه لحن موسيقى من إحدى مقطوعاته التقطته، تعرفت عليه أذن
(بيتهوفن) بصعوبة، بسبب تدهور قدرته السمعية قليلاً.

(بيتهوفن) لصديقه:

"-دعنا ندخل..."

دخل كل منهما المنزل بدون إذن، وجدوا شابًا يجلس ويقوم بصناعة زوج
أحذية وبجواره أخته التي كانت فتاة عمياء، تعزف على آلة هاريسكورد قديمة
ومتهالكة بعض الشيء [آلة موسيقية ظهرت في الفترة ١٥٠٠ حتى ١٧٧٥ (حتى حل
البيانو محلها تدريجيًا)، وأعيد إحيائها في القرن العشرين عند عرض الموسيقى
المبكرة، وفي بعض الأعمال الجديدة].

(بيتهوفن):

"-عذرًا لتطفلنا، لكنني سمعت الموسيقى، والليلة مقمرة وجميلة... فهل

تسمح لي بالعزف لكما؟"

لترد الفتاة العمياء بحزن:

"-أعطي كل ما أملك لمن يساعدني على رؤية ضوء القمر، ولو لمرة

واحدة!!"

أثرت هذه الكلمات في وجدان (بيتهوفن)، ودبت داخله مشاعر الحياة
والحب تجاه محبوبته الكونتيسة (جوليتا)، فجلس على آلة الهاريسكورد، وبدأ
العزف، وترك الشاب الحذاء الذي في يده، ومالت الفتاة العمياء إلى الأمام لتركز
على تتبع النغمات التي تنساب في الغرفة. بعد فترة قصيرة، يرتعش لهب الشمعة
الوحيدة، وينطفأ نورها ويعم الظلام الدامس الغرفة، فيسرع الشاب بفتح
النافذة، ويغمر ضوء القمر كل أرجاء الغرفة. وتصبح الموسيقى أكثر وهجًا وإشراقًا،

لترقص الحوريات، وجنيات الماء، وربات الفن والشعر والعلوم التسع*، في ضوء القمر الساحر. ولعبت الموسيقى برأسي الأخوين، وأصابتهما بالدوار، وعندما توقف العزف، صاحبت الفتاة بالنشوة قائلة:

"أنت (بيتهوفن)..."

فترك (بيتهوفن) مقعده، وودع مضيفيه، وصديقه وهرول عائداً، لمنزله ليكمل كتابة سوناتا (ضوء القمر)، أشهر سوناتا في عالم الموسيقى...

* ربات الفن والشعر والعلوم التسع: آلهة الإلهام التسعة لدي الاغريق في أساطيرهم القديمة

يستمر (حياة) بأخبار (براءة) بمزيد من المعلومات، وكيف أن سوناتا (ضوء القمر) لم يكون في البداية اسمها (ضوء القمر) بل تم تسميتها بذلك بواسطة ناقد الموسيقى الألماني والشاعر (لودفيج ريستبل)، ففي عام ١٨٣٢ بعد خمس سنوات من وفاة (بيتهوفن)، شبه (لودفيج ريستبل) الحركة الأولى من السوناتا بضوء القمر الساطع على (بحيرة لوسيرن) بإحدى مقالاته النقدية وفي خلال عشرة سنوات أصبح اسم (ضوء القمر)، يستخدم بجميع المنشورات الألمانية والإنجليزية، ولاحقاً بالقرن التاسع عشر، أصبحت تعرف بذلك الاسم عالمياً. و(براءة) يسمع بكل إنصات، منمهر بكلام (حياة) والطريقة التي يتحدث بها عن الموسيقى، والعاطفة التي يحملها كلامه، تجعلك تشعر بأن الموسيقى شيء مذهل وله سحر غامض ولا بد من تجربته...

بنهاية عام ١٩٩٣ استطاع (حياة) الحصول على المركز الأول، وكما هو معتاد، يتم استدعاء صاحب المركز الأول للوقوف أمام مجلس (جنة عدن) حتى

يطلب أمنيته.

تبدأ (الأم) بالحديث مع (حياة) بكل برود، وبلا أي مشاعر ظاهرة بل لا تعطيه حتى الانتباه المناسب للموقف، فهي لا تهتم بأمر أي أحد منهم، تعتبرهم مجرد أدوات تستخدمها متى تشاء.

(الأم) وهي تنظر في الأوراق التي أمامها:

- "بناءً على نتائج هذا العام أنت صاحب المركز الاول، فما هو الذي تتمناه؟"

(حياة):

- "الحصول على مسرح صغير وبيانو ويكون نسخة مصغرة من المسارح

العالمية، ويتم وضع البيانو بغرفة عازلة للصوت حتى الانتهاء من تحضير المسرح"
أمنية (حياة) أثارت حالة كبيرة من الاستغراب لدى المجلس حتى (الأم)
توقفت عن النظر بالأوراق، التفتت قليلاً إلى (حياة) لكنها سرعان ما عادت للنظر
إلى الأوراق وكتبت بالأوراق.

" يتم تحقيق أمنيته بما إنها لا تخالف اللوائح والقوانين "

تشير (الأم) بيدها لينصرف دون أي أدنى اهتمام أو فضول لما طلب هذه
الأمنية الغريبة، ولما أصر على وضع البيانو بغرفة عازلة للصوت أثناء تحضير
المسرح، ف(حياة) لديه سبب خاص لذلك، يريد أن يطبق ما تعلمه بنفسه عملياً في
سرية قبل البدء بالعزف أمام الآخرين...

خلال فترة تجهيز المسرح المصغر وتدريبه اليومي على البيانو، كان (حياة)
دائم الخروج من (جنة عدن) دون علم الحراس، يذهب برحلات إلى العالم الخارجي
جزء منها من أجل تحضير المسرح المصغر بالشكل الذي يراه مناسباً من ديكورات،

ومعدات، وجزء يتأمل جمال العالم المدفون من خلال متابعة الفنون المختلفة، وأغلب الوقت كانت قدميه تقوده للمسرح المفتوح ليشاهد ويتعلم ويشحن روحه بالموسيقى...

كان يخرج ويعود بسرية دون ملاحظة أحد من الحراس الذين لم يستطيعوا إثبات ذلك بالرغم من تعمدته لترك دليل ضعيف يوحي بالشك على خروجه، ف(حياة) كان يترك لهم دليل قاطع يدل على تواجد به(جنة عدن) ليثبت لهم مقدرته على فعل ما يريد وقتما يشاء...

في إحدى مرات خروج (حياة) السري للعالم الخارجي، ذهب إلى المسرح المفتوح كالمعتاد ليشارك العزف، ويتعلم منه ولكن هذه المرة كانت مختلفة فقد تم تبليغ جميع الضيوف بتأخير موعد الحفلة ساعة ولم يكن يعلم ذلك، فالتغيير تم الإعلان عنه منذ أسبوع وهو يتحرك طبقاً لجدول حفلات المسرح الشهري. فيختبئ (حياة) بالمسرح منتظراً انقضاء الساعة، وأثناء ذلك شاهد لأول مرة الضيوف، لاحظ ملابس السهرة التي يرتدوها، وكانت في غاية الإبهام والجمال، ولاحظ أيضاً أيديهم تمسك بدعوات حضور زخرفية جميلة، ف(حياة) كان دائماً ما يأتي في لحظة بدء العرض ويرحل قبل تحية الجمهور للعازف حتى لا يراه أو يشعر به أحد هناك، وبما أن صفوف الجمهور مظلمة، كان لا يمكنه رؤيتهم أو حتى تمييز ملابسهم...

لقد سيطر ذلك المشهد على تفكيره وكيف إنه العنصر المفقود بحفلة، والذي سوف يضيف إليها الكثير لذلك عندما خرج من (جنة عدن) مرة أخرى، سرق لكل من (سلام)، و(هدوء)، و(حب)، و(براءة)، و(أمل) ملابس رسمية تليق بحضور حفلة، وترك الملابس بغرفة كل واحد منهم ومعها دعوة بها موعد الحفلة... ٣١ ديسمبر ليلة رأس السنة، يستغرب الجميع في البداية من طريقة التقديم،

ونوعية الملابس فهي شيء لم يرتدوا مثله من قبل (جنة عدن)، لكنهم يعشقوا الفكرة المختلطة مع الغموض والسعادة التي تغمرهم، فالملابس في غاية الجمال ومصنوعة من خامات فاخرة وتصميمها يتناسب مع شخصيتهم وذوقهم الشخصي، ف(حياة) أكثر شخص يعرفهم جيداً. والفضول الكبير لديهم كان يقتلهم ولكن لا يوجد شيئاً بأيديهم سوى الانتظار...

* * *

يأتي يوم الحفلة، يرتدي كل منهم الملابس، وكانت بذلة (حب) ذات لون أزرق داكن بها خطوط رأسية تلمع في الإضاءة، وسترة من نفس لون البذلة مع كرافت حمراء عريضة. أما بذلة (سلام) سمنية [بيج] اللون بدرجة فاتحة، وقميص من القماش الأبيض وحذاء بني اللون مع كرافت ذات لون بني محروق. بذلة (أمل) سوداء بها أجزاء ذات لمعان خاص، مشدودة بتنسيق على جسده، تحتوي على باطنة حمراء داكنة، والقميص من القماش أسود اللون لا يوجد به لمعة، وكرافت حمراء داكنة متوسطة العرض. بذلة (براءة) زرقاء فاتحة كالسما، لون (براءة) المفضل وبها دبوس لونه بنفسجي مصنوع على شكل (المبدع ستيفن)، موضوع بالجانب الأيسر بجاكيت البذلة، لا يرتدي (براءة) الكرافت فهو لا يعلم كيف يعقدها فيترك الزر الأخير للقميص مفتوحاً. أما (هدوء) كان فستاناً في غاية الجمال لونه أبيض كالثلج، به بعض أحجار الكريستال التي تتلألأ كما لو كانت نجوم بالسماء، ترتدي حذاء ذهبي ذو كعب عالي تسير بصعوبة، وتخفي ذلك جيداً فهذه المرة الأولى التي ترتدي بها كعباً مرتفعاً...

* * *

يصلوا جميعهم لمدخل المسرح المصغر، ويشاهدوا سجادة حمراء بالمرمر،

يقف فوقها (حياة) منتظرهم مرتدبًا بذلة بيضاء حتى الكرافت والحذاء أبيض اللون...

يقودهم (حياة) إلى داخل المسرح وبمجرد أن دخلوا يدوروا حول أنفسهم متأملين جمال ودقة المسرح الخلاب، يقفوا هائمين أمام التماثيل ذات اللون الذهبي، وجمال نحتها التي نحتت على شكل آلهة وملهمات الموسيقى، يرتفعوا بأعينهم إلى السقف ويجدوا نسخة من لوحة الحكم الأخير لمايكل أنجلو ملصقة وكانت مطبوعة بدقة لا بأس بها، وبمنتصف السقف توجد نجفة عملاقة من الكريستال، أسفلها مباشرة البيانو وخلفه شرفة عملاقة وحولها جدران مرسوم عليها آلات موسيقية، وصور، ولوحات لأشهر العازفين بالتاريخ... (موزارت)، (بتهوفن)، (باخ)، (ساليري)، (شوبرت)، (شوبان)، (تشايكوفسكي)...

يقود (حياة) كل منهم إلى مقعده حول البيانو، ثم يجلس على البيانو ويرفع غطاء المفاتيح ويطرق أصابعه:

"- ذلك الشعور الذي شعرت به... الشعور الذي أمتلكه، ولا يوجد أحدًا

بإمكانه سلبه مني... هو ما أريد منحه لكم"

ثم يبدأ بالعزف وتبدأ لحظة ميلاد جديدة لهم، فموسيقى (حياة) تجعلهم يروا العالم بطريقة مختلفة تملأ قلوبهم بسعادة وفرحة، تأخذهم إلى أجمل الأماكن في خيال كل منهم مختبرين أحاسيس جديدة، لم يمروا بها من قبل، (فحب) اكتشف عشق قلبه ل(هدوء)، فعندما سمع موسيقى (حياة)، نظر إليها وشاهد ابتسامتها الساحرة، علم أنه يحبها بشدة، فهو كان لديه شعور نحوها لا يستطيع تفسيره، والموسيقى ساعدته على فهمه، فموسيقى (حياة) تجعلك تكتشف نفسك، وتعرف الكثير عنها من خلال الأحاسيس التي تطلقها بداخلك...

(هدوء) تسرح بعالم خاص بها، تغلق عينيها، ترى نفسها أميرة ترقص مع فارسها المقنع على ألحان (حياة)، فيعلو وجهها بابتسامة صادرة من قلبها وهناك سعادة (سلام) التي لا توصف، فالموسيقى أكدت له إنه لن يكون وحيداً بعد الآن، فهو أصبح لديه عائلة ودعنا لا ننسى (أمل) الغارق في خياله وأحلامه التي يشاهدها بذهنه تتحول لحقيقة، فعزف (حياة) يعطيه المزيد من الإصرار والأمل ليحقق ما يحلم به، (براءة) المندمج مع العزف، شديد التركيز على عزف (حياة)، لا يشعر بأي شيء آخر حوله، فقد كان مثل تأثير السحر عليه، كان إحساس لم يعرفه من قبل يوازي حبه وتعلقه بفكرة العائلة، وأصبح احتياجه للموسيقى مثل احتياجه للعائلة...

* * *

في هذه الأثناء (الأم) بغرفة اتصال خاصة بها وسرية تتحدث من خلالها مع (الأب) صوت وصورة.

تقف (الأم) أمام شاشة عملاقة توجد بمنتصف الغرفة يوجد بها صورة ل(الأب) الذي يبدو على الشاشة مجرد ظلًا، لا يبدو له أي ملامح تسمع فقط منه الصوت، ترى فقط إشارات وحركات جسده.
(الأم):

- "إليك التقرير المختصر الخاص بكل طفل"

(هدوء) طفلة مثل عروسة الباري، تنظر للحياة ببساطة وتنظر إلى كمثل أعلى تريد تقليده وتصبح مثله، ولهذا لديها تعلق بي شديد، تريد مني تعليمها كيف تصبح سيدة مجتمعت مثلي.

(براءة) مازال في مرحلة الطفولة البريئة غير المبررة، مؤمن بدرجة كبيرة

بفكرة العائلة، يصدقها برغم سنه ووعيه الكبير، يفهم ويدرك الواقع، يطيع الأوامر بصورة عمياء دون أي نقاش، لا يريد أن يجعلنا نحن (الأب) أو (الأم) غير سعداء بابنهما ولُوَحظ أيضًا تقليل جهده متعمدًا باختبارات هذا العام حتى يضمن لـ(حياة) حصوله على المركز الأول.

(حب) مازال كما هو، لا تغيير برغم الضغط الكبير الواقع عليه، ولا نتوقع أن يكون ضمن (الأبناء السبعة) فجميع التقارير تشير إلى انعدام كفاءته ولكن المثير والملفت استطاعته على الصمود والوقوف أمام جميع العقبات التي نضعها بطريقه لكننا مازلنا متأكدين أنه سيُصبح حلقة الضعف ببرنامج (الأبناء السبعة)، لذلك سيتم استخدامه من الآن وصاعدًا كأداة لتحفيز الآخرين على عدم الإخفاق، مثال للعقاب أمام الآخرين لإشاعة الخوف داخلهم فإننا سنضغط عليه الآن بكل ما يمكن من شدة طوال الوقت، دون أي مبالاة أو مراعاة لحالته النفسية، ومقدار قدرته على التحمل، فنحن لا نريده ببرنامج (الأبناء السبعة)، ولا بد من ضمان عدم نجاحه... فإما أن يتغير أو يتدمر.

(أمل) شخص ذو طموح وأمال كبيرة، يفعل المستحيل لتحقيقها، يحاول دفع نفسه واكتشاف حدوده وقدراته، ذو روح منافسة شريفة يريد أن يكون الأفضل وأن يخلد بالتاريخ، لديه تعلق وإعجاب شديد بأستاذ فنون القتال (جون براد) الذي يعلمه واعتبره (أمل) كمدرّب شخصي سيساعده على تحقيق ما يطمح إليه.

(سلام) قوي ولديه قدرة فائقة على تحمل الألم والصعوبات، لا ينكسر أو ينغمر بأحزانه، لديه الآن حالة من التناغم مع الجميع، خرج من قوقعة وحدته، وهناك ترابط خاص وشديد مع (حياة) فهو يعتبره أخ أصغر له، يخاف عليه من

التعرض للأذى والألم.

(سادى) غير مستقر يسير خلف رغباته الداخلية من تعذيب الآخرين لأهوائه الشخصية، يعمل على توريث الآخرين بالمشاكل حتى يتم عقابهم ويكون الأول بصفوف مشاهدة العقاب، يتلذذ بمعاناة الآخرين، ويصبح بقمة سعادته أثناء ذلك، ولكنه حتى الآن مطيع للأوامر وينفذ المطلوب منه.

(حياة) أحدث تقدم جبار وملحوظ، يمنح الجميع إحساس بالحياة، فهم لم يتعاملوا مع بعضهم قبل ظهوره بالصورة، يمكننا القول إنه الصمغ الذي يمسك المجموعة، أفعاله وتصرفاته مع الآخرين تساعد بشكل فعال على تقدمهم وتحسنهم الهائل، لذلك نرى ترك (حياة) يستمر كما هو دون أي تدخل حتى بخصوص تكهنات خروجه المتكرر من (جنة عدن).

الباقى لا يوجد لديهم المتطلبات اللازمة لكي يصبحوا أحد (الأبناء السبعة) ولكن أحدهم قد يكون لديه لهذا نريد العمل على تطويره، وجعله لائق بالدرجة الكافية التي تليق بالبرنامج، فهو جندي مثالي، لا يوجد به احتمالية ظهور أي عيوب قد تؤثر على البرنامج، لهذا تم عمل خطة وعناية خاصة لتطوير الطفل رقم ٢٤٦٠١.

ذلك كان ملخص التقرير، وتم إرسال نسخة من التقرير المفصل إلى الأرشيف، وتستطيع الاطلاع عليه وقتما تشاء..."
يهز (الأب) رأسه بالموافقة ويغلق المحادثة دون قول كلمة...

* * *

السيمفونية الثانية

سيمفونية الأم الحياة

عام ١٩٩٤، يعتبر أسعد عام مر بحياة هؤلاء الأطفال... فعزف (حياة) أصبح شيئاً متكرراً شهرياً ينتظروه بفارغ الصبر، و(حياة) يهتم بكيفية جعل الحفلة أكثر إبهاراً وسعادة، يدرس ويتعلم مقطوعات جديدة للبيانو، وقد يؤلف بعضها ويعدل من بعض المقطوعات الكلاسيكية، وكل ذلك بجوار دراسته ليضمن احتفاظه بالمركز الأول حتى لا يفقد المسرح، فهو يخشى إذا فقد مركزه قد يحرّمه من عمل تلك الحفلات. فهذه الحفلات جعلت الجميع سعداء، ف(سلام) للمرة الأولى يصبح لديه ذكريات سعيدة يستدعيها كلما شاء، وإعجاب (حب) تجاه (هدوء) يأخذ بالتزايد دون البوح بأي شيء لها، يخشى مصارحتها أو بالأصح لا يعرف ما التصرف المناسب أو ماذا يقول، فهو خجول جداً معها، لا يمكنه إكمال جملة واحدة سليمة عندما يقف بمفرده معها وليس ذلك فقط بل مشكلة التلعثم تظهر بشدة معها، بالرغم من مساعدة (حياة) له، ليتغلب على تلعثمه التي ساهمت بشكل كبير في تحسنه، لكنه ينسى ما تعلمه من (حياة) ويفقد نفسه أمامها، فكل ما يريده الصمت والنظر بتأمل لوجهها، وهي لا تملك أدنى فكرة عما يشعر به تجاهها، غارقة بسعادتها الخاصة وبأحلامها الوردية. أما إذا انتقلنا إلى (أمل) نجده في ليلة الحفلة يخرج خارج دائرة المذاكرة والتدريب، يحيا دون أي ضغط أو تفكير بالمستقبل، يعيش في اللحظة، تاركاً كل شيء يشغل باله، مستسلماً لأحاسيسه. أما بالنسبة ل(براءة)، لا يريد انتهاء هذه المشاعر، ولهذا يترك الساحة ل(حياة) ليحصل على المركز الأول، ف(براءة) هو أيضاً يريد استمرار هذه الحفلات إلى الأبد، فهي تعطيه ما

يتمناه، وما يؤمن به في العالم، تعطيه وهم العائلة الذي صنعه عقله وصدقه
بنجون. و(سادي) ليس له مكان بالحفلة لأنه منبوذ منها وممنوع حتى من الجلوس
معهم بأوقات الفراغ أو المذاكرة، والذي كان يقف له بالمرصاد، ويحرص على ذلك
(سلام) ولذلك اضطر (سادي) لتركيز اهتمامه على الأطفال الآخرين الذين كانوا يؤدون
الغرض بإشباع رغبات (سادي) المريضة بالتعذيب النفسي وعمل المقالب المؤلمة.
كان هذا العام مثالي لهم، فلا يوجد به أي ذكريات مؤلمة أو أي حزن، كان
سعادة خالصة بفضل هذه الحفلات التي ملأت الجو بالجمال والسحر، ممزوجة
بالضحكات والسعادة، التي لا يمكن أن تصفها أو تعطى حقها الكلمات...

* * *

يأتي نهاية عام ١٩٩٤ وتظهر النتائج ويختفي معها آخر طفلان، متبقيًا
السبعة المطلوبين للبدء بالمرحلة الثانية من البرنامج، ولكن (الأم) تتفاجأ بوجود
(حب) ضمن (الأبناء السبعة) وليس الطفل ٢٤٦٠١ الذي كان من المفترض أن يكون
بديلاً له، بالرغم إنه في جميع الأعوام السابقة كان يعلوه في التقدير مما سبب
دهشة وغضب (الأم)، فهي تعلم أن وجود (حب) بالبرنامج سيسبب ضعف به، وقد
يفشل البرنامج بأكمله بسببه، والجميع كان متفقاً معها بهذا الرأي، الجانب النفسي
والعسكري. والذي لم تكن تعرفه (الأم) والآخرين أن السبب الرئيسي بعدم وجود
ذلك الطفل هو (سادي)، فيما أنه لا يقدر على الاقتراب من الآخرين بسبب (سلام)،
فاضطر لتركيز كافة طاقته على هذا الطفل، والطفل الآخر الذي معه مما أضر
بحالته النفسية، التي أثرت بدورها على تقديره، فالطفلان كانوا يخشيان (سادي)
بشدة، ولم يخبروا أي شخص بما يعانوه لخوفهما من رد فعله...
كان وجود (حب) بالسبعة المطلوبين، لبدء برنامج (الأبناء السبعة) شيء

كارثي على جميع المستويات، لهذا تم عقد اجتماع طارئ مع الجانب النفسي والعسكري لمناقشة الوضع، وإيجاد الحل الأمثل، ولكن لا يوجد شيئاً بيدهم، فالقوانين والقواعد صارمة ومحكمة بشدة، ولا بد عليهم تقبل الأمر الواقع، لذلك ترضي (الأم) بالأمر بشرط الضغط على (حب) حتى يصبح جديراً بوجوده في البرنامج، ويفعلوا المستحيل حتى لا يكون سبباً في فشله أو يصبح حلقة الضعف به، ولو أدى ذلك الضغط لتدميره أو موته، فهذه نتيجة تقبلها (الأم)، وكما قالت بالاجتماع:

"برنامج ناجح بستة أفضل من برنامج بسبعة قد يكون مصيره الفشل..."
بنهاية الاجتماع تعطي (الأم) إشارة البدء بالمرحلة الثانية من برنامج (الأبناء السبعة)... وهي تدخل الجانب العسكري، وسيطرته التامة في التعامل مع الأطفال، ويصبح الجانب النفسي مجرد مراقب وضامن للحالة النفسية التي تتناسب مع متطلبات البرنامج...

* * *

المرحلة الثانية: تتكون من ثلاثة أجزاء وجميعها تتطلب القسوة الشديدة مع الأطفال مهما حدث، والجزء الأول منها: يتم تدريبهم على استخدام أسلحة حية وفنون قتال الحروب التي تشمل كيفية عمل حرب العصابات، وكيفية التعامل والسيطرة عليهما، ويتم معاقبة كل من يخطأ، أو من لا يحصل على الدرجة النهائية... فالآن أصبح مطلوباً من الجميع الحصول على الدرجات النهائية، وعدم القبول بأقل من ذلك، ويصبح تعامل (الأم) أشد قسوة مع (حب) عن الآخرين بكثير، فهو يتم معاقبته على أقل خطأ مهما كان تافهاً وصغيراً مثل عدم تنظيم سيره أو تعثره بالكلام مع القادة، والعقاب لا بد وأن يكون أمام الآخرين، حتى يكون عبرةً ومثالاً حياً

على من يتخاذل في القيام بالمطلوب منهم. شدة وقسوة (الأم) تجاه (حب) في هذه المرحلة جعلت حتى بعض الحراس يشعروا بشيء بسيط من الأسى والشفقة نحوه، بالرغم من أنهم منعدمي الإحساس والمشاعر ذو قلوب حجرية. ولم يتوقف الأمر على (حب)، بل كراهية وغيره (الأم) تزداد تجاه (هدوء)، لحد الجنون الواضح أمام الجميع، ف(هدوء) نضجت بشكل كبير بالنسبة لفتاة في الحادية عشر من عمرها، وأصبحت (الأم) تشعر بالتهديد منها كأنثى أكثر مما سبق لعدة أسباب لاحظتها (الأم)، منها عدم نظر الحراس إليها عندما تتواجد (هدوء) معها بنفس المكان، وأيضًا بالماضي كانت كاميرات المراقبة تتبعها في جميع تحركاتها ب(جنة عدن)، فالحراس كانوا يعشقوا متابعتها بكل مكان، أما الآن الكاميرات تتحرك فقط باتجاه (هدوء) أينما ذهبت، حتى إذا كانت (الأم) موجودة بنفس المكان، وما زاد الأمر سوءًا هو قول (الأب) مازحًا بإحدى المرات:

"بيدو أن (هدوء) ستصبح وريثتك في الجمال..."

ف(الأم) لا تريد أن يورثها أحد، تريد أن تكون الأولى مخلدة للأبد، مهمما حدث. وأدت هذه الكراهية والغيرة لاحتكاك دائم بين (الأم) و(هدوء)، ففي إحدى المرات جن جنونها بسبب سماعها لأحد الحراس، وهو يقول لزملائه قصائد شعر، وغزل في شعر (هدوء) الذهبي وكيف إنه أجمل شعرراه بالكون، فأمرت بنفس اليوم قص شعر (هدوء) الطويل كالأولاد وأن لا يسمح لها بتطويله لمدة ٤ سنوات، وأن ترتدي ملابس الأولاد دائمًا، ولم تقف (الأم) عند هذا الحد بل ذهبت لغرفة (هدوء) وأمرت الحراس بجمع، ووضع كل شيء يرمز إليها فتاة، وبالتحديد مجموعة العرائس الخاصة بها في جبل بمنصف الغرفة واستدعاءها لتقف بجوارها لتشاهدها وهي تعطي الأمر بإحراق أشياءها، وبالرغم من ذلك مازالت (هدوء) تتعلق ب(الأم)، وتنظر

إليها كمثل أعلى وتريد أن تبدو قوية أمامها وإنها بإمكانها تحمل أي شيء مثلها إلا أن عينيها أخذت بالبكاء بشدة، وهي تشاهد عرائسها تأكلها النيران ولاحظت (الأم) ذلك، فانحنت لها وهمست بإذنها بصوت قاسي بارد ممتلئ بالتحدي:

"لا تحاولي أن تكوني شيئاً، لا يمكنك أن تكونيه"

وتم كل ذلك أمام باقي الاطفال، وأصدرت (الأم) تعليمات بمعاملة (هدوء) مثل الذكور حتى طريقة الكلام، من خلال عدم استخدام الضمير المؤنث معها، والهدف من ذلك مجرد محاولة منها لجعلها تنسى أنوثتها، وتصبح ولدًا لتدمرها نفسيًا، وتجعل الرجال يفقدوا اهتمامهم بها، ف(الأم) ترى الأنوثة أساس السيدة، فلذلك لا تريد أن يغلبها أحد بميدان الأنوثة...

لم يسلم أحد من التعامل القاسي، فالجميع يحصل عليه، ولكن باختلاف درجاته، والشخص الوحيد الذي لا يكره هذا التعامل بل على العكس يحبه بشدة كان (سادي)، بل إنه يتعمد فعل الخطأ حتى يتم عقابه، فهو الآن يتلذذ بالمعاقبة، ويعشق مشاهدة عقاب الآخرين، خصوصًا (حب) الذي أصبح عقابه شيئًا يوميًا معتادًا عليه من قبل الجميع. (براءة) لا يمكنه فهم سبب هذه المعاملة مما أدى لعدم تقبل عقله لتلك القسوة الشديدة، فلهذا لجأ لخلق الأعذار، والعالم الوهمي الخاص به الذي أصبح يرى العالم من خلاله حاجبًا لكل الأشياء السيئة عنه. (أمل) ينشأ لديه إحساس إنه لا يمتلك المطلوب لتحقيق أحلامه وأماله بالحياة، الذي يتحول لبذرة خوف داخله تنمو بصمت، فهذه المعاملة القاسية تجعله يشعر بأنه فاشل وضعيف، يملك أحلام كبيرة لا يقدر عليها جسده الفاني أن يحققها، اليأس أصبح سيده المتحكم بمصيره، لا يوجد لديه القوة لقتل يأسه، ولا يقوى

على الحياة هكذا، فهو الآن على شفا الانهيار التام. أما (سلام) لا تؤثر به هذه المعاملة إطلاقاً فطالما كان هو الأقوى، فقد رأى الأسوأ وعاش قبح الحياة لهذا لا يبالي بما يجرى له بسبب قدرته المهولة على التحمل، وركز جميع اهتمامه وتفكيره بهذه الفترة في محاولة التخفيف عن (حياة) قدر المستطاع، مهما كانت الظروف حتى لا يتعرض لهذه المعاملة، و(الأم) لا تعلم بذلك، أو حتى المساعدين بسبب مهارته في إخفاء الأمر بشكل جيد. (حياة) لا يشعر بالتغير في المعاملة، فمساعدة (سلام) له ساهمت بتخفيفها، فهو كان يساعده في التدريب، يعلمه كل خبرته ليصبح الأفضل، وأحياناً يلعب بدرجاته وتقديره العملي من خلال مساعدة خفية، وهي إرهاب المدرسين والمتحدثين له قبلها، ولذلك أصبح (حياة) الفتى الذهبي، فدرجاته جميعها درجات نهائية، ولكن مع ذلك يوجد ما يؤلم ويؤثر بنفسيته، وهي رؤية معاناة أخواته وتغيرهم، لهذا قرر مساعدتهم بشتى الطرق حتى لا يفقدوا أنفسهم...

في حفلة شهر فبراير من عام ١٩٩٥ قرر (حياة) فعل شيئاً مختلفاً وجديداً بها، فعندما أتى الجميع للمسرح يوم الحفلة، كان يقف أمام البيانو الذي كان يوجد فوقه صناديق مغلقة بورق هدايا ملفتة للأنظار، وقال:

"أريد منكم الجلوس، فهذه الحفلة مختلفة عن أي حفلة"

يجلس الجميع أمام البيانو بأماكنهم المعتادة، ويكمل (حياة) كلامه:

"أريد فعل شيئاً خاصاً لكم... شيء يعبر عن مدى حبي"

يلتفت (حياة) للهدايا التي فوق البيانو، يأخذ أول هدية، ويتجه بها ل(هدوء)، يعطيها إياها، وتمزق (هدوء) ورق الهدايا بشغف، وسرعان ما تجد أسفل

الأوراق عروسة باربي نادرة، فهي تعلم إنها نسخة فريدة من نوعها، فقد تم صناعة ٣٠٠٠ نسخة منها فقط، ومن الصعب الحصول على إحداها، فبالرغم من أنهم محبوسين بدجنة عدن) لكنهم على صلة قوية بالعالم الخارجي من المكتبة، والمشاهدة المحدودة للتلفزيون...

(حياة):

-أعلم أنها شيء بسيط ليس بإمكانه تعويضك عما أخذ منك"

تمتلئ عين (هدوء) بالسعادة، تنظر للعروسة ثم تحضنها بشدة، وهي مازالت في علمتها ولكن تتغير نظراتها إلى نظرات حزينة بسرعة وتقول:

-لكن... لا يمكنني الاحتفاظ بها، فالأم) ستحرقها مثلما فعلت مع

الأخرين"

-لا تقلقي، يمكنك إخفاءها بغرفتي، والقدم لدى عندما ترغب باللعب

بها، في أي وقت"

-أحقا ذلك؟! وهي تبتسم بشدة.

-أجل، فكل ما أريده عدم مفارقة وجهك لهذه الابتسامة"

فتنهض هنا (هدوء)، وتحضنه بشدة وهي تقول:

-شكراً لك"

كان (حب) يتأمل (هدوء) بكل اهتمام، لاحظ مدى فرحتها بالهدية، فعلم بداخله إنه لا بد من عمل شيء ما مميز ومختلف، يستطيع من خلاله إثبات اهتمامه تجاهها، ولا بد أن يكون أفضل مما فعله (حياة)...

يحضر (حياة) هدية أخرى ويتجه بها ل(براءة) ثم يعطيها له، وهو يقول:

-أعلم كم تحب عائلتك، وكم تريد الاحتفاظ بذلك"

يفتح (براءة) الهدية ويجدها كاميرا، فيقفز من الفرحة بسعادة ويقول:
"-الآن يمكنني حفظ جميع ذكرياتنا معًا، سأصنع ألبوم يسعنا جميعًا...
أنا... وأخواتي... و(الأم) و(الأب)"

ثم يمسك كتالوج الكاميرا، وينشغل بقراءته متجاهلاً أي شيء آخر كالطفل
الذي حصل على لعبته الجديدة للتو.
يذهب (حياة) هدية (أمل)، ويعطيه إليه ليجدها عبارة عن مفكرة جميلة
لها طابع الشكل الأثري
(حياة):

"-حتى تكتب أهدافك وطموحتك"

"-أعلم أول شيء سأكتبه"

فيكتب (أمل) شيئاً ما بالمفكرة ثم يرفعها تجاه (حياة)، الذي يبتسم
بسعادة عندما يشاهد المكتوب، ثم يقرأها (حياة) بصوت عالي ليسمعها الآخرين:
"-العائلة كل شيء"

(أمل):

"-إحدى أهم أولوياتي"

يتجه (حياة) ل(حب) بهديته ويفتحها، فيجدها نظارة شمس ذات سطح
عاكس، لا يسمح برؤية عين من يرتديها، فينظر (حب) إليه باستغراب.
(حياة):

"-هذا حل مؤقت للتعود على النظر بأعين الآخرين عند التحدث"

ثم يبتسم (حب) بشدة، فهو شديد الخجل مع الآخرين، دائماً ما يتجنب
النظر بأعينهم، ويرتبك عندما ينظروا إليه، والنظارة هي الحل الأنسب الآن لحالته...

يتجه (حياة) إلى (سلام) حاملاً هديته، هدية مختلفة عن الهدايا الأخرى، فهي ضخمة للغاية واضطر لسرقة المال اللازم لها من الحراس ليتمكن من عملها، فهدايا الآخرين سرقها دون دفع أي أموال مقابلها، يفتح (سلام) الهدية، ويجدها لوحة زيتية ضخمة مرسومة لهم هم الستة جالسين حول البيانو في لحظة سعادة، و(حياة) لا يعزف جالساً على البيانو، ينظر إليهم مبتسماً وهم بحالة من السعادة والضحك...

(حياة) ل(سلام) الذي يبدو عليه التأثر بشدة:

- "لقد أردت أن تمتلك لوحة لعائلتك، لتعلم إنك لن تكون وحيداً بعد الآن"

يضع (سلام) يديه على اللوحة ويحركها ببطء وبرقة:

- "التفاصيل... الدقة... إنها كما لو كانت حية"

ثم ينهض الجميع ويقفوا خلف (سلام) ليشاهدوا اللوحة التي يشكر فيها لهذه الدرجة، وينبهروا هم أيضاً، فكل واحد منهم شعر بأنه يرى نفسه الداخلية، فقد أسرت اللوحة روح كل منهم...

(حياة):

- "لقد أعطيت الفنان صور لكم، وأخذت وقت طويلاً، لأشرح له ابتسامة

كل واحد منكم حتى تكون حقيقية وواقعية... فهي تحمل جزء منكم... الجزء الذي أراه أمامي، الجزء الذي يدفعني للاستمرار بعمل هذه الحفلات... الجزء الذي يعطيني الحياة"

يترك (سلام) اللوحة، وينهض ليحضن (حياة)

(سلام):

- "شكرًا لك" والدموع تتساقط من عينيه

يتجه كل أحد منهم لـ(حياة)، ويحضنوه جميعهم و(حياة) يشعر بالسعادة الشديدة داخله، فيحضر الهدايا لهم ساهم بجزء كبير في تحسين حالتهم النفسية، ولهذا قرر جعله تقليدًا مستمرًا بكل حفلة يقيمها...

قد يبدو شيئًا غريبًا انضمام (حب) هو الآخر بالحضن الجماعي لـ(حياة)، فالحقيقة هو لا يشعر بحقد كبير تجاهه، فهو يعلم داخله أن ما يفعله (حياة) هو محاولة إسعادهم مهما كلفه الأمر، ولكن عدم ثقته تجعله أحيانًا يشعر بالقلق من نظرات الإعجاب التي تظهر على (هدوء)، كلما عزف (حياة) على البيانو، وهنا يأتي بذهنه سؤال يفزعه، ماذا إذا قررت (هدوء) مقارنته بـ(حياة)، فهو يشعر داخله إنه مهما فعل لن يتفوق عما يفعله (حياة)، فهو لا يستطيع العزف مثله أو حتى الإتيان بهدايا مذهلة، لأنه لا يعرف كيف يتسلل مثله من (جنة عدن) دون ملاحظة الحراس...

تنتهي الحفلة، ويرحل الجميع وكان كل ما يشغل تفكير (حب) منذ أعطى (حياة) هديته لـ(هدوء)، كيف بإمكانه إسعادها أكثر من ذلك، وكيف إنه أمر في غاية الصعوبة والتوتر بالنسبة له، فعقله لا يستطيع إيجاد شيء قد يتفوق به على هدية (حياة) حتى جاءت الفكرة وهو بطريقه لغرفته، فالهدية تكون أكثر قيمة وتأثير إذا كانت في مناسبة، وبالنسبة للمناسبات لا توجد أي مناسبة أكثر أهمية من عيد ميلاد الشخص، لهذا قرر وضع كل جهده ليعرف التاريخ الحقيقي لعيد ميلادها مهما كلفه الأمر...

قضى (حب) العديد من الأيام محاولاً اختراق الأرشيف لكن دون أي جدوى، لهذا قرر عمل شيء مجنون وهو معرفة التاريخ من خلال ملفات الأطباء النفسيين...

يفتعل (حب) المشاكل النفسية بقدر المستطاع ليحصل على جلسات مع الطبيب النفسي، وكل مرة يتمنى أن يكون الحظ حليفه، ويجد ملفها لكنه لا يجده. إلى أن شاءت الأقدار بكون جلسته قبل جلسة روتينية لتقييم (هدوء)، وكان ملفها على مكتب الطبيب وعندما لاحظ الملف، سكب (حب) فنجان القهوة على ملابس الطبيب، مما اضطره للنهوض والذهاب إلى الحمام لينظف ملابسه. تاركًا (حب) والملف بنفس الغرفة.

يفتح (حب) الملف ويحاول تصفحه بسرعة قبل عودة الطبيب، والملف لم يكن صغير بل كان ضخيم بعض الشيء ولا يعلم أين يبحث عنه، وإن كان موجود أم لا ويتمنى بشدة احتوائه على تاريخ الميلاد، فهي المحاولة الوحيدة وأخر ما يمكنه فعله، لكنه لم يجده بالملف ورغم ذلك لم تحبط عزيمته واستمر بمراجعة الملف عدة مرات حتى سمع باب الحمام يفتح، فأغلق الملف ولكن عند غلقه اكتشف أن الورقة الأولى ملتصقة بالغلاف ففصلهما عن بعضهما، وهنا وقع نظره عليها لمدة ثانية ثم عاد للجلوس بسرعة قبل عودة الطبيب الذي أكمل الجلسة مع (حب) التي قضاهما مبتسمًا بشدة واضحة دون أن يعلم الطبيب لماذا تلك الابتسامة، فقد كانت الثانية السريعة كافية له برؤية تاريخ الميلاد وحفظه. كان السبب بعدم ملاحظته للورقة الأولى، التوتر والسرعة التي كان يبحث بها، فلم يكن يدقق إذا كانت الأوراق ملتصقة ببعضها أم لا، ولكن كل ذلك لا يهم الآن بالنسبة له، فقد حصل على مراده، فهو الآن يمتلك تاريخ عيد ميلادها... الخامس من إبريل والآن يأتي الأمر

الأصعب بالنسبة له، وهو إحضار هدية لها، هدية تليق بها، هدية ترمز بمدى حبه لها...

يحاول (حب) إيجاد أي طريقة للتسلل من (جنة عدن) ولكنه يفشل بذلك، استمر بالمحاولة لأسابيع وقضى وقتاً طويلاً بدراسة المكان، وكان يتواجد دائماً بالحديقة، متأملاً الأسوار وأبراج المراقبة محاولاً إيجاد نقطة ضعف بهم لكن الأمر كان أكبر من إمكانياته، والوقت لم يكن في صالحه، فقد أوشك عيد ميلادها على الاقتراب، فهو الآن بأخر أيام شهر مارس لذلك من يأسه، قرر فعل الشيء الذي يقدر عليه الآن وهو تقديم وردة حمراء من الحديقة، يشعر (حب) بأن هديته ضعيفة، وأقل قيمة من هدايا (حياة) ولكن لا بد من إعطائها شيئاً، فمنذ معرفته للتاريخ وهو يشعر أنه لا يستطيع العيش مع نفسه إذا مر تاريخ عيد ميلادها دون إهدائها أي شيء...

* * *

يأتي اليوم الموعود... يوم الخميس من إبريل، يقف (حب) أمام باب غرفتها ممسكاً بالوردة الحمراء متردداً بطرق الباب، يشعر بالخجل الشديد من هديته البسيطة التي قد تبدو إليه شيئاً تافهًا، ولكنها لم تكن كذلك، ف(حب) أمضى خمسة أيام بالبحث عن الوردة المثالية، الوردة التي لا يشوبها شيء، ذات درجة الاحمرار المضبوطة، تمتلك جميع أوراقها، وفي كامل نضوجها وتمتلك الرائحة الخلابة، وللأسف كان لا يرى ذلك، فهو ينظر لهديته بأنها لا ترتقي بمكانتها لديه، يراها أكثر كهدية رمزية لهذا يقرر تركها أسفل باب الغرفة وطرق الباب والرحيل دون توضيح أي شيء. يقف (حب) مختبئاً بعيداً عن نظرها يراقبها ليشاهد رد فعلها للوردة، وعندما وقع نظرها على الوردة واستنشقت عيبرها، شاهد ابتسامة جميلة

لم يرَ مثلها من قبل، ابتسامة جديدة عليه، شيء مميز، هو وحده من حصل عليه
وذلك كان كفيلاً بإسعاده، فرحل دون قول أي شيء...

بنهاية عام ١٩٩٥ نجد أن ما فعله (حياة) نجح بمسح جزء من حزن
(هدوء) تجاه (الأم) فبإحضاره العرائس واختفاءها بغرفته وقدمها للعب بها بغرفته
وقتما تشاء، ساهم بسعادتها وعودة ابتسامتها أمام الجميع، وذلك كان يؤثر بسوء
على (حب) وتبدأ مشاعر كراهية ضعيفة تولد بداخله، فالظروف كانت تتراكم
عليه، فهناك معاقبته التي كانت تتم دائماً أمام الجميع وَكَانَ لا يؤلمه حضور
الأخرين أو حتى يبالي بوجودهم... ما كان يؤلمه ويدمره بشدة حضور (هدوء) ورؤيته
وهو يعاقب، يشعر أن معاقبته أمامها تقلل من شأنه وكرامته، فأصبح يلوم (حياة)
على ذلك، فتقدمه في المراكز جعله بالمركز الأخير، ف(حياة) كان هو من يحصل على
المركز الأخير بالماضي دائماً، يوجد أيضاً الغيرة الناشئة من تردد (هدوء) على غرفة
(حياة) لتلعب بالعرائس التي يحتفظ بها من أجلها، لم يكن يعلم (حب) أن ذلك
الإعجاب مجرد إعجاب أخوي لا أكثر ولا أقل...

مع بداية عام ١٩٩٦ يبدأ الجزء الثاني من المرحلة الثانية وهو تدريبهم
على صيد وذبج الحيوانات الأليفة، وبعد أن يتم نجاحهم بذلك التدريب يتنقلوا
للتدريب الثاني؛ وهو وجودهم لأسابيع بالأدغال محملين فقط بسكين دون أي
وسائل أخرى للنجاة، وعلمهم إيجاد طريقة ليعيشوا بها دون أي مساعدة من العالم
الخارجي، وليس ذلك فقط بل إنه يتم إطلاق الحيوانات المتوحشة عليهم بالأدغال،
وتركهم بمفردهم لكي يتعاملوا معها، ويدخلوا في معركة البقاء للأقوى والأمر كان في

غاية الصعوبة، فالعوامل الجوية لا تساعدهم، فالجو كان شديد البرودة وأحياناً تمطر سيول بشدة دون توقف، لا يوجد معهم أي مؤن أو معدات أخرى تساعدهم. وكانت هذه الفترة أصعب من أي شيء واجهوه بـ(جنة عدن) وكل شيء فعله (حياة) من أجلهم أخذ بالتلاشي حتى (حياة) نفسه أصبح التغيير يؤثر به لكنه يحاول المقاومة بكل ما يستطيع من قوة ليعطي لأخواته الأمل بأن الأمور ستتحسن ولا يوجد شيئاً بإمكانه تغييرهم. لهذا يذهب (حياة) بشكل مستمر إلى الآخرين ليتفقد أمرهم، ويشاهد كيف تعاملوا مع هذه المواقف، يلاحظ أن هناك شيئاً ما غريباً وجديداً يولد بداخل كل واحد منهم، ينشأ خيوط سيطرة عليهم والذي سيقودهم لطريق مظلم...

(هدوء) أصبحت قليلة الكلام وتتصرف مثل الأولاد ولا تلعب بالعرائس، وأحياناً يجدها (حياة) بغرفته جالسة في منتصفها وحولها العرائس التي مازالت مغلقة كما هي في علمها، تتأملها (هدوء)، وعلى وجهها ملامح الانكسار والحزن. حاول (حب) مصارحة (هدوء) بجزء من مشاعره نحوها أملاً أن تكون سبباً في تخفيف ما يشعر به داخله من انقسام بين طبيعته التي تتسم بالحب والمشاعر الغريبة، التي تسيطر عليه لكن للأسف كان بها ما يكفيها، فهي لا تستطيع التعامل بما يحدث داخلها، فكيف تتعامل مع مشاعر (حب) نحوها، لذلك تم مقابلة هذه المشاعر بالرفض الحاد والمؤلم، مما أدى لأن يصبح (حب) ساخطاً على العالم، بدأ بلوم الجميع والمجتمع فيما يحدث له، وبالرغم من كل ما فعلته (هدوء) به، لا يمكنه نسيان عيد ميلادها وتركه يمر دون إحضار هدية، استمر بإحضار الوردة الحمراء التي يتركها أسفل باب غرفتها... مُنتظراً بصمت فتحها للباب... مُنتظراً رؤية ابتسامتها...

(براءة) يحدث خلل ما بعقله، فقتله للحيوانات الأليفة، ودخوله بمعارك مع الحيوانات المتوحشة، وإجباره على ذبح وإراقة دماء أي شيء يهدد حياته، كان كفيلاً لجعله يفصل نفسه عن الواقع جزئياً حتى يستطيع التعايش مع هذه الدماء الكثيرة، والأغرب إن ذلك الفصل لم يؤثر على أدائه بأي شكل من الأشكال، فقد كان دائماً مُتفوقاً على الجميع، إنه فقط صنع عالم خيالي من نسيج الوهم ليتمكن من التعايش مع نفسه وما يفعله، فأصبح يعزل الذكريات المؤلمة، ويؤلف المبررات بأخبار نفسه أنها مجرد لعبة ولا يموت أي من هذه الحيوانات، أو إنه مجرد حلم سيء لا بد من نسيانه وعدم الحديث عنه. (أمل) أصبح يعرف الآن معنى الموت، وقوته لأول مرة بحياته عندما ذبح تلك الحيوانات، شاهد الموت وعلم مدى قوته التي بإمكانها إيقاف أي شيء مهما كان، وعندما تعمق بقراءة كتب التاريخ، وحياة العظماء، وجد أن جميعهم سقطوا فريسة للموت، الموت الذي ابتلع طموحهم وآمالهم ووضعهم في عالم النسيان، أصبح لديه احساس بانعدام الأمان... خوف من أن يفعل به الموت مثلما فعل مع العظماء. (سلام) مازال كما هو يساعد (حياة) كلما استطاع ولكن قتل الحيوانات جعله يفصل نفسه عن العالم، وجعل عالمه الخاص يتمحور حول (حياة) وإسعاده، أصبح يؤمن بشدة بأن رابطة الأخوية بينهما أقوى من أي شيء، وإنهما معاً يستطيعان الوقوف بوجه من يعترض طريقهما، وأصبح اهتمامه بالآخرين يأتي فقط من أجل إسعاد (حياة)، يمكننا القول إنه أصبح لا يرى شيئاً بالعالم سوى هو و(حياة). أما (سادي) كان دائماً ما ينفصل عن المجموعة، ويذهب برحلات بمفرده بالأدغال بحثاً عن أي شيء يعذبه قبل ذبحه، وكان ذلك يثير رعب واشمئزاز الآخرين، فهو يعذبها بأبشع الطرق الممكنة، ويعشق التمثيل بأجسادها، يحب أن يتفنن بالطرق المختلفة لقتلها، بل وصلت لدرجة الاحتفاظ

بعض من أعضاء الحيوانات كعلامة من علامات القوة والنصر، ما كان يفعله يثير أيضاً رعب واشمئزاز الحرس والمراقبين، وحتى الجانب العسكري، ومع ذلك استمروا بدعمه، بحجة أنه سيكون مثالي ل(الأبناء السبعة)، وعدم ترده أو خوفه بتنفيذ الأوامر يؤكد ذلك الأمر...

لقد أثر ذلك التغيير بشكل كبير بهم حتى في كيفية استماعهم لعزف (حياة) الشهري، فإننا نجد (حب) الآن يجلس بعيداً بالشرفة تاركاً أبوابها مفتوحة، فهو أصبح يرفض موسيقى (حياة)، فهي تذكره بحبه ل(هدوء) ورفضها لذلك الحب، وأدى ذلك لزيادة كراهيته نحو (حياة)، فهو يلومه على ما حدث له، فموسيقاه هي التي جعلته يفهم، ويعلم مدى حبه لها، وبالرغم من كل ذلك لا يستطيع منع نفسه من الحضور، فهو يحب (هدوء) بشدة، ويحب الفرق بخيالاته الرومانسية التي تولد من خلال الموسيقى، وحتى وأن كان ذلك وهم يخلقه لفترة قليلة من الوقت وعليه بعد ذلك الاستيقاظ لواقعه المرير. و(سلام) يجلس الآن بجوار (حياة)، ويتعد عن الآخرين، وأصبحت (هدوء) ترفض ارتداء الفساتين التي يأتي بها (حياة) لها من أجل الحفلة، وترتدي ملابس الأولاد وتتصرف مثلهم، بل إنها أصبحت شديدة الغضب والاشتعال على أتفه الأسباب. و(أمل) يجلس بزاوية المسرح ليحمي ظهره بل أنه قد يحمل بعض الأسلحة التي لا يعلم الحراس والآخرين إنها معه. أما (براءة) أصبح يتصرف كما لو كان طفلاً صغيراً بالسادسة من عمره بالرغم من سنه الذي تخطى العشرة أعوام، ويستمر في التقاط الصور بكثرة، وتستطيع الشعور بأنه قد فقد الاتصال بالواقع، فهو الآن يحيا حياة وردية، يتجاهل عقله بقصد ما يجري حوله ليحميه بما قد يحدث له من تأثير الحقيقة...

وأواخر عام ١٩٩٦ وبالتحديد ليلة الثاني عشر من ديسمبر، حضر الجميع من أجل الحفلة قبل الأخيرة ل(حياة) التي كانت قبل موعد اختبارات آخر العام، ويفاجئ الجميع بعدم وجوده بالمسرح كالمعتاد، وكان المكان مظلمًا بالكامل. وينظروا لبعضهم باستغراب...

"اليوم لا يوجد حفلة، لدي مفاجأة أخرى أجمل... تعالوا معي"

يأتي ذلك الصوت من خلفهم، ويستديروا ويجدوا (حياة) يقف عند باب المسرح وهو يشير بيديه إليهم ليتبعوه ويتبعه الآخريين باستغراب لكن دون أي أسئلة، كانت هذه مدى درجة الثقة، والترابط بينهم فهم يفعلوا أي شيء من أجل بعضهم دون أي تأخير أو استفسار...

يسيروا خلف (حياة) الذي يدخل بإحدى فتحات التهوية المركزية ب(جنة عدن)، وهذه كانت الطريقة التي يستخدمها، كلما أراد الخروج من (جنة عدن)، والشئ الرائع بها كان الحائط، فهي مكتوب عليها أشهر السيمفونيات الموسيقية التي يحبها (حياة) بنوع من الكتابة التي تضيء بالظلام بالأخضر، والأزرق الجميل، وهذه الكتابات كانت مصدر الضوء الوحيد بفتحة التهوية الذي يمكنهم من خلاله رؤية الطريقة أمامهم. كانت الرحلة من خلال هذا الممر مدهشة، وممتعة للنظر، فطريقة كتابة السيمفونيات مثل اللوحات المرسومة وقبل أي سيمفونية نجد صورة مؤلفها ويستطيعوا الآخريين رؤية (حياة)، وهو ينظر لتلك الكتابات، ويدندن مع نفسه هذه الألحان، فقد كانت هذه وسيلة من المذاكرة، والحفظ بالنسبة له...

يخرج الجميع من الممر الذي قادهم لحديقة خارج أسوار (جنة عدن)، ويشاهدوا (حياة) يستلقي على الحشائش

(حياة):

- "انظروا للسماء" وهو يشير بإصبعه إلى السماء.

ينظر الجميع إلى السماء، ويجدوا الشهب كثيرة في السماء، فقد كانت ليلة شهب، ولأول مرة بحياتهم يروا ذلك المشهد الجميل والخلاب، فيتقدموا بذهول نحو (حياة) ثم يستلقوا بجواره. ويقضوا الليلة بالنظر للسماء دون أي كلام من شدة الدهول، وفي لحظة ما تتحرك أنامل يد (حب) تجاه يد (هدوء) ثم يمسك بها، و(هدوء) تمسك بيد (حب)، وهي مستمرة بالنظر للسماء، وتفعل المثل مع (حياة)، وتمسك يديه، ثم يمسك (حياة)، بيد (سلام)، و(سلام) يمسك بيد (أمل)، و(أمل) يمسك يد (براءة)، واستمروا هكذا حتى شروق الشمس وانتهاء ليلة الشهب. لينهضوا، ويعودوا ل(جنة عدن)، وملامح السعادة، والفرحة على وجوههم لا توصف، فقد كانت ليلة بلا كلام ولا تحتاج إلى كلام لترداد سحرًا بل الصمت نفسه كان جزءًا كبيرًا من سحرها، وأصبحت تلك الليلة ليلة لا تُنسى، ونجحت بفعل المطلوب، وهو نسيان آلام الحياة. فقد نام جميعهم ساعتين قبل بدء الامتحانات، وأجمل الأحلام جاءتهم في هذه الليلة، فالابتسامة كانت لا تفارق وجوههم أثناء النوم...

ظهرت نتائج الامتحانات وكانت ماهرة للغاية، فقد حصل الجميع على الدرجات النهائية ما عدا (سادي) الذي تعمد الإخفاق كالمعتاد ليحصل على العقاب، وكانت هذه أول مرة طوال العام لا يحصلوا الستة على أي نوع من العقاب جراء الدرجات...

مع بداية عام ١٩٩٧ ينطلق الجزء الثالث من المرحلة الثانية الذي أصبح أشد قسوة من أي شيء عرفوه طوال فترة وجودهم ب(جنة عدن)، وكان مطلوبًا

منهم التعامل مع مرتزقة محترفة وقتالهم من أجل البقاء بجميع الظروف البيئية المختلفة، فهناك مرة تم القتال بالصحراء، وأخرى بالأدغال، وغيرها بالمدن، وأخرى بأنقاض، وأحياناً بالسجون أو المجاري، كل مكان يمكنك تخيله حتى أنه ياحدى المرات تم عمل قتال من أجل البقاء في حلبة سباق سيارات، والسيارات تسير بلا توقف وبسرعة قصوى، وعليهم تجنب المرتزقة والسيارات في آن واحد، لا يمكن لأحد تخيل كم العظام المكسورة، والجروح التي حصل عليها الأطفال خلال هذه الفترة. فالتعامل كان مبدأه لا رحمة ولا توقف، إلا بأمر شخصي من (الأم) نفسها التي كانت تشرف على جميع التدريبات، وأن لم تعطِ ذلك الأمر يستمر القتال حتى إذا سقط الأطفال على الأرض...

كانت فترة في غاية البشاعة لا يستطيع أي شخص تخيلها، فكثرة القتال والإصابات سببت معاناة كبيرة لعزف (حياة) المعتادة، فأنامله تألمه بشدة ولا يقدر على ضغط مفاتيح البيانو بالطريقة الصحيحة، ومع كسر بعض الأضلع لا يقوى على التحرك بجسده مثلما اعتاد أثناء العزف، وبالرغم من ذلك لم تنكسر روحه، فهو مازال مستمرًا كما كان بعمل الحفلات ربما قل مستوى العزف قليلاً جراء إصاباته التي كانت تعوق من إجادته، ولكن إحساسه بما يعزفه كان كافيًا بإخفاء الأخطاء، وكل ذلك من أجل أخواته، فهو لا يريد أن يشعروا بالحزن أو الألم، يريد منحهم السعادة والفرحة بالطريقة الوحيدة التي يعرفها، العزف ولكنه يشعر بأن تأثيرها أصبح لا يستطيع أن يقف بوجه ذلك التغيير، والموضوع أكبر مما يقدر عليه عزفه. وازادت المسافات بينهم وشعروا بمشاعر جديدة ليست جيدة، فقد ولدت كراهية داخلهم وأصبحوا يمتلكون قدرًا كبيرًا من الألم والمعاناة... قدر لا يقدر الكتمان على احتواءه بعد الآن، فتخرج بصورة الابتعاد والانطواء وعدم المبالاة بما

يحدث لكل منهم، وما يحدث حولهم فكل منهم لديه ما يكفيه الآن، لقد أصبحوا سجناء داخل أنفسهم. (هدوء) بدأت تسرق الخمر من أي مكان ممكن (بجنة عدن) سواء من عند الحراس أو (الأم)، وتشرب بمفردها بغرفتها معظم الوقت، وأصبحت لا تذهب ل(حياة) لتلعب بالعراس. (أمل) يجلس هو الآخر بمفرده بغرفته مبتعدًا ومختفيًا عن الجميع، لا يخرج منها إلا في حالة الاستدعاء، أو موعد الحفلة، ولا يسمح لأي أحد بدخول غرفته، وحينما يخرج منها لا يراه ولا يشعر به أحد، يتحرك بسرية تامة. (براءة) أصبح يتصرف تمامًا مثل الطفل الصغير، يأخذ ألعابه ويرتدي البيجامة الطفولية المرسوم عليها شخصيته المفضلة (المبدع ستيفن) بجميع الأماكن التي يذهب إليها في وقته الخاص حتى المكتبة ما عدا وقت الاختبارات والحفلة. أما (حب) أصبح يجلس معظم الوقت على السطح بمفرده، لا يتحدث لأحد، يقضي وقته يتأمل القمر الفضي الوحيد بالسماء ومع ذلك، وبالرغم ما يمر به لا يستطيع نسيان الإتيان بوردة عيد ميلاد (هدوء)، ووضعها أمام باب غرفتها، وانتظار رؤية الابتسامة أو بالأصح تمنى رؤيتها، (هدوء) أصبحت نادرًا ما تبتسم لأي شيء. (سلام) أصبح يتقرب أكثر من (حياة)، لا يترك جانبه أن استطاع وابتعد نهائيًا عن الآخرين، وجعل معظم تعامله وحواره مع (حياة) فقط، ومع الآخرين يكون الجواب على قدر السؤال لا أكثر ولا أقل. أما (سادي) لا نستطيع القول عنه أنه يتعذب مثل الآخرين بل هو في غاية السعادة، يعتبر أسعدهم على الإطلاق فكل ما يحدث له وما يفعله من أفعال كان على هوائه وأشباع لذاته المريضة...

يستمرروا على ذلك الحال عامًا كاملًا، وتزداد المسافات بينهم حتى أتت نهاية عام ١٩٩٨، وأتى معها موعد حفلة ليلة الرأس السنة، الحفلة الأخيرة بالسنة،

التي كانت مختلفة عن أي سنة، فهناك الجو العام الذي يحكم المكان وهو الصمت والسكون، ف(حياة) كان يعزف بالبداية مقطوعة ثم توقف فجأة بمنتهى، وأصبح جزءاً لا إرادياً مع الصمت المسيطر على المكان. أصبحوا غارقين بعالمهم الداخلي المؤلم، وأصبح المكان كالقبر حتى تم كسر الصمت من قبل (براءة) الذي تحدث بعفوية فجأة وقال:

"من نحن؟"

تتجه جميع الأنظار إليه باستغراب.

(حياة):

"ماذا تعني؟"

"أعني ما هي أسمائنا؟ فأنا لا أعرف اسم أي أحد منكم سوى ما ينادونا

بها (الأم)، و(الأب)"

(أمل):

"أجل فعلاً، لديك حق... لما لا نستخدم أسمائنا القديمة؟"

يحرك الجميع رأسه في حركات موافقة ما عدا كل من (سلام) و(هدوء)، الذين لاحظوا انزعاج (حياة) من اقتراح (أمل)، لأنهما يعلمان أن (حياة) لا يعلم اسمه الحقيقي، فقد أتى لـ(جنة عدن) وهو طفل رضيع...

(سلام):

"أنا لا أريد استخدام أسمائنا القديمة، فهي تذكرني بماضي أليم،

والحقيقة حياتي بدأت عندما تعرفت عليكم، فلم لا نختار أسماء جديدة تليق بما نحن عليه الآن؟"

هز الجميع رأسه بالموافقة، فكلام (سلام) مقنع، فهم مثله يروا أن حياتهم

بدأت عندما دخلوا حياة بعضهم البعض.

(براءة):

"أنا أولاً... أنا أولاً، أنا أعرف ما سوف أدعي به"

وينهض مثل الأطفال من مقعده وهو يرفع يديه في الهواء، والجميع ينظروا إليه فيشعر بالموافقة على البدء أولاً، فيصفق بيديه فرحًا ويضع يديه على ذقنه:

"أنا أريد أن أدعي (بيتر بان)"

لا تجد أحد يسخر من الاختيار، فهم يحترموا ويقدرُوا بعضهم البعض ولا يحكموا على ما يفعلوا بعضهم البعض، فهم يروا كل أحد منهم لديه حرية بأخذ قراره وعلمهم احترام ذلك القرار، لكن دعنا نتحدث عن سبب اختياره لاسم (بيتر بان)، فهو منذ أن قرأ قصة (بيتر بان) وهو يحلم بالعيش في الأرض الأبدية مع عائلته، حيث لا يتقدم بهم السن، باقين كما هم بالسعادة التي يتخيلها بذهنه...

ينهض (أمل) ويقول بسرعة دون انتظار أي موافقة:

"أنا الثاني، أنا سأكون (يوليوس قيصر)"

سبب اختياره لذلك الاسم لأن القائد المفضل لديه بالتاريخ هو (يوليوس قيصر)، وسبب آخر مهم بشدة لديه وهو تذكيره الدائم بقوة الموت، فقد تم الغدر بـ(يوليوس قيصر) وقتله، وبموته تم حرمانه من المكانة الحقيقية التي كان يستحقها بالتاريخ، ولابد عليه ألا يسمح بحدوث ذلك له، وأن لا يترك أحدًا يأخذ أحلامه وطموحه حتى وإن كان ذلك الموت نفسه.

ينظر (براءة) لـ(حب) الذي يقف صامتًا مبتعدًا عنهم مدعيًا عدم المبالاة:

"وماذا عنك؟... ماذا تريد أن تدعي؟"

ينظر (حب) لفترة للأرض بصمت وتفكير ثم يرفع نظره تجاه (هدوء)

الجالسة التي لا تشعر بنظراته إليها، فيؤلمه ذلك بشدة. يلاحظ (براءة) الألم المتولد بعينه، فطالما كانت العين بوابة الروح، وكاشفة للمشاعر الحقيقية، وعندما لاحظ (حب) أن (براءة) قد أحس بذلك، نظر إليه بسرعة، وقال دون تردد:

- "أريد أن أدعى... (كوازيمودو)"

كان صوته به إحساس بالحزن والألم الواضح، يقولها بكل ألم وصعوبة كمن يستسلم لشيء مغصوب عليه بعنف، لا أحد يعلم لما اختار ذلك الاسم، حتى هو نفسه لا يعلم ما السبب الرئيسي لهذا الاسم البشع الذي معناه غير الكامل، فهناك الكثير يحدث داخله من ألم، فربما لأنه يرى نفسه مثل شخصية (كوازيمودو) برواية أحدب نوتردام لكاتبها (فكتور هيجو)، يرى من المستحيل جعل من يحبها تحبه، وربما يرى نفسه غير كامل ومعيب، أو من الممكن شعوره بعدم أحقية تواجهه بالعالم بسبب معاملة (الأم) والحراس له (بجنة عدن)، أو إنه يرى نفسه يملك روح مشوهة لا يرغب بها أحد، ورفض (هدوء) لحيه أكد له ذلك الظن، وقد يكون السبب جميع ما سبق، يمكننا الاختلاف في التفسير لكننا لا نستطيع الاختلاف عن النتيجة، وهي أنه يرى نفسه مظلومًا من الجميع وأكبر ظلم واقع عليه كان من الخالق بإعطائه نفس الحياة في هذا العالم، العالم الذي لا يعرف (حب) كيفية التعامل معه...

يلتفت (براءة) ل(هدوء):

- "دورك؟"

(هدوء) بكل حزم وسرعة:

- "فيوري)... ذلك هو الاسم الذي أريده"

كان ذلك دون إظهار أي مشاعر على وجهها، قالتها بمنتهى البرود واختارت

ذلك الاسم نتيجة لما يحدث داخلها، فهناك كم كبير من الغضب المكتوم، والنيران التي تشتعل بروحها، (فيوري) معناه الغضب الشديد بالإنجليزي ولكن (براءة) يهز رأسه غير مقتنع بالاسم.

(براءة):

"أشعر أنك (جيسي) وليس (فيوري)"

قد يبدو اقتراح (جيسي) غريب، ولكن سبب اقتراحه لذلك الاسم يعود إلى زمن بعيد، فهو كلما قابلها وجد رائحتها مثل الياسمين بسبب العرائس التي كانت تلعب بها دائماً، فالعرائس معطرة برائحة الياسمين التي كانت تترك أثراً واضحاً عليها، يستنشقه كل من يكون بجوارها...

تنظر (هدوء) لوجه (براءة) الطفولي وتجد جزء منها يميل لذلك الاسم، فمازال هناك جزءاً من أنوثتها يحاول الحصول على حقوقه، وذلك الاسم له وقع قوي داخلها، فهو الماضي وأحلامها كأثني، يرمز لمشاعرها المتبقية لذلك لم تعترض بشدة عليه...

(هدوء):

"حسناً، سيكون اسم ثاني لي ولكن أريد أن يدعوني الجميع (فيوري)"

يشعر براءة بالسعادة فعقله سمع الموافقة، ولم يبالي بسماع باقي الجملة

ثم ينظر (براءة) ل(سلام) وهو يصفق:

"وأنت...؟"

(سلام):

"أي اسم تروه مناسب..."

(براءة):

- "إممم... (أرثر)، فأنت شبه الملك (أرثر)، أجل إنك (أرثر)... ثم بيتسم

بشدة ويمهز الجميع رؤوسهم

- (أرثر)، اسم رائع... أحسنت (بيتر) يقولها (سلام) بسعادة

اختيار (براءة) الاسم لأنهم يروا (سلام) الحامي لهم الذي حماهم من (سادي)، ومنعه من التعرض لأي أحد منهم. فهو مثل (الملك أرثر)، الاسم الذي يمثل الملكية العادلة في الحرب والسلام، الذي يحارب من أجل السلام...
الآن يتجه (براءة) نحو (حياة) الذي يبدو عليه الارتباك والتوتر الشديد.

(براءة):

- "ماذا ستختار؟"

- "أنا لا أعلم ماذا أختار؟!"

ثم يصمت بحرج وقلق، لا يعلم أي اسم يريده، فهو لم يفكر بهذا الموضوع من قبل، يلاحظ الجميع مرور فترة كبيرة من الصمت، فيحاول الجميع مساعدته بالاختيار بقول أسماء مختلفة ليختار منها ما يجعله، ولكن الاسم الذي أعجبه بشدة هو الاسم الذي اقترحه (سلام)، فهو الوحيد الذي يعرفه جيدًا ولهذا كان اختياره موفقًا، ف(سلام) اقترح اسم (أنجيل) موضحًا به مدى مكانة (حياة) له وللآخرين، فقد كان كالملاك الذي نزل لهم من السماء ليمنحهم شيئًا بسيطًا من الراحة والسعادة، فهو السبب في معرفتهم معنى السعادة، فكلمة (أنجيل) تعني ملاك وذلك هو ما يراه الجميع به...

(براءة):

- "بما أننا سمينا أنفسنا لما لا نجعل ذلك اليوم عيد ميلادنا؟"

فهو يرى إنه أسعد يوم بحياتهم، فهو كان نفس اليوم الذي عزف به

حياة) لأول مرة، وعرفهم على ما لم يكونوا يعرفوه من مشاعر. يوافق الجميع على ذلك وكان الأمر بمثابة ضوء قوي بطريقهم المظلم، فقد خفف ذلك من صراعاتهم الداخلية قليلاً...

في عام ١٩٩٩ بداية المرحلة الثالثة لمن يبلغ الثامنة عشر، وهي مرحلة القتل العشوائي لإنسان ما، وهنا تبدأ ملامح برنامج (الأبناء السبعة) بالوضوح، برنامج لصناعة أفضل قتلة مأجورين بالعالم، عديبي الرحمة، ذو إطاعة عمياء للأوامر. والنظام كان بهذه المرحلة، مراقبة كل ابن من (الأبناء السبعة) أثناء تنفيذ العملية دون التدخل نهائيًا، ففريق المراقبة مسئول فقط عن تسهيل دخول وخروج الابن إذا حدثت صعوبات أمامه، وإمداده بالمعلومات اللازمة عن الهدف، وإخفاء أي أدلة قد تدينه أو تثبت أنهم قتلة مأجورين، وثم يتم تسليم تقريرًا مفصلاً عن الأداء (لأم)، وهذه المساعدة كانت فقط أول ثلاث سنوات ثم عليه الاعتماد على نفسه بكل المواقف إلا إذا استدعت ظروف العملية فرقة للمساعدة.

كان الأول بهذه المرحلة (سادي)، وتم اختيار الهدف العشوائي له، طفل رضيع لأب وأم من أسرة بسيطة الحال يعيشان بإحدى المناطق الشعبية بعقار يتكون من ستة أدور، وكان الهدف بالدور الخامس. استلم (سادي) ملف العملية الذي يحتوي على صور للهدف ودراسة عن المنطقة المحيطة به، لكنه لم يهتم بقراءة الملف، أو حتى النظر إليه... هو فقط رأى صورة الهدف ورقم الشقة، ولم يعلم أي أحد بذلك...

ذهب (سادي) مع المراقبين إلى مكان الهدف قبل منتصف الليل، تنكربزي

عامل توصيل بيتزا، ورفض أخذ أي سلاح معه. دخل من باب العقار، ولاحظ نزول أحد السكان، فأفسح (سادي) له الطريق ليعبر بجواره وبمجرد أن عبر الشخص، استدار وأمسك بمؤخرة رأس الشخص وصدمه بالحائط بكل قوته مما أدى لانكسار جمجمته وتناثر المخ والدماء على الجدران، وأصبحت يد (سادي) اليمنى ملطخة بالدماء، وهناك بعض نقاط الدماء على وجهه، ولكنه لا يبالي بالدماء أو حتى يمسحها بل يذهب بكل هدوء إلى باب العقار، يغلقه بأحكام ليمنع دخول وخروج أي أحد منه، ثم يتجه للطابق السفلى بالعقار ليفصل ويقطع جميع خطوط الهواتف الأرضية، ثم يصعد للدور الأول، يلاحظ أن كل طابق يحتوي على شقتان، فيضع أذنه على الباب ليسمع أي صوت ومن خلال ذلك يحدد إذا كانت الشقة خالية أم بها أشخاص. وفعل ذلك بكل طابق يصعده حتى وصل للطابق الخامس وتجاهل متعمداً الغرفة المطلوبة وصعد للطابق السادس وفعل نفس الشيء ثم صعد للسطح وأغلق بابه بأحكام هو الآخر. وما فعله جعله يعلم بأن الطابقين الثالث والرابع لا يوجد بهما أي سكان وإحدى شقق الطابق الأول وهذا يعني وجود سبعة شقق بها أشخاص من إجمالي اثنين عشر شقة بالعقار...

يكسر (سادي) الباب الأول بالطابق السادس بقدميه، ويدخل مندفعاً ليجد شخص جالساً على الأريكة، يشاهد التلفزيون الذي ينهض من مكانه مصدوماً بما حدث ويصيح بغضب:

"من أنت وما الذي فعلته؟"

يتجه (سادي) إليه ويضربه بالكمة قوية ليسقط الرجل بوجهه على الأرض، ثم ينحني ويمسك رأس الرجل من شعره ويبدأ بضرب وجهه بالأرض ضربات متتالية وسريعة حتى سالت بركة دماء من جبهته...

يسمع (سادي) صراخ خلفه، فيلتفت ليشاهد امرأة تصرخ برعب من هول المشهد، فيمض ويتجه إليها، فتحاول الهرب لكنه ركض ليقف أمام الباب ويسد عليها الطريق، فذهبت المرأة للمطبخ بحثاً عن إحدى السكاكين لتدافع بها عن نفسها، وعندما نجحت بذلك التفتت خلفها، شاهدت (سادي) قد سبقها بفترة وأمسك بسكين أخرى من المطبخ، وكان ينتظرها لتلتفت حتي يطعنها بمعدتها وتحديداً في الكبد...

يسقط السكين التي تمسك به المرأة على الأرض ثم يسحب (سادي) السكين ببطيء، تضع المرأة يدها على الجرح وهي تأخذ أنفاسها بصعوبة، تحاول الوقوف لكنها لا تقدر وتسقط على الأرض محدثة ضوضاء شديدة لتنازع الموت، فجرح الكبد قاتل وإن لم يتم إسعافه، يستمر المصاب بالنزيف إلى أن تفارق الروح الجسد بطريقة مؤلمة...

يخرج (سادي) من الشقة. ويلاحظ باب الشقة الثانية الذي بنفس الطابق يفتح ويخرج منه رجل مفتول العضلات ويشاهد بقع الدماء على ملابس ووجه (سادي)، والسكين بيديه الذي يتساقط منه قطرات الدماء على الأرض، فيمد الرجل يديه بجوار باب شقته ليمسك مضرب البيسبول المعدني ويتجه به إليه، وهو يقول بكل حزم وغضب:

"يا ابن العاهرة..."

يرفع الرجل المضرب بكل قوته محاولاً ضربه ولكنه يتفادها بسرعة. لا يقدر الرجل على إيقاف الضربة، فيصطدم المضرب بالأرض، ويفقد الرجل توازنه وهنا يمسك (سادي) المضرب بيده ويضرب بيده الأخرى التي تحمل السكين معصم يد الرجل الممسكة بالمضرب لتنفصل يد الرجل عن جسده وتبقي يده محكمة

القبضة بالمضرب...

يضع (سادي) السكين بحزامه بكل هدوء، والرجل يرفع ذراعه التي تنزف أمام وجهه، وهو يصيح من الألم. يرفع (سادي) المضرب بهدوء وهو يصفر بسعادة ويسدد ضربة شديدة نحو وجه الرجل، فيسقط للخلف على معدته ونلاحظ جرح أعلى رأسه جراء الضرب يسيل منه دماء... يحاول الرجل الزحف بسرعة هربًا من (سادي) الذي يتقدم نحوه ببطيء وهو مستمر بالتصفير...

يصيح الرجل بخوف:

"النجدة... فليساعدني أحد!"

يزحف الرجل بشدة وقوة إلى أن يلاحظ توقف الصغير، فيستدير الرجل برأسه وهو مستمر بالزحف ولا يميز ما يراه، فالدماء نزلت على عيني الرجل، فيمسح الرجل الدماء ليشاهد (سادي) وهو يسد الضربة الثانية التي تجعل رأسه تنفجر من شدة الضربة ويترك المضرب محشورًا داخل جمجمة الرجل دون إخراجه ثم يخرج السكين من حزامه...

في هذه الأثناء كان جميع سكان العقار قد خرجوا من الشقق نتيجة لصراخ الرجل العالي واقفين مستغربين محاولين استعلام ما يحدث، فيصعد أحدهم بسرعة لأعلى ليتفاجأ بـ(سادي) يقف أمامه على السلالم، الذي يقطع عنقه بسرعة لتخرج نافورة من الدماء تغرق وجه (سادي) وملابسه. ويسقط الرجل متدرجًا على السلالم لأسفل ويشاهده جميع سكان الطابق الخامس، فيصيحوا برعب ومهرب بعضهم للأسفل...

يتجه (سادي) للأسفل ويلاحظ أن أحدهم يحاول الإمساك به، فضربه بيده ليرتكز ظهر الرجل على الحائط، ويطعنه (سادي) بسرعة عدة طعنات متتالية

كالمجنون دون توقف حتى تمزقت معدته بالكامل وسقطت منها أمعائه والآخرين يشاهدوا ذلك ويملأهم الخوف، فهربوا سريعاً لأسفل ليجدوا سكان الطابق الثاني ينظروا لأعلي السلالم محاولين الاستفسار عما يحدث، فيصيح أحدهم:

"قاتل مجنون، يقتل الجميع... اهربوا"

ينزل الجميع برعب وهرج لباب العقار ما عدا أحدهم الذي أتجه لشقته بالطابق الثاني ليحضر منها بندقيته الخاصة...

يخرج الرجل من شقته وهو يضع الذخيرة ببندقيته ويشاهد (سادي) ينزل على السلالم وقبل أن يحاول الرجل رفع البندقية، يلقي (سادي) بالسكين نحوه لتخترق رأسه من بين عينيه ويسقط على الأرض قتيلاً بلحظتها، ثم يتجه لجثة الرجل وينحني ليمسك بالسكين وأثناء نزعه العنيف للسكين يشق رأس الرجل لنصفين ويخرج المخ المقسوم لنصفين ومعه بحيرة من الدماء تملأ الأرضية...

يذهب (سادي) الآن لباب العقار فقد تجمهر الجميع أمامه ومازالوا يحاولوا فتح الباب دون نجاح بذلك وتصيح وتصرخ النساء بحالة هستيرية ثم يتحدثوا لأنفسهم:

"يا إلهي سيقتلنا.... سيقتلنا"

هنا يقف (سادي) أمامهم بممر العقار والابتسامة تعلو وجهه، ويقول بكل

سعادة:

"بالطبع، سأقتلكم" ويضحك ضحكة مجنونة

يتجه نحو السكان الذين تتزايد صيحاتهم وهو شاهر السكين، ويبدأ بالطعن يمين ويسار متقدم وسط السكان ضاحكاً كالمجنون ولا يقوى أي أحد منهم على إيقافه، فهو أقوى وأسرع منهم جميعاً. ويسقط جميع السكان على الأرض جثث

فيتقدموا بحرص وخوف ليشاهدوا المنظر البشع لمذبحة غير آدمية، فالدماء بكل مكان، بالمدخل وبالسقف وبالحيطان، والجثث على الأرض ممزقة وبعضها أمعائها خارج الجسد، وأخرى مفصولة الرأس، يقفوا المراقبين بأماكنهم فترة مصدومين مما رأوه إلى أن فاقوا ونظروا ل(سادي) الذي كان جالسًا على الأرض ممسكًا برأس أحد الجثث فاتح فمها مخرجًا اللسان منها رافعًا السكين ليقطعه، فيصبح أحد المراقبان:

- "ما الذي فعلته أيها الوحش؟... أنت غير آدمي"

فيتوقف عن قطع اللسان وينفر أنفاسه بزهق ثم ينهض، ويتجه للمراقب الذي مازال مستمرًا بالصراخ.

المراقب:

- "هذا لم يكن المطلوب منك، ستحاسب بشدة على ذلك..."

يستمر المراقب بالكلام و(سادي) يتقدم نحوه ولا يسمع أي كلمة صادرة منه، فكل ما يركز عليه هو فم المراقب وخصوصًا لسانه حتى يصل أمامه، يرفع السكين ثم يدفعها بين أسنان المراقب، فيصطدم جسد المراقب بالجائط الذي خلفه ويدفع بيديه الاثنتين السكين بقوة وبسرعة حتى يفصل الفك العلوي عن السفلى ويسقط الجزء العلوي من الرأس، ويتبقى الفك السفلي واللسان الذي مازال به بعض الروح ويتحرك، فيمسك به (سادي) قبل سقوط جثمان المراقب ويصبح ما يمنعها من السقوط، وملامسة الأرض إمساكه باللسان.

يقطع (سادي) اللسان من جذوره لتسقط الجثة على الأرض، وهو ممسك باللسان الذي يتحرك حركات لا إرادية خفيفة ويتأمله بابتسامة تلعو وجهه، ثم يلتفت للمراقب الآخر الذي يقف خلفه مرعوبًا مما حدث، فاتحًا فمه ويحركه

حركات بسيطة دون إصدار صوت، فيطعنه (سادي) بالسكين في عنقه وتحديداً في وريد الرقبة ثم يسحبها بسرعة لتخرج نافورة من الدماء، تلتخ أنوار المدخل بلون الدماء الحمراء وتصبح إضاءة الممر حمراء اللون.

يحاول المراقب ببأس وضع يديه على الجرح لكن الدماء مازالت تتدفق دون جدوى، فيجلس على الأرض ثم ينحني (سادي) أمامه وينظر بعين المراقب عن قرب متأملاً نظراته الأخيرة وسكرات موته... (سادي) يضع يديه بجيب المراقب، ويأخذ منه مفاتيح السيارة ثم يخرج من العقار متجهًا للسيارة...

يعود (سادي) ل(جنة عدن) ويفاجئ الجميع و(الأم) بعدم وجود المراقبين معه، فتم عمل جلسة تحقيق فورية معه دون تأخير فهم لا يريدون وجود أي فرصة له لترتيب كلامه، فهم يريدوا الحقيقة كما هي وكان من يحقق معه بذلك الأمر (الأم) بنفسها. وتم وضعه مباشرة بغرفة التحقيق منتظرين مجيء (الأم) للتحقيق معه لكنه يرفض مقابلتها بهذه الهيئة وصمم على أخذ دش وتغيير ملابسه المملوطة بالدماء، ولم يستطع أو يقدر أحد إيقافه...

يدخل (سادي) بملابسه النظيفة غرفة التحقيق ليجد (الأم) أمامه جالسة بمنتصف الغرفة وأمامها طاولة ومقعد فارغ، وكانت الغرفة لا تحتوي على أي نوافذ ويوجد خلفها باب آخر مغلق وأعلى ذلك الباب كاميرات مراقبة لتسجيل ما يحدث.

(سادي) بنوع من السخرية:

"أهلاً ب(الأم)، لقد مروقت طويلاً منذ آخر محادثة عائلية" ثم بيتسم بكل

براءة ويجلس على المقعد المقابل لها

ينظر إليها منتظر رد فعلها لكنها لا تعطى لكلامه أي انتباه.

(الأم):

"-ماذا حدث للمراقبين؟"

"-أي نوع من الأمهات أنت؟!... تسألني عن المراقبين ولا تهتمي بأمر ابنك، ألا

تعلمين بأن ذلك يجعلك أم سيئة؟"

مستمراً بنبرته الساخرة مع إضافة بعض الدهشة الواضح بشدة إنها

مزيفة ومصطنعة.

تخلع (الأم) نظارتها، تضعها على الطاولة بهدوء، وتتنظر إليه بحزم وتقول

بصوت خالي من أي مشاعر:

"-كفى ألعيب، أخبرني بما حدث"

فيرد على نظرتها الصارمة بنظرة استغراب واضحة للغاية بأنها تمثيل زائد

عن حده ويقول:

"-ولكن يا أمي..."

تقاطععه في حدة وهي مستمرة بنفس النظرة والنبرة الخالية من المشاعر:

"-أنت تعلم جيداً، إنني لست أمك..."

"-أنت لست أمي، أنا يتيم يا أمي؟" يقولها بنوع من الحزن المبالغ به.

"-كفى لهوًا..."

يلاحظ أنها مازالت مستمرة فيما تفعله دون تغيير أي شيء في نبرة صوتها أو

نظراتها فيضحك بصوت عالي:

"-يا إلهي أنت أكثر قسوة مني، يعجبني ذلك بشدة"

ثم ينظر إليها متأثراً، فهو قد وجد من يستطيع أن يكافئه بانعدام

المشاعر. ويكمل كلامه:

-كيف يمكنك أن تكوني بهذا الهدوء والسيطرة على نفسك؟-

-إن هذا الاستجواب ليس لي، بل لك-

-أجل... أجل سامحيني... فإن ذاكرتي ضعيفة بعض الشيء... هل لك أن

تذكريني بالسؤال مرة أخرى؟" مع ابتسامة كبيرة على وجهه

لكن (الأم) تكتفي بالنظر له دون أن يبدو عليها أي انفعال. فيقول (سادي)

وهو خائب الظن بأن محاولاته في التلاعب معها، قد فشلت:

-حسناً... أموات-

-كيف؟-

-إنهم مجموعة من الحمقى... فبسيهم العملية كانت على وشك الفشل،

لذا في المرة القادمة لا ترسلي أغبياء ليشرفوا على الأستاذ... إنني أفضل أن أكون

تحت إشرافك أنتِ الشخصي... فأنتِ قائد أستطيع احترامه"

-لا تدرجني للألعابك، ستخبرني بما أريد معرفته"

-حسناً أيتها (الأم)، أعلم أنكم تحبوا التقارير بشدة، لذلك سيكون هُنَاكَ

تقريراً مفصلاً على مكتبك في الصباح... أتمنى بأن يكون ذلك كافيًا، فهل لي بالذهاب

الآن لأبدأ بكتابته ودعينا نكتفي بهذا الوقت الضائع، الذي لن يساهم بالوصول لأي

نتيجة" وبتبسم ابتسامة خفيفة، وهو يقول الجملة الأخيرة

تستمر (الأم) بإلقاء نفس النظرة له وهي تعلم إنه بالفعل الحوار لن يصل

معه لأي نتيجة، فكلاهما عنيد ولن يقبل بالاستسلام للأخر، فتهز رأسها بالموافقة،

فيخرج من الغرفة، ثم يدخل المساعد الخاص بها من الباب الذي خلفها.

(الأم):

-أريد فوراً أن يذهب فريق ليمحي أي أثر تركه (سادي) بالمكان"

- "أجل سيدتي"

ثم يخرج المساعد من جيبه جهاز إرسال صغير، يرسل من خلاله الأمر الذي طلبته ثم يقول:

- "وماذا عن المراقبين؟"

- "لا يوجد مراقبين، لقد قتلهم (سادي)"

تملاً الدهشة وجه المساعد، وتكمل (الأم) كلامها:

- "الجانب النفسي على حق بشأن (سادي) للسيطرة عليه لا بد من أن

تثبت له من الأقوى والمسيطر، وتجعله يصدق، ويقر بذلك، ولهذا أريده بأن يظن أنه لن يكون معه مراقبين بعد الآن، ويتم وضعه تحت المراقبة من قبل فرق العمليات الخاصة، أعلم إنه مجنون ولكنه ثبت شيء لي الليلة، أنه مهما كان المطلوب سيفعله، وسينجح به، طالما الأمر تحت السيطرة لا داعي لأي إجراء متعسف بشأنه..."

يأتي الآن دور (سلام) بالمرحلة الثالثة وتم إبلاغه بالهدف المراد التخلص منه وكانوا شقيقان يعملان بالمحاماة، كانا لا يفترقان، سواء في الدراسة أو العمل، فهما يعملان معاً بمكتب مستقل أنشأوه بأنفسهم من الصفر، وزادت شهرتهما بسبب مرافعتهما المزدوجة أمام الإعلام، فهما يعرفان كيف يسرقان الأضواء، وكلا منهما يكمل جملة الآخر كما لو كان عرض مسرحي متقن التمثيل. (سلام) يشعر بالتمزيق فهو مختار باختيار الطريقة المناسبة لقتلها، فهو لا يريد أن يقتل أحد قبل الآخر، وألا يرى أي منهما موت الآخر أو يشعر بفقدانه أخيه، لذلك قرر استخدم المتفجرات ليقضي عليهما معاً بوقت واحد، والآن باقي فقط تحديد الوقت

والمكان المناسب...

علم (سلام) من المراقبة، وقراءة الملف الخاص بهما أن لدي الأخين عادة عند الفوز بأي قضية، وهي حجز مطعم بأكمله لحسابهما الشخصي للعشاء، وفتح زجاجة من أعلى أنواع الشمبانيا، وختم الليلة بنوادي التعري والعاشرات ذات الأسعار الباهظة. فذهب (سلام) للمطعم الذي سيتم حجزه وتخلص من المالك، والنادل وأخذ (سلام) مكان النادل الذي يخدمهما، ووضع القنبلة أسفل الطاولة، وجعلها متصلة بزجاجة الشمبانيا التي عند رفعها ستفجر القنبلة ذات التأثير القاتل والمحدود عليهما فقط...

جلس الأخوان على الطاولة، وكان من المعتاد أن الأخ الأصغر يقول النخب، ثم يفتح الزجاجة ولكن قبل أن يفعل ذلك سقطت منه الشوكة أسفل الطاولة وعندما أنحنى لإحضارها لاحظ وجود القنبلة أسفل الطاولة وفهم أنها متصلة بالزجاجة من خلال الأسلاك. يرفع الأخ الأصغر الشوكة من على الأرض ويضعها على الطاولة، ثم ينظر للكأسين المتواجدان أمامه ويمسكهما، وينظر إليهما في حالة من عدم الرضاء ثم ينهض الأخ الأصغر من مكانه، وهو يقول:
"-لما لا تفتح أنت الزجاجة... بينما أحضر أنا شوكة أخرى، وكأسان أكثر

نظافة"

ثم يتقدم الأخ الأصغر بخطوات سريعة نحو المطبخ بينما الأخ الأكبر يمد يده ويمسك بالزجاجة وعند لحظة دخول الأخ الأصغر المطبخ يضع يده على أذنيه، ويرفع الأخ الأكبر الزجاجة وتنفجر المتفجرات التي تقتله في الحال وكان (سلام) يراقب ما يحدث في صمت من على بعد...

يخرج الأخ الأصغر هاتفه النقال ليطلب رقم النجدة، وقبل أن يطلب

الرقم قال بصوت عالي لنفسه:

"كان هناك أخين يسرقان الأضواء... الآن هناك أخ واحد عليه كل

الأضواء"

ثم يبتسم ويستعد لطلب النجدة، ولكن (سلام) يأتي من خلفه، يأخذ الهاتف منه ثم يسدد لكمة قوية للأخ الأصغر.

(سلام):

"أنت تثير اشمزازي"

الأخ الأصغر:

"إنها فقط أعمال، لما لا نتكلم في سعرك، فكل شيء في النهاية له سعر".

(سلام):

"العائلة ليس لها ثمن".

ثم يخلع معطفه، ويدخل في معركة قتالية بينه وبين الأخ الأصغر التي لم تكن متكافئة على الإطلاق، فالنصر طبعاً كان من حليف (سلام) الذي كسر عنق الأخ من الخلف بسرعة وبكل سهولة، بعد محاولات يائسة بتسديد لكمت ضعيفة من الأخ الأصغر.

عاد (سلام) ل(جنة عدن)، ورفع تقريره الخاص بالعملية في اليوم التالي، لأن ذهنه محملاً بعدة أسئلة، كيف يمكن أن يكون هناك أشخاص هكذا، لديهم الاستعداد للتضحية بذويهم من أجل أنفسهم، كيف يمكن لبعض الناس أن يستهانوا بالعائلة هكذا...

يمر عام ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ و(سادي) و(سلام) يقومان بعمليات القتل التي

تطلب منهم دون نقاش، نلاحظ خلال هذه الفترة (سادي) يصبح أكثر سعادة مع كل عملية على عكس (سلام) الذي ينغمر في عمله الخاص الذي لا يتواجد به سواه هو و(حياة)، ويدخل أكثر في الانعزال عن الآخرين، لا يلاحظ (حياة) ذلك، فطريقة معاملة (سلام) معه ما زالت كما هي...

* * *

يأتي عام ٢٠٠١ ومعها وقت (هدوء) للبدء بالمرحلة الثالثة، فهي تمت العام الثامن عشر الآن، وأصبحت أكثر جمالاً مما يتخيله أي أحد، بعينها الزرقاء الواسعتين والشعر الحريري الذهبي الطويل، ف(الأم) قد سمحت لها بإطالته بعد أن رأت إنها نجحت بالفعل في القضاء على إحساس الأنوثة لديها لكن ذلك لا يمنع جمالها الخلاب الذي يخطف الأنفاس. وتحول اهتمام رجال (جنة عدن) وأصبح تجاه (هدوء) فقط، لم يعد أحد يهتم بوجود (الأم) كأنثى مما زاد غضبها لحد الجنون وأدى لتلاعها بعملية اختيار القتل العشوائي ل(هدوء)، ف(الأم) اختارت الهدف، كارتيل، أحد أخطر تجار المخدرات بكولومبيا، وكان متواجد بصفة سرية في الولايات المتحدة لإجراء إحدى صفقاته المريبة. وكان ذلك هدفاً صعباً بالنسبة لشخص يقتل للمرة الأولى، ولم تكن هذه المعضلة فقط بل (الأم) أبلغت الخطة وموعدها للكارتيل حتى تزيجها من طريقها للأبد. تم بالفعل القبض عليها من قبل الكارتيل ورجاله عند وصولها مكان الهدف، ومنعت (الأم) أي تدخل من المراقبين لإنقاذها بحجة إنها لا بد من فعل ما يؤكد أحقيتها بالتواجد ببرنامج (الأبناء السبعة)، وأن لم تنجح في التعامل مع متطلبات البرنامج، فلا بد من التخلص منها قبل أن تصبح عبئاً على البرنامج...

يتم سجن (هدوء) لأخذ معلومات منها لكنها لا تتحدث وتتحمل التعذيب

وللأسف جمالها الشديدة كان سببًا في تعريضها لنوع آخر من التعذيب الجسدي والنفسي، فقد كانت تغتصب يوميًا من رجال الكارتيل، وكان ذلك أول علاقة جنسية تمر بها مما سبب لها في حدوث جروح نفسية شديدة داخلها. كان الاغتصاب عنيف وغير آدمي ويتم وفقًا لجدول الحراسة فمن كان يحرسها هو من يغتصبها، بقيت هكذا لمدة ستة أيام، ستة أيام بأشد جحيم عرفته بحياتها...

في مساء اليوم السابع يدخل الحارس على (هدوء) العارية تمامًا، ويديها مقيدة بالسلاسل مثبتة بالحائط وملابسها الممزقة حولها وأثار الجروح والكدمات بكل جزء من جسدها ما عدا الوجه، فالمغتصبين تعمدوا عدم الأضرار بذلك الوجه الجميل. ينظر الحارس ل(هدوء) الراكعة على الأرض من شدة الإرهاق والتعب وأثار دمائها واضحة على السلاسل، ومعصم يدها مجروح بشدة من السلاسل بسبب مقاومتها المستمرة، فهي لا تستسلم وتقاوم قدر المستطاع ولكن للأسف تفشل دائمًا. يتجه الحارس إليها، ويبدأ بتقبيلها وهي تقاوم ذلك وتحاول التحرك يمينًا ويسارًا لكن دون نجاح، يخرج الحارس لسانه ويبدأ بتحريكه على وجهها وهي تشعر باشمئزاز، إلى أن يصل لأسفل عينيها ثم يتوقف، وينظر متيمًا بعينيها وهي تشمئز منه، فهي تشعر بأنفاسه الكريهة الساقطة على وجهها...

الحارس:

"كم أود شكر السيدة التي أبلغتنا بمعاد قدومك وجعلت سجينة جميلة

مثلك ملكًا لنا"

تسمع (هدوء) تلك الكلمات التي تجعل الدماء تغلي بعروقها، وتشتعل من الغضب الشديد، فهذه الكلمات كانت بمثابة الشرارة الأخيرة التي أشعلت كل ما في دخلها فهي تعلم من يستطيع فعل شيء كهذا، فلا يوجد أي سيدة ب(جنة عدن)

سوى هي و(الأم)...

تفلت (هدوء) من قبضة الحارس وترجع للخلف حتى تصطدم بالحائط، فيتقدم إليها الحارس ويبدأ بتقبيل جسدها و(هدوء) لا تقاوم مما جعل الحارس يصبح أكثر ارتياحًا وأقل حرصًا وهنا ترفع يدها المربوطة بالسلسلة بسرعة، وتلف السلسلة حول عنق الحارس، وتشدّها بشدة، والحارس يتمايل كالشعابين يتنفس بصعوبة حتى كسرت رقبته، ولم تتوقف عندما سمعت صوت الكسر بل استمرت تشد بقوة حتى أصبحت رقبته الحارس تتحرك كالجلي بجميع الاتجاهات. ثم تسحب (هدوء) جثمان الحارس إليها، وتضع يدها بجيبه لتأخذ منه المفتاح، وتحرر نفسها ثم تمسك بقطعة قماش ممزقة من ملابسها، تخرج من الغرفة لكنها لا تسرع بالهروب بل تتجه لنافاذة ذات زجاج سميك وتلف قطعة القماش حول يدها وتكسر بها النافذة ثم تمسك بشريحة زجاجة كبيرة على هيئة السكين وتفك قطعة القماش من على يدها وتلفها على شريحة الزجاج لعمل مقبض لها...

تتحرك بممرات المبنى باحثة عن الانتقام فكل من يقابلها كان مصيره الموت، لا يشعروا بقدمها فهي تنقض عليهم كالإعصار تمزق أجسادهم بقطعة الزجاج، لم تترك أحد حيًّا، حتى النائمين ذبحتهم جميعًا أثناء نومهم، دون أي شفقة أورحمة ودمائهم أصبحت الآن تغطي جسدها العاري بأكمله، وأصبحت كما لو كانت ترتدي ثوب أحمر وشعرها تحول من اللون الذهبي إلى الأحمر الدكن. وبعد أن تأكدت من قتل جميع من في المبنى، خرجت منه ولاحظت أنه مجرد مخزن مهجور بمنطقة نائية بعيدة عن مظاهر الحياة، فتسير بلا هدف وهي تحتضن قطعة الزجاج نحو صدرها لفترة، حتى تلاحظ سيارة سوداء تقف بجوار الطريق، فتذهب إليها لتسرقها...

تقرب من السيارة وتلاحظ خروج اثنين منها، وقبل أن ترفع السكين الزجاجي عليهما، اكتشفت إنهم المراقبون الذين يتفاجؤون بدورهم من جسدها العاري المغطى بالدماء، وعندما اقتربت منهما فتح أحدهما لها الباب، وآخر خلع البالطو ووضعها عليها، تدخل السيارة وتجلس في صمت...

أثناء رحلة العودة لـ(جنة عدن) يقول أحدهما محاولاً كسر الصمت الرهيب:

- (الأم) كانت على حق بمنعنا من التدخل، فأنتك حقاً تستحق التواجد
ببرنامج (الأبناء السبعة)"

ثم يلتفت أحدهما مبتسماً نحوها، فقد كان يظن أن ما قاله مجاملة في حقها، وقد ترفع من روحها المعنوية ولكن (هدوء) تنظر إليه دون أن تنطق بكلمة، نظرة مخيفة للغاية ممتلئة بالغضب، فزعت المراقب نفسه، وجعلته ينظر أمامه في صمت، ولم يتكلم أي أحد منهما كلمة أخرى طوال رحلة العودة. فتلك الكلمات كانت بمثابة تأكيد على ما ظنته وهو أن (الأم) هي من أبلغت عنها، وسبب ذلك غضب شديد تجاه (الأم)، (الأم) التي كانت تنظر إليها كقدوة، أصبحت الآن تنظر إليها كعدو وتريد الانتقام منها، ولكنها لا تريد قتلها بل تريد تعذيبها، فتقرر عدم فعل شيء حتى تجد الطريقة المثلى للانتقام...

تفاجأ (الأم) بعودة (هدوء) لـ(جنة عدن)، و(الأم) تعلم إنها لا تستطيع التخلص منها طالما هي داخل (جنة عدن)، فتقرر هي أيضاً التجاهل المؤقت، وتحليل ما حدث. ترفض (هدوء) الذهاب للعيادة لأخذ العلاج، وتذهب لغرفتها وتلاحظ أمام باب غرفتها (حب) ينتظرها، فهو لمح من مكانه المعتاد فوق السطح عودتها...

(حب):

"لقد كنت قلقًا للغاية عليك..."

يلاحظ الدماء على (هدوء) ثم يقول مفزوعًا:

"ماذا حدث وما هذه الدماء؟!"

فتثور عليه في غضب وتصرخ بنبرات عالية كالحيوان المجروح:

"ابتعد عني... أنا لا أريد رؤيتك، ولا أريدك بحياتي"

تدفعه بيدها بعيدًا عن الباب، يشاهدها تدخل غرفتها وتغلق الباب خلفها بعنف، وتتركه يتعامل مع هذه الكلمات التي جرحته بشدة وكانت سبب بزيادة الكراهية داخله، وأصبح هناك الآن كراهية تجاه نفسه وتمنى بعدم وجوده من الأساس. ولقد أتت هذه الكراهية في وقتها فهي كانت سببًا أساسيًا لمعاونته بعملية القتل العشوائي، فالهدف كان اثنين ليس واحد، اثنين مخطوبان وعلى وشك الزفاف خلال أيام معدودة...

(حب) كان متردد بتنفيذ المطلوب، فهو أخذ فترة طويلة في الانتظار والمراقبة متجاهلاً التوقيت المعطى له لتنفيذ المطلوب مما سبب بعض القلق، فذلك الفعل كان تأكيد على كل مخاوفهم تجاه تواجهه ببرنامج (الأبناء السبعة)، وكاد ألا يفعلها إلى أن رأى شيئًا أعطاه القوة على فعلها، شاهد الخطيب يخون خطيبته مع إحدى الوصيفات، وبالمثل كانت الخطيبة تخون الخطيب مع أحد أصدقائه. اختار (حب) الموعد للتنفيذ، وانتظر عودة الرجل وخطيبته من البروفة الأخيرة لعشاء الزفاف، وعندما دخلوا غرفة الفندق وأغلقوا الباب، وجدوا (حب) أمامهما الذي سدد لكمة للخطيب وأمسك به من ملابسه، وألقاه باتجاه السرير. اتجهت الخطيبة نحو خطيبها بسرعة، وهي تصرخ بخوف و(حب) يقف أمامهم

ويبدو عليه ملامح الكراهية والاشمئزاز يسير يمينًا ويسارًا ناظرًا إليهما، يحاول المضي في الأمر ولكن مازال هناك جزءٌ ما متردد داخله. فينظر لأعينهم ثم يضع يديه داخل معطفه، يخرج منه سكين ثم يجلس على قدميه في مواجهتهما ويقول:

"هل تحبون بعضكم؟"

فلا يجيب أي أحد منهما ليصرخ (حب) بغضب:

"اجبوني..."

فهمزوا رأسهما بالموافقة وهما يقولان بنفس واحد ومتكرر والفتاة تبكي:

"نعم... نعم"

(حب):

"إذا لتثبتوا ذلك... سأقتل واحد منكما فقط... فمن يتطوع؟"

يصمتوا الاثنان، وينظروا لبعضهم بخوف ولا يجاوبوا على السؤال فيكمل

(حب) كلامه:

"إذا لم يكن هناك متطوعًا، فسأقتل كلاكما"

يندفع الخطيب من على الأرض مبتعدًا عن خطيبته، وهو يشير إليها:

"اقتلها هي... فهناك أشياء كثيرة أودّ عملها بحياتي"

تنظر الخطيبة لـ(حب) بسرعة:

"كلا... اقلته هو وسأفعل لك أي شيء تريده" تقول الجزء الأخير بإغراء

أنثوي

ينظر (حب) إليهما ثم يضع ظهر يده الممسكة بالسكين على فمه:

"أنتم تثيروا اشمئزاي..."

ينهض (حب) من مكانه، ويتجه نحو الخطيب:

- "لا يوجد شيئاً اسمه الحب بهذا العالم"

ثم يرفع السكين في الهواء، ويضرب به عنق الخطيب، تخرج نافورة من الدماء، فتفزع الفتاة وتجرى بسرعة نحو الحمام، ولكن (حب) يصل إليها قبل أن تستطيع غلق الباب، ويدفعها للخلف ويغلق الباب خلفه قليلاً. يقف (حب) أمامها ممتلئاً بالغضب والكراهية.

الفتاة:

- "أرجوك لا تقتلني، وسأفعل أي شيء مهما كان أي شيء"

فيمسكها من شعرها بعنف ويشدها نحوه:

- "انظري إلى نفسك، انظري لحقيقتك"

وهو يشير بالسكين نحو المرأة التي أمامهما، ثم يجذبها بشدة من شعرها للخلف ليظهر عنقها ويذبحها ببطية وتندفع الدماء نحو المرأة ثم يتركها، فتتحرك يميناً ويساراً، تحطم أي شيء تصادم به والدماء تغطي كل شيء بالحمام حتى ملابسه لطخت بالدماء، وهي تمسك بعنقها، تصارع الموت حتى سقطت على الأرض ولفظت أنفاسها الأخيرة...

يستدير حتى يرحل، ولكنه يجد أمامه فستان الزفاف معلقاً بظهر باب الحمام وقد لطح ببعض قطرات الدماء، يقف في صمت لفترة من الوقت أمامه، ثم ينهال عليه غضباً بالسكين، ويمزقه إلى أجزاء. ثم يرحل من الفندق سريعاً وقبل ركوبه سيارة العودة يتجه خلفها ويبدأ بالقيء اشمئزاً على ما فعله وما رآه...

ينتهي (حب) من القيء ثم يمسح فمه، يركب السيارة بكل هدوء دون قول أي كلمة طوال طريق العودة، فقد كان هناك صراع داخله، انتهى بقتل فكرة الحب بعقله وتصديقه بأن الحب مجرد وهم، لا يوجد بالحياة، ولكن قلبه يختلف معه

في الرأي، ويرفض ذلك بشدة، فالحب مازال يحيا لا إرادياً داخل قلبه من خلال حبه ل(هدوء) مما يسبب له كره زائد تجاه نفسه، فهو لا يستطيع جعل قلبه يقتل فكرة الحب التي أصبح يراها سبباً بتعاسته، فعقله الآن يرى أن الحياة دون حب ستكون أفضل له...

يصل (حب) ل(جنة عدن) ويتبع البرتوكول المطلوب بعد عملية القتل العشوائي بصمت دون أي تأثر أو اعتراض، وكان هو الوحيد من (الأبناء السبعة) الذي فعل ذلك، فجميعهم احتاجوا لفترة زمنية للتأقلم عما فعلوه ما عدا (حب) فعل المطلوب بمجرد خروجه من السيارة...

(حياة) يلاحظ التغيير الحادث بكل من (هدوء) و(حب)، ويفشل في التخفيف منه أو حتى التعامل معه، فهو لا يعلم ما سببه، فهم لا يريدوا الحديث عن عما حدث لهما، فلغتهما أصبحت الصمت التام والتحدث فقط لدى الضرورة، ومن هنا أصبح (حب) و(هدوء) يتجنبوا الجميع ولا يشاهداهم أحد إلا أثناء الحفلة الشهرية. و(هدوء) تلقى بهدية (حياة) الشهرية أمامه دون قول أي شيء والاكتفاء بنظرات تمتلئ بالغضب، ثم تخرج زجاجات الخمور وتشرب أمامهم طوال الليل، أما (حب) عاد إلى ارتداء النظارة الشمسية بالرغم أن الوقت ليلاً، ويكتفي بالجلوس بالشرفة وحيداً متأملاً القمر، و(حياة) أصبح محبطاً، فلا أحد منهما يتحدث معه نهائياً عما حدث لهما فيضطر لاحترام رغبتهما...

تمر سنة، ونصبح في عام ٢٠٠٢ ويختفي (سادي) من (جنة عدن) ولا يعلم الآخرين بما حدث له بل الحق يقال إنهم لم يهتموا بأمر اختفائه أو حتى منحه جزءاً

من تفكيرهم. وعاد كل من (هدوء) و(حب) للحديث مع الآخرين لكنه كان بحساب، الجواب بمقدار السؤال دون الإفصاح عما يحدث معهم من صراعات داخلية...

* * *

في هذا العام، وبالتحديد في الخامس من إبريل بعد أن ترك (حب) الوردة كالمعتاد منه كل عام على باب غرفة (هدوء)، صعد للسطح وجلس بمكانه ونظر للقمر، يرتدي نظارته الشمسية، وكان لا يعلم بوجود (براءة) الذي أراد أخذ صورة له بمكانه المفضل ليضعها بأليوم ذكرياتهم لكن (براءة) لا يأخذ الصورة، فهو يستغرب من (حب) الذي يتحدث مع القمر كما لو كان شخصاً أمامه.
(حب):

-أنا لم أطلب أن أولد، لم أطلب أن أتواجد هنا ب(جنة عدن)، لم أطلب مقابلتها، لم أطلب أن يحبها قلبي، لم أطلب أي شيء في حياتي وعندما تمنيت، وطلبت أن أكون محظوظاً وتبادلني نفس المشاعر لم يتحقق طلبي، فقلت لنفسى لا بد بأنني أناني بهذه الأمنية، فلهذا طلبت أول شيء بحياتي... القوة والقدرة على التحمل والاستمرار، ولم يلب الخالق هذه الدعوة أيضاً... يقولون بأن كل شيء مخطط ومرسوم بواسطة الخالق، ولا بد على أن أقبل برغبة الخالق واستمر بحياتي، وأنا بمنتهي الرضاء، لا أعترض مهما حدث، فكيف يكون ذلك عدلاً بحق السماء... سامحني فأنا لا يمكنني الإيمان بوجود خالق بهذا العالم، لأنه إذا كان هناك خالق لما جعل قلبي يتعلق بشيء لم ولن يكن لي من البداية، والشئ المثير للسخرية أكثر هو إذا شكيت ألى للآخرين سيقولون أن للأمر حكماً وخيراً لي... فإذا كان الأمر كذلك، لم لا يعطني الخالق قوة التحمل أو حتى النسيان، لماذا يجعل ذلك الأمر يلازمي...، لا يفارقني ثانية واحدة، ماذا فعلت لكى استحق هذا الجحيم... إنها

الحياة، وأنا لا شيء بالنسبة لها"

ثم يبكي (حب) بشدة، فيقرر (براءة) الذهاب، وتركه بمفرده الآن، فهو في حالة لا تسمح لأي شيء...

يأتي عام ٢٠٠٣، ومعه دور (أمل) في المرحلة الثالثة، وشاءت الأقدار بأن يكون هدفه هو أكبر صدمة واجهته بحياته، فالهدف كان أستاذه المفضل (بجنا عدن)، الأستاذ الذي كان يقدره، الأستاذ الذي علمه كل ما يعرفه في التاريخ، الأستاذ الذي كان من أشد المؤمنين بوجود مستقبل باهر أمامه... (جون براد) الذي كان يقول له دائماً:

- "ستكون من عظماء التاريخ، ولا يوجد شيئاً بإمكانه إيقاف أحلامك وطموحك"

الغريب في الأمر، قبوله للمهمة دون نقاش على عكس ما كان متوقعاً، فهم لم يكونوا يعرفوه جيداً، فهو طالما ما يرى الواجب وإطاعة الأوامر يأتوا قبل أي شيء بالحياة، وبالتأكيد يوجد لديه إحساس بالتردد والضعف، ولكنه أخفاه داخله، فهو ماهر بإخفاء ما يشعر به...

جاء وقت التنفيذ، واختبأ بشقة أستاذه منتظراً عودته. وكان (أمل) بغرفة النوم وعندما عاد أستاذه ودخل غرفة النوم انقض عليه بحبل من الخلف، وطوق عنقه، وبدء بالشد بقوة كبيرة، و(براد) يقاوم بشدة ويحاول النجاة من الطوق، يتحرك يميناً ويساراً محاولاً أي شيء للنجاة، ولكن دون فائدة، ف(أمل) متمكن منه تمامًا، مثلما علمه أستاذه (جون براد). وقد حرص وراعى (أمل)، على عدم رؤية (براد) لوجهه حتى لا يصدم بأن قاتله تلميذه النجيب والمفضل؛ لكن كل ذلك كان

كذبة يقولها لنفسه، فالسبب الأكبر الذي يعلمه داخله، وينكره هو عدم رغبته برؤية عيني أستاذه، خالية من الحياة، مهزومة بسبب الموت الذي يبتلع كل شيء بطريقه...

ينتهي من مهمته، يفك الطوق، ويترك جثمان أستاذه يسقط على الأرض، دون أي اهتمام أو حتى إعطائه نظرة احترام أخيرة لأستاذه، لا يريد بأن تطارده ملامح وجهه.

يخرج من الغرفة متجهًا لباب الشقة، الذي كان بجواره مرايا كثيرة، وبالصدفة قبل خروجه وقع نظره على إحداها وشاهد نفسه، لاحظ أن عينيه بكيت دون أن يشعر بذلك، وعندما دقق بالنظر أكثر في المرايا، تملكه فزع كبير وصدمة لا توصف، فقد فشل في فعل ما كان يتمناه، فأستاذه عرف من قاتله فالانعكاس فضحه، والآن ها هو يشاهد الانعكاس، انعكاس جثة أستاذه وعينيه التي فارقت الحياة. يقف (أمل) دون حركة من هول الصدمة متأملًا الانعكاس لكل من أستاذه ونفسه، وكيف إنه خان وقتل من علمه، فيكسر المرايا بيديه العارية دون قول أو إصدار أي صوت ويخرج من الباب...

كان ما يتملك عقله طوال طريق العودة ل(جنة عدن)، الخيانة والغدر وكيف قد يأتي أحد مثله في يوم من الأيام ويفعل به ما فعله باسم الواجب، وذلك أدى لميلاد إحساس جديد وشديد بالخوف، ومنه أصبح لا يثق بأحد، يتعامل مع (الأم) و(جنة عدن) بحرص شديد، تحول إلى وسواس بتصرفاته مع الجميع، لدرجة كبيرة للغاية، ملفتة للأنظار...

يلاحظ (حياة) بأن التغيير حدث هو الآخر مع (أمل)، الذي أصبح يتجنب الجميع، ولا يعلم أي أحد مكانه طوال الوقت أو حتى يشعروا بوجوده، فهو يذهب

للحفلة الشهرية، ويرحل منها دون أن يشعر أحد بحضوره أو برحيله، وأثناء الحفلة يجلس فوق أحد أعمدة الإضاءة الخاصة بالمسرح، ويتأكد بأن ظهره دائماً باتجاه حائط ليكون أماناً من أي خيانة، ويختار دائماً الأماكن المرتفعة ليراقب أماكن الدخول والخروج... كانوا جميعهم يأتوا ويظهروا فقط وقت عزف (حياة) على البيانو، فهو الوقت الوحيد الذي يشعرون فيه بجزء من السكينة والراحة النفسية، حتى وإن كانوا يحاولوا نكران ذلك أمام الآخرين وأمام أنفسهم...

* * *

ببداية عام ٢٠٠٤ يأتي دور (براءة) في المرحلة الثالثة وتم اختيار الهدف العشوائي و(براءة) أشد تردد من الآخرين لتنفيذها، يحاول إيجاد الأعداء للتأجيل حتى فاض الكيل ب(الأم) واختارت هي الموعد بنفسها. ولم تكن المشكلة فقط بتحديد الموعد فعندما جاء وقت التنفيذ، رفض (براءة) النزول من السيارة مما جعل المراقبين، يتصلوا ب(الأم) وأخبارها بما جري. وطلبت (الأم) الحديث معه وعندما أمسك الهاتف قالت:

"لما لا تريد تنفيذ المطلوب؟"

"لا أستطيع... إنه خطأ"

"أتريد جعل أنا و(الأب) غير سعداء؟"

"أنا أنا لا أقدر على حزنكم... سأفعل المطلوب أيها (الأم)"

ثم يعطى الهاتف للمراقبين، ينزل من السيارة، ويذهب إلى فيلا الشخص المطلوب الذي كان رجل بأواخر الستينات من عمره، يعيش بمفرده بمنزل فاخر ضخم للغاية، ذو حديقة كبيرة.

يلاحظ ضوءاً وحيداً صادراً من إحدى النوافذ بالفيلا، فيقرر التسلق،

والدخول من خلالها. يدخل من النافذة ليجد الشخص المطلوب جالسًا على مقعد هزاز مستغرق في النوم العميق. فيتقدم نحوه بخطوات متثاقلة ثم يضع يديه بداخل معطفه بتردد ويخرج مسدس كاتم للصوت، يديه ترتعش بشدة. يحاول إطلاق النار من على بعد لكنه لم يستطع، فيديه تهتز بشدة، فتوجه للرجل ولاصق فوهة كاتم الصوت بجانب رأس الرجل الذي يفق لثانية بسبب ذلك وقبل أن يدرك ما يحدث، يضغط (براءة) على الزناد ويلطخ الحائط بالدماء وأجزاء من مخ الرجل... يعود (براءة) إلى سماع وملاحظة ما يحدث حوله، فهو كان بعزل عما يحدث حوله، مركزًا على الهدف، والبحث عن الشجاعة للتنفيذ، يلاحظ باب غرفة أخرى مفتوحًا بعض الشيء، يصدر منه موسيقى يعرفها ويحفظها عن ظهر قلب. فيتتبع مصدر الصوت...

يفتح باب الغرفة ليكتشف بأن هذه الغرفة ما هي إلا متحف لكل شيء له علاقة ببرنامجه المفضل (المبدع ستيفن). يتقدم بذهول، وهو يتفحص كل جزء من محتويات الغرفة بدقة ويتساءل لما كل هذه الأشياء هنا؟، فهناك إكسسوارات تم استخدامها بالبرنامج يعلم إنها ليست متاحة للجمهور العادي. يرى أزياء (ستيفن) ومساعديه بالبرنامج، ثم يتأمل العرائس المصغرة ل(ستيفن) ثم يرفع عينيه إلى الحائط، ويشاهد مجموعة كبيرة من الصور ل(ستيفن)، يتأمل هذه الصور ويتبعها واحدة تلو الأخرى، وهو يبتسم عما تحمله تلك الصور من ذكريات سعيدة له حتى تأتي عينيه على صورة بأخر الحائط تتغير ملامح وجهه بسرعة للصدمة والحزن، فقد كانت صورة ل(ستيفن) مقدم البرنامج يرتدي البذلة، ولكنه خلع رأس البذلة ويمسكها بيده. هنا عرف ما فعله للتو، فقد قتل للتو مقدم برنامج (المبدع ستيفن)، قتل بطل طفولته، عقله يدخل في دوامة لا يقدر على احتمالها، لا

يستطيع القبول بأنه قاتل بطله، وهنا كانت بداية الانهيار الذهني له، فعقله لا يتحمل الواقع، لهذا خلق عالمه الخاص...

يستدير للخلف بحثاً عن مصدر موسيقى البرنامج لي شاهد الرجل الذي قتله للتوقف بجوار صندوق الموسيقى بكامل صحته مبتسماً ويقول:

"أنا (ستيفن)، ما اسمك؟"

يبتسم (براءة) بشدة:

"(بيتر)"

"حسناً (بيتر)، أتود اللعب معي؟"

فيصفق بيديه مثل الأطفال وهو يصيح بسعادة:

"أجل ... أجل"

المراقبان بالخارج يقلقوا بشدة فقد تأخر ومضى على ذهابه أكثر من ساعتان، فيخرجان من السيارة ويذهبا ليستعلما ما يحدث... يدخل المراقبان الغرفة، يلاحظا جثة الهدف ثم يسمعون صوت (براءة) كما لو كان يتحدث مع شخص آخر، فيخرجوا أسلحتهم ويتقدما بحرص... يقتحم المراقبان الغرفة وينصدمان عند وجوده يلعب بمفرده بالغرفة...

يلتفت (براءة) إليهم:

"تعالوا والعبوا معنا"

ينظر المراقبان باستغراب له ويقولوا:

"مع من كنت تتحدث يا (براءة)؟"

"(ستيفن)"

"(ستيفن) من؟!"

- "الذي أتيت من أجله"

فيستغرب المراقبان أكثر فهما قد رأوا للتو جثته، فيستديرا المراقبان للخلف ليتأكدوا مرة أخرى، ينظرا لجثمان الرجل من خلال باب الغرفة المفتوح على مصراعيه. لا يعلم المراقبان ما يفعلوه في مثل هذا الموقف، فيتصلوا ب(الأم) التي تأمرهم بإحضاره بالقوة ل(جنة عدن)، وبالفعل يتم أخذه بالقوة من الغرفة وهو يصبح ويبكي مثل الأطفال:

- "أنا أريد اللعب مع (ستيفن)... أتركوني ألعب مع (ستيفن)"

(ستيفن) يسير خلف (براءة) حتى يصلوا للسيارة، وعندما دخل (براءة)

السيارة، يتوقف (ستيفن) دون حركة أمام باب السيارة، فيقول (براءة) له:

- "تعالى معي يا (ستيفن)" وعلى وجهه ابتسامة كبيرة

يدخل السيارة ويجلس بجوار (براءة) وطوال رحلة العودة يتحدث (براءة)

مع نفسه معتقداً أنه يتحدث مع (ستيفن) بطل طفولته. وعندما وصل ل(جنة

عدن)، أمرت (الأم) بوضعه تحت المتابعة النفسية المكثفة لفهم ما حدث له

ومحاولة علاجه... بعد جلسات الفحص والعلاج، شخض الأطباء حالته وقالوا عنها:

- "عقله لم يستطع تحمل ما حدث، فخلق عالم خيالي حتى يستطيع

التعايش مع نفسه، وفقد من خلاله أي إدراك لمفهوم الموت، أصبح يراه إما نوع من

الانفصال أو الهجرة، ومن يقتله يحمله ضميره معه كأداة من الذنب والعقاب على

عما فعله، ولكن عقله لا يستطيع التعامل مع هذا، فيتجاهل ما يحدث، ويتعامل

معهم كما لو كانوا أصدقائه الخياليين..."

الغريب أن هذه الحالة لا تؤثر على مستوى ذكاءه المرتفع، فهو يستطيع

التعامل مع أعقد الأمور دون مشاكل، ولكن تصرفاته وتعامله أصبحت أكثر شبيهاً

بالطفل، وهذا قد يسبب تهديد لسلامة أي عملية في المستقبل، فيتم الاستمرار بالمراقبة، والمتابعة النفسية له لإيجاد العلاج...

يمر الوقت ويختفى (هدوء) و(حب) من (جنة عدن) بعد أن تموا واحد وعشرين عام مثلما اختفي (سادي) ولا يعلم أي أحد بما حصل لهما، وكان (حياة) لينشغل بذلك ولكن تزامن حالة (براءة) النفسية السيئة مع الاختفاء جعله لا يهتم بذلك الآن، ف(حياة) قلق بشدة على (براءة)، فتصرفاته أصبحت مثل الطفل الصغير حتى طريقة كلامه وتحديثه المستمر مع شخص غير موجود وتقديمه إليهم كأنه موجود، كان يثير الخوف والقلق لدى (حياة) عليه... يحاول (حياة) الاستعلام من (براءة) عما جرى له ولكنه لا يفهم ما يقصده (حياة) بالسؤال، ف(براءة) أصبح يتعامل مع الواقع المحيط مثلما يتعامل طفل في الثامنة من عمره، فهو الآن يتخيل بأن كل شيء مجرد لعبة، لا يفهم ما الحياة والموت، لا يمتلك أي فهم لحقائق الحياة الأساسية...

في عام ٢٠٠٥ كان (حياة) يشعر بالقلق، فهو قد استنتج أن التغيير الذي حل بأخواته، بدأ عندما أتموا الثامنة عشر من عمرهم، وأنه أمامه عام على حدوث نفس الشيء له، لذلك يحاول أن يقوم ببعض التحريات ليستعد لما سوف يحل به لكن أخواته المتواجدين ب(جنة عدن) لا يتكلموا ويكتفوا بالصمت عند السؤال، مما أدى إلى يأس (حياة) من أن يجد إجابات لأسئلته...

حالة (براءة) مازالت مستمرة كما هي وأصبحت تشكل خطورة على سلامة

العمليات التي يكلف بها، فهو الآن لا يطيع أي أوامر سوى من (الأم) و(الأب) ولا يقبل بوجود أي وسيط بالمنتصف، والشيء المدهش تأديته العملية على أكمل وجه، ولكنه أحياناً بعد الانتهاء قد يتشتت انتباهه مثل الأطفال بأي شيء حوله مما يهدد سلامة الهروب الأيمن، وأيضاً تحدثه مع أشخاص غير موجودين يثير رغبة من حوله، ومازال أي شخص يقتله يتحول لصديق خيالي له يتحدث ويلعب معه، لهذا قررت (الأم) أن (براءة) غير مؤهل للعمليات التي بها اتصال مباشر بالهدف لذلك يتم إسناده عمليات القنص فقط، فهو قنص محترف ويعتبر من الأفضل في العالم، فمستوى ذكائه أعلى من أي شخص ويستطيع بسرعة مهولة حساب سرعة الرياح وتأثيرها على التسديد فهو لم يخطئ مرة في التصويب، أو حتى عرف معنى الفشل في إصابة الهدف نتيجة صعوبة الظروف المحيطة فكل ما يحتاجه دائماً، طلقة واحدة ليصيب الهدف دون أي أخطاء، إنه رجل الطلقة الواحدة، يستطيع حساب نسبة الارتداد، وانعكاس الطلقة، يستطيع إطلاق الطلقة بمنطقة بعيدة عن الهدف، ويحدث لها حالة الارتداد والانعكاس وتصيب الهدف في مقتل. أكبر دليل على ذلك، كانت عملية اغتيال مسئول كبير بالحكومة أثناء افتتاح مقر جديد، وحدث تغيير أمني مفاجئ، وقرر عدم القيام بالاحتفال والذهاب للدخل مباشرة من خلال الجراج، ولكن (براءة) وجد اللحظة المناسب التي كانت جزءاً من الثانية، وهي لحظة فتح الباب الخلفي للسيارة وخروج الحارس منه ليعطي تعليمات بإلغاء الاحتفال، ففي تلك الثانية أطلق (براءة) الرصاصة بمفصل الباب، وبما أن السيارة كانت ضد الرصاص فارتدت الرصاصة وأصيب الهدف بين العينين مما أدى لوفاته الفورية. وذلك كان إثباتاً كافياً بأن (براءة) مازال مهماً وضرورياً لبرنامج (الأبناء السبعة)، ولهذا يتم إسناده فقط بالمهام والعمليات التي تتلاءم مع حالته النفسية، ومهارته

بالقنص، ولأن حالته حالة خاصة ويطيع الأوامر فقط من (الأم) أو (الأب)، تم جعله حارس شخصي ل(الأم)، فهي الوحيدة التي يسمع كلامها دون تردد، تعرف كيف تتعامل معه وجعله يعمل بالكفاءة المطلوبة...

كان (براءة) يصاحب (الأم) في كل مكان تذهب إليه وأحياناً يمكث معها بمنزلها وقد يقضي معها الليل بنفس الغرفة، وينام أسفل سريرها، فهو أحياناً لا يستطيع النوم بمفرده بغرفته، خوفاً من الكوابيس التي كانت تلاحقه معظم الوقت وللأسف الأوقات الذي يقضيها بمنزلها كانت تؤثر بشدة على حالته النفسية، فهي لا تتصرف كأُم أمامه، فهو قد يجدها نصف عارية أو عارية، تتحرك بحرية في المنزل. وكانت تعتمد ذلك وخصوصاً التحرك بإغراء أمامه، فهي تحب التسلية بالرجال كعادتها، وتريد أيضاً رؤية قدراتها على إثارة غرائز (براءة) كتحدى لنفسها، تريد البرهان لنفسها بأنه لا يوجد أحد بإمكانه مقاومتها، وكانت تصل الأمور لدرجة ترك باب الحمام مفتوح عندما تأخذ حمامها بل أنها تنادي عليه ليحضر لها المُنشَفة التي تكون في الغالب بجوارها، وذلك لكي تقف أمامه عارية بالكامل، وتجبره على مشاهدتها. وأحياناً تأتي برجال للمنزل لعلاقات عابرة وهي تعلم وجوده بالمنزل معها، وتعتمد ترك باب الغرفة مفتوحاً ليشاهد ما يحدث إذا مرَّ بالصدفة من أمام الغرفة، وقد تسجل فيديو بعض من هذه اللقاءات، وتجعله يصنفها بمكتبة خاصة بها، وتجعل هذه المكتبة دائماً في حوزته وتعطيه كل الصلاحيات بها، وأحياناً تطلب منه من وقت لآخر لغرض التسلية إعادة ترتيب المكتبة حسب درجات نشوتها الجنسية، وتركه الحاكم على ذلك دون أي تدخل منها، أو ترتيب المكتبة على حسب أعلى مرات أطلقت بها صرخات استمتاع أو حسب عدد مرات ممارستها مع رجل بيوم واحد. لقد كانت سيدة مريضة للغاية، لا تهتم بما قد يؤثر ذلك على (براءة)،

كان مجرد تسلية ولعبة بالنسبة لها، لا تهتم بما سيسبب ذلك عليه من تدهور وتدمير بحالته النفسية، وصراعاته مع عقله وضميره. وقد يبدو لك أن (براءة) لا يدرك ما يحدث، لأنه يتعامل مثل الأطفال، فأحياناً يغمض بصره، وأحياناً ينظر؛ فقد خلق عقله آلية للدفاع، وهي التعامل مع هذه الأمور، كما لو كانت أشياء عادية، أصبح يفعل طلباتها المريضة والسادية، دون مبالاة أو إثارة لغرائزه، وذلك كفيلاً يجعلها دائماً في حالة غضب، تحاول تصعيد الأمور بشتى الطرق، لكن دون نجاح، فقد فصل عقله تلك الأمور عنه...

تأتي بداية عام ٢٠٠٦، وأصبح خلالها (براءة) الحارس الخاص المثالي ل(الأم)، تدرج في وظيفته حتى أصبح الرجل الثاني لها، فهو الوحيد التي يخشي بحق على حياتها أكثر من نفسه، و(الأم) تعلم أنه الوحيد الذي لن يغدرها، مثلما يحلم الآخريين الذين يطمعوا بأخذ مكانتها في المنظمة، وأيضاً تأكيد ومعرفتها بأنها صاحبة التحكم المطلق به، فهو ينفذ الأوامر بأعلى كفاءة دون نقاش، ومهما كان الأمر مستحيلاً، لا يفشل به وكل ما يطلبه بالمقابل هو رضائها عنه، وأن تكون فخورة به، وكانت حتى ذلك تحرمه منه، فهي قليلة الشكر والثناء، وأكثر ما قالته له عن نجاح عملية، كلمة جيد أو هزة خفيفة بالرأس، ولهذا كان يحاول جاهداً إتقان عمله أكثر عن كل مرة، حاملاً بسماع الثناء والشكر، الذي لا يحصل عليهما، مهما فعل من أجلها. وفي نفس العام يختفي (أمل)، هو الآخر من (جنة عدن) مثل باقي أخواته؛ فقد تم ٢١ عاماً، مما يجعل (حياة) يبدأ بأخذ خطوات أكثر صرامة، وقوة لمعرفة ما يحدث، فهو سيتم الثامنة عشر بنهاية هذا العام، يلجأ ل(سلام) الذي لا يجيب على أسئلته التي أصبحت أكثر إلحاحاً والشيء الوحيد الذي يقوله له:

- "عيش واستمتع بالحياة، ولا تضع ذلك الأمر ببالك"
يعلم (حياة) إنه لا جدوى من الحديث مع (سلام)، فهو عنيد، ولن يخبره
بما يريد ولذلك يركز إلحاحه على (براءة)، الذي كان في البداية لا يتجاوب معه إلى
أن رد عليه بعد الإلحاح الشديد والمستمر، وقال:

- "لا تخاف إنها مجرد لعبة جميلة، وستكتسب منها أصدقاء جدد كل مرة"
يلاحظ (براءة) اليأس والحيرة بعين (حياة) عندما يقول:

- "أريد أن أعلم ما يحدث"

فينظر إليه بكل سذاجة:

- "لما لا تجرب الأرشيف!"

(حياة) بتعجب:

- "أرشيف...! ماذا تقصد؟"

- "إنه مكان نحتفظ به بالأوراق التي تحتوي على كل شيء يحدث بـ(جنة

عدن)"

- "هل يمكنك مساعدتي في دخوله؟"

يتردد (براءة) في الكلام:

- "أنا ... أنا لا أستطيع (أم)... قد تغضب بذلك الشأن"

- "أرجوك (بيتر)، من أجلي... إنني لم أطلب شيئاً في حياتي منك من قبل"

ينظر (براءة) إليه وهو يستوعب كلماته التي تحدث به بعض التأثير لكنه

يستمر بالصمت.

(حياة):

- "إذا لم يكن من أجلي... فليكن من أجل أخواتنا"

يهز (براءة) رأسه بالموافقة وبيتسم:

- "من أجل أخواتنا "

* * *

يدخل (حياة) الأرشيف بمساعدة (براءة)، ويتركه مع الأوراق ليلبحث براحته، لكنه لا يجد أي أوراق تساعد للوصول لإجابة، فكل ما وجده الملفات الخاصة بالواحد والعشرون طفلاً، التي كانت تحتوي فقط على البيانات الأساسية، من هم وما هي الحالة الخاصة بكل أحد منهم، واكتشف أن كل طفل من الأربعة عشر طفلاً الذين اختفوا، مختوماً على الصفحة الأولى بختم أحمر كبير كلمة.

"تم التعامل معهم"

يبدأ (حياة) بفتح ملف (سادي)، يجد به البيانات المتعلقة بوجوده في (جنة عدن)، والتقدير التي حصل عليها والصفحة الأخيرة، كانت تحتوي على ملخص خاتمة الاجتماع الأخير بخصوص كيفية التعامل معه، ينظر بتعمق (حياة) في الصفحة، ليعرف ما حدث له، ويجد أنه فقط مكتوب جمل عامة عنه تقول:
"لا يوجد أي سبب منطقي لكي يصبح (سادي) بتلك الطريقة. فقد تم التعامل معه كما يقول الكتاب، ولذلك تم الأمر بعمل تحريات عن ماضيه السابق قبل حضوره ل(جنة عدن)، فوجدنا الآتي، السبب الرئيسي لتصرفه بهذه الطريق هو عامل وراثي جيني، وليس بسبب النشأة، فوالديه كانوا مختلين عقلياً، ارتكبوا الكثير من جرائم القتل البشعة، وتم حبسهما بمصحة للأمراض العقلية، وعندما تم ولادة (سادي) تم أخذه للملجأ، فذلك شيء لم نضعه في حسابات الاختيار، تأثير العامل الوراثي في النشأة، فلا يوجد أي اختبار يمكنه التنبؤ بذلك؛ لهذا أمرنا بعمل مزيد من التحريات عن الآخرين، لمعرفة أن كانت هناك

أي احتمالات، ليصبحوا مثل حالة (سادي)"

أسفل هذه الفقرة، كان يوجد مكان الإقامة الحالي، ولا مكتوب به شيء،
سوى ختم أحمر كبير يحمل جملة

"سري للغاية"

فيترك (حياة) ملف (سادي)، ويفتح ملفات أخواته الآخرين، ويكتشف أنه
يفقد عدد كبير من الأوراق، مثل ملف (سادي)، فيتجه للورقة الأخيرة بالملف،
ليبحث عن مكان الإقامة الحالي، وبالفعل وجد عنوان لكل واحد منهم، ولا يستطيع
التأكد أن كانت هذه بالفعل أروورقة أم هناك ورق آخر تم أخذه.
ينظر (حياة) ل(براءة):

"-هناك بعض الأوراق الناقصة وذلك واضح من الترقيم، فهل تعلم أي
شيء عن ذلك؟"

"-هذه هي الملفات العامة التي يتم إعطاؤها للعاملين ب(جنة عدن)، ليؤدوا
عملهم"

"-ماذا تعني؟"

"-هناك ملفات خاصة أخرى، تحتفظ بها (الأم) لنفسها، ولا يسمح لأي
أحد بالاطلاع عليها..."

"-أين هي هذه الملفات؟!"

"-لا أعلم... فمى لا تخبر أحد بمكانها"

"-حسنًا، هل بإمكانك الجزم إذا كانت هذه هي الورقة الأخيرة في الملف؟"
يهز (براءة) رأسه بالنفي
(حياة):

- "اللجنة، هناك احتمالية بكون هذه العناوين قديمة"

- "أتعني أننا لن نرى أخواتنا مرة أخرى؟"

- "لا تقلق يا (بيتر)، سأفعل ما في قدرتي"

- "جيد" يقولها (براءة) وهو يهز رأسه، ويضحك مثل الأطفال.

يترك (حياة) الملفات، لكنه لا يخرج من الغرفة، بل يقف مكانه متأملاً ملفه، وكيف أنه قد يكون فرصته في معرفة من يكون، فيفتحه، ويتمنى أن يكون به ما يساعده. يجد (حياة) بالملف بيانات مهمشة عنه ولا شيء أكثر، لكنه يقرأها بدقة، محاولاً إيجاد أي تفاصيل عن أصله، ويجد بإحدى الصفحات مكتوب اسم أمه الحقيقي، وهو (ماريا كريست جونز) ولا شيء أكثر عنها، فيأخذ الاسم ويرحل من الأرشيف...

* * *

في الليلة التالية، يخرج (حياة) من (جنة عدن)، دون علم أي أحد ويذهب في رحلة للبحث عن إجابات...

يصل (حياة) إلى المدينة، ويتوقف لدى مطعم أمامه سيارة شرطة، وكان الضباط داخل المطعم يتناولون الطعام، فيقتحم سيارة الشرطة بهدوء ودون ملاحظة أحد، يستخدم الحاسب الألى الخاص بالسيارة في إدخال اسم والدته، ويظهر أمامه بياناتها، وعنوانها الحالي الذي يكتبه ثم يرحل ذاهباً إلى العنوان. ليتفاجأ بأن العنوان في منطقة فقيرة، وسيئة للغاية، والمباني التي بها متهاكّة، والمتسولين، والعاشرات يملؤون ذلك الشارع، وكلما كان يتقدم بالشارع العاهرات وتجار المخدرات يحاولون الاقتراب منه لبيع ما يملكوه، ويرفع (حياة) يديه رافضاً ما يعرضوه فهم لاحظوا البذلة الغالية، والساعة القيمة التي يرتديها...

يذهب (حياة) لرقم العقار الذي معه، يصعد لرقم الشقة المكتوب،
ويطرق على الباب لكن دون أي إجابة، فتخرج إحدى الجيران، سيدة عجوزة في
السبعين من عمرها التي تقول:

"إنها غير موجودة الآن، أيمكنني مساعدتك بشيء؟"

تنظر إليه السيدة العجوزة بتأمل، تلاحظ بذلته الفاخرة ذات الثمن
الغالي فتقول:

"لا بد من إنك من الجمعية التي ترعى (ماريا)"

فيستغل (حياة) ذلك:

"أجل، سيدتي، هل لديك فكرة متي ستعود؟"

"إنها دائمًا ما تعود في حدود منتصف الليل"

ينظر (حياة) لساعته، ويكتشف أن الساعة مازالت العاشرة

السيدة العجوزة:

"يمكنك أن تنتظرها عندي"

"لا داعي لذلك"

"ألا تريد أن تشارك سيدة عجوزة فنجان من الشاي، وتأنس وحدتها؟"

لا يجد (حياة) سببًا للرفض، فهو لا يعلم أين وكيف سيقضي الوقت
بالانتظار. يدخل (حياة) الشقة وتقوده السيدة العجوزة إلى الصالون، يلاحظ أن
شقتها تحتوي على حس عالي الذوق، بالرغم أن بعض الأشياء متهاكلة لكنها في
تناسق مع بعضها، ولا تتناسب محتويات الشقة بما رآه للتو بالخارج، فكيف ذلك
الذوق العالي يتواجد بهذه المنطقة...

يجلس (حياة)، وتحضر السيدة العجوزة طاقم شاي فاخرًا، وتقول

السيدة، وهي تسكب الشاي بالفنجان مبتسمة وسعيدة:
- "أول مرة منذ زمن... استخدم طقم الصيني الخاص بالضيوف" ثم تعطي
الفنجان له.

(حياة) وهو يأخذ الفنجان منها:

- "منذ متى وأنتِ تسكنين هنا؟"

تجلس السيدة العجوزة بالمقعد المقابل له:

- "أنا أسكن هنا منذ أن تزوجت... عندما كان ذلك المكان راقى وجميل؛

ليس بالبشاعة التي تحول إليها"

- "لم لا ترحلي عن المكان؟"

تنظر السيدة العجوزة لصورة الزفاف الموضوعة على الحائط:

- "زوجي عاش معي هنا حتى توفي على سريرنا، وأنا لست أفضل من زوجي،

فهذا المكان يحتوي على ذكرياتنا... أنا أحياناً أشعر بوجوده معي يراقبني ويراعني،

وأيضاً أريد أن يكون مكان بداية حياتنا... هو نفس مكان خاتمة حياتنا"

يبتسم (حياة)، ويسعد بإخلاق السيدة العجوزة لزوجها، ويشرب من

الفنجان...

السيدة العجوزة:

- "مازال هناك أمل بهذا العالم... فعندما ترى شاب صغير، وفي بداية

حياته، يعمل بجمعية من أجل مساعدة الآخرين... تشعر بأن الخير سيظل موجود،

مهما حدث"

- "بالتأكيد، سيدتي"

- "شاب ذو سلوك حسن مثلك، يستحق قطعة من تورتة الشكولاتة التي

صنعتها"

تهض السيدة العجوزة وتذهب للمطبخ، وهي تقول:
-"لا يوجد أحد، تذوق تورته الشكولاتة الخاصة بي إلا وأعجب بها... إنها
وصفة سرية، ابتكرتها بنفسى"
تعود السيدة العجوزة، وهي تحمل طبق به قطعة من التورته:
-"أتمنى أن تعجبك"
يأخذ منها (حياة) الطبق:
-"أنا واثق، إنها ستعجبني"
يتذوق (حياة) قطعة التورته:
-"بالضبط كما قلت... لقد أعجبتني"
فيضحك (حياة) والسيدة العجوزة...
(حياة):

-"هل تري وجود أي شيء بإمكان الجمعية فعله من أجل (ماريا)؟"
-"في الحقيقة... أتمنى فقط أن تجعلوها تعود للعلاج النفسى، أعلم إنها
ترفضه ولكنها في أشد الحاجة إليه"
يترك (حياة) الطبق، ويعطي كل اهتمامه بكلام السيدة العجوزة التي
تكمل كلامها:

-"إننى لا أنكر جهود جمعية (ضحايا الاغتصاب)، إنها صاحبة دور قيم
وتفعل أشياء مفيدة"
ينصعق (حياة) عند سماعه جمعية (ضحايا الاغتصاب) ويحاول إخفاء
ذلك.

(حياة) محاولاً استدراج المعلومات:

-الحقيقة... هذه أول حالة يتم تكليفها لي بالجمعية، ولم يكن لدى

الوقت الكافي لدراستها، فهل يمكنك مساعدتي؟"

-"بالتأكيد، أعلم أن حالة (ماريا) مختلفة عن الآخرين، وأن ملفها أكبر

وأصعب من أي شخص أخر بالجمعية... لقد تعرضت (ماريا) للاغتصاب، وهي في الخامسة والعشرون من عمرها... تجربة في غاية الألم والبشاعة لأي شخص، وكانت تأثيرها أكبر عليها، وسببت لها صدمة نفسية كبيرة... ف(ماريا) إنسانة حساسة للغاية، وليست قوية للدرجة التي قد يتخيلها الجميع"

تصمت السيدة العجوزة، لفترة وجيزة، وتبدو عليها مشاعر التعاطف

والحزن وتقول:

-"المشكلة... إنها لم تكن تعرف، كيف تتعامل مع الموقف ولا ألومها، فلا

أحد في موقفها يعرف كيفية التصرف في مثل هذا الأمر"

تنهض السيدة العجوزة بصمت، وتذهب لغرفة وتحضر منها صندوق

قديم، يبدو عليه أنه لم يفتح منذ زمن، تعطيه ل(حياة) الذي يمسح بعضاً من التراب الذي عليه، ثم يفتح الصندوق، ويجد به بعض الملفات والصور وقصاصات من الجرائد التي تحتوي على عناوين جريمة اغتصاب البشعة، يقرأ المكتوب بالملفات والقصاصات، والسيدة العجوزة تستمر بالحديث:

-"إنهم لم يستطيعوا الإمساك بالجاني، وقيدت الجريمة ضد مجهول،

وزوجي كان محرياً خاصاً يمتلك قلب طيب وكبير... وعندما سكنت (ماريا) بجوارنا، وعلم عن هذه القضية وحالتها، ظن أنه إذا استطاع القبض على الجاني... ستشعر بجزء من الراحة، لكنه للأسف، لم ينجح وهذه هي كل أوراقه عن القضية"

يسمع (حياة) والسيدة العجوزة، صوت خطوات خارج الشقة مع صوت ارتطام عالي، فتنهض السيدة العجوزة، وهي تقول بأسى:
"- (ماريا)..."

تذهب السيدة العجوزة للباب، ويتبعها (حياة) بسرعة وعندما تفتح السيدة الباب، يشاهد (حياة) امرأة ذات ملابس باهتة وقديمة، يبدو عليها علامات السكر الشديد، تحاول النهوض من على الأرض لكنها تستمر بالسقوط بسبب حالة السكر الشديدة.

تلاحظ تلك المرأة السيدة العجوزة فتقول وهي تصيح:
"- (أنجيلا)... (أنجيلا)، كيف الحال؟"
(أنجيلا):

"-أوه (ماريا)... لماذا تستمرين في فعل ذلك بنفسك؟"
"-أوف ... أنت تعرفين (أنجيلا)... لا أريد محاضرة أخرى، أريد أن أناااااام"
تلاحظ (أنجيلا) بأنها تستعد للنوم بالمرمر؛ لذلك تخرج من الباب، وقبل أن تحاول رفعها من على الأرض، تجد (حياة) قد سبقها بسرعة، وحمل (ماريا) من على الأرض، وهو يقول:

"-دعيني أساعدها..."

يحمل (حياة) (ماريا)، ويتقدم بها إلى شقتها...
(حياة) ل(أنجيلا):

"-هل هي دائمة الشرب بكثرة؟"

"-بعد الولادة أصبحت لا تفارق الزجاجاة"

وهنا تبدو ملامح الصدمة على وجه (حياة): لأنه استنتج أمر يتمني بأن لا

يكون صحيحًا...

يصل (حياة) إلى الباب، وتفتح (أنجيلا) باب شقة (ماريا)، بالمفتاح الاحتياطي الذي تحمله معها. يدخل (حياة) ومعه (ماريا)، ويجد الشقة دون أي أثاث، شديدة الفقر، لا يوجد بها أي شيء قيم على الإطلاق، والحيطان مكسورة والشروخ تملأها.

يجد (حياة) السرير أمامه، فيضع (ماريا) عليه، وقبل أن يضبط نومتها بالسرير، تقئ (ماريا) على حذاءه، ولا يهتم بذلك بل يستمر بضبط قدميها، إلى أن ينتهي من ذلك، ويذهب للحمام ويخرج مندبلة، ليلبه بقليل من الماء، ثم يتجه لـ(ماريا) ويمسح وجهها من أثار القيء، وعندما حاول خلع معطفها حتى تنام براحة أكثر، صفعته (ماريا) صفقة قوية على وجهه، وصرخت:

"ماذا تفعل؟!... ابتعد عني..."

لكن لا يرد (حياة) على الصفعة، يستمر بمساعدتها، و(أنجيلا) التي تشاهد الموقف من بعد، تضع يدها على فمها وتقول مصدومة:

"يا إلهي ... (ماريا)، كفى عن ذلك... إنه يساعدك"
(ماريا):

"يساعدني!... لا يوجد أحد يستطيع مساعدتي"

تتأمل (ماريا) وجه (حياة) بدقة أكثر، وهو مازال يخلع معطفها، وهي لا تقدر على المقاومة، فهي في حالة سكر شديد...

(ماريا):

"أتركني، ربما أبدولك بلا حيلة أو قوة، ولكن أنا لدى ابن في مثل عمرك،

ويستطيع أن يأخذ حقي منك، ربما هو ليس هنا الآن..."

تصمت لفترة (ماريا) ويبدو أنها تتذكر الماضي، ثم تكمل الكلام:
- "كم كنت أتمنى أن يظل بجواري، لكنني لم أستطع... كنت أريد منحه
الحب والمعاملة التي يستحقها ولكن... كلما نظرت إليه ذكرني بالألم الماضي التي أريد
نسيانه... أجل أنه من الأفضل له أن يعيش بعيدًا عني في سعادة من أن أصب عليه
غضبي وكراهيتي... أنه الآن يحيا حياة أفضل، وأكثر سعادة وهدوء... بعيدًا عن كل
المعاناة التي كان سيعانها مني... أجل أنه أفضل هكذا..."
ثم تخلد إلى النوم، ويخلع (حياة) المعطف عنها، ويتركها لترتاح...
ينهض (حياة) ويتجه لـ(أنجيلا)، ويقول بصوت يبدو عليه التأثر كما لو كان
يكتهم دموعه:

- "الطفل... الطفل كان نتيجة جريمة الاغتصاب، أليس كذلك؟"
تهز (أنجيلا) رأسها بالتأكيد وتقول:
- "إنها ليست إنسانة سيئة، فلا يوجد أي شخص يعرف كيف يتعامل مع
موقف صعب كهذا"
فيضع يديه في جيبه ويخرج منه عدة أوراق نقدية كثيرة، ويعطيها
لـ(أنجيلا):

- "أرجوك، اعتني بها جيدًا"
- "لا تقلق"
يخرج (حياة) من العقار، يسرع بخطواته تدريجيًا، اتجه للممر الخلفي
للعقار، ولا يبالي بأن السماء بدأت تمطر بشدة...
يقف بجوار صندوق القمامة ناظرًا لأسفل ثم يرفع يده اليمنى ليضعها
على وجهه، يبدأ بالبكاء والأنين بالرغم من إنه يحاول السيطرة على نفسه والتحكم

بمشاعره لكنه لا يقوى على إيقاف الدموع والألم...

- (أنجيل)...-

كان ذلك صوت (سلام) يناديه خلفه، يستدير (حياة) برأسه ويرى أخيه واقفًا، ف(سلام) كان يتابع ويراقبه منذ خروجه من (جنة عدن)، فهو يخشى عليه احتكاكه بأخواته، فهو يعلم جيدًا إنهم تغيروا، وأصبحوا قادرين على إلحاق الأذى بالآخرين، وهو لا يريد أن يمسه أي ضرر.

يتقدم (سلام) نحوه:

- "لقد سمعت كل شيء"

يستدير (حياة) بوجهه مبتعدًا عنه، ويتحدث وهو معطيًا ظهره لأخيه ناظرًا للأرض مكسورًا متألمًا:

- "إذا... أنت تعلم الآن من أنا... أنا لست سوى غلطة... غلطة، كانت تجب

ألا تحدث"

(سلام) بحزم وشدة:

- "لا تقل ذلك"

(حياة) بصوت يهتز به نبراته:

- "أقول ماذا!... أنه لا يوجد أحد يريدني... أو حتى يتمنى وجودي"

يتقدم (سلام) نحوه ليقف أمامه، يضع كلا يديه على كتف (حياة) الذي

يحاول إخفاء وجهه الممتلئ بالدموع لكيلا يشاهد انكساره

(سلام) بحزم وشدة:

- "أنظري... أنظري"

ينظر إليه (حياة) وملامح وجهه تبدو عليها الانكسار.

(سلام):

"لا تقول ذلك أبدًا على نفسك، أنت لست بغلطة... أنت الشيء الوحيد الذي يعطي للحياة معنى... أنت أخي... أنت عائلتي... أنت من جعلتني أنظر إلى الحياة واكتشف أنني لست وحيدًا... نحن أخوة... ولا شيء سيغير من ذلك"
ثم يحضنه (سلام)، وتتساقط دموع بسيطة من عين (سلام). يقبض (حياة) بيديه بشدة على ظهر معطف (سلام)، ويزداد بالبكاء...

(سلام):

"كل شيء سيكون على ما يرام... أعدك بحياتي"
ثم يأخذه (سلام) ويعودا إلى (جنة عدن) ويتركه ليأخذ قسط من الراحة... في اليوم التالي، يريد (حياة) الاستمرار برحلة البحث عن أخواته، ومعرفة ما حدث، و(سلام) لا يقبل ذهابه بدونها... فلا يترك خيار (حياة) سوى الموافقة على قدومه معه...

كان العنوان الأول ل(هدوء)، وعندما وصلوا إليه بسيارة الأجرة، لاحظ (حياة) شخص يشبه (هدوء)، ترتدي جاكيت جلد رجالي وبنطلون من الجينز الأسود، تستعد للرحيل بدراجتها النارية، فيقرر (حياة) متابعتها بسيارة الأجرة. تسير (هدوء) بسرعة جنونية في الشوارع دون أي مبالاة بأي شيء إلى أن تقف أمام حانة بدراجتها النارية... تدخل هذه الحانة التي يبدو أن كل من بها راكبو الدرجات النارية، وسائقو الشاحنات.

يدخلان الحانة خلفها والجميع ينظر إلى (حياة) بسبب ملبسه الغير لائقة بالمكان، فهو يرتدي بذلة فاخرة لكنهم سرعان ما كفوا عن النظر بسبب نظرة (سلام) المرعبة وضخامة جسده، فهو لم يكن يحب الطريقة التي نظروا بها لأخيه...

(هدوء) جالسة على حافة البار وظهرها باتجاههما، لا تعطى اهتمام بأي شيء حولها وأمامها زجاجة من الفودكا وكأس تشرب منه، ترتدي جاكيت جلد، أسفله تي شيرت رجالي، مفتوح العنق يظهر جزء من وشم لرأس ثعبان، فاتح فمه وكاشف عن أنيابه، مستعد للانقضاض على الفريسة، ف(هدوء) حصلت على الوشم بعد فترة قليلة من رحيلها عن (جنة عدن)، والوشم عبارة عن ثعبان يلتف حول جسدها بالكامل، كما لو كان حبل يقيدها، فجسد الثعبان يلتف حول معدتها، وطرف ذيله ينتهي عند فخذها الأيسر، ورأس الثعبان تظهر من بين صدرها.

تملاً (هدوء) كأسها مرة أخرى من زجاجة الفودكا* الخاصة بها، ونكتشف أنها لا تضع أي إضافة لتخفيفها، تشربها مركزة بدون ثلج وذلك من أصعب الأمور التي قد يفعلها أي شخص لشدة مرارتها وقوتها، فهي ذات تركيز كحولي يصل إلى ٦٥ في المائة.

*مشروب الفودكا: هو مشروب كحولي شائع، يتم إنتاجه عن طريق تقطير ناتج تخمير الحبوب أو البطاطا، تتكون الفودكا من الماء وكحول الإيثانول بشكل أساسي.

قبل أن يتجه إليها (حياة)، يمسك (سلام) ذراعه بهدوء:

- "هل أنت متأكد من الماضي بذلك الأمر؟"

فينظر إليه بكل ثقة ويرد بكل تلقائية:

- "إنها أختنا"

فيتركه (سلام) مع هزة بسيطة برأسه بالموافقة ويقول:

- "حسنًا، سأجلس هنا... وأن شعرت أنك في حاجة لي، سأدخل"

يضع (حياة) يده على كتف (سلام):

- "لا تقلق (أرثر)، فنحن في النهاية عائلة"

يذهب (حياة) لـ(هدوء) ويجلس بجوارها ويقول:

- "كيف الحال؟"

تنظر إليه بطرف عينها، تتعرف عليه؛ لكنها لا يبدو عليها أي رد فعل

وتستمر بالشرب، ويستمر (حياة) في الكلام:

- "لقد أحضرت لك شيء"

يفتح الحقيبة التي يحملها، ويخرج منها عروسة ويضعها أمامها على البار.

فتتوقف (هدوء) عن الشرب، تنظر للعروسة، وهي ممسكة بالكأس الذي يلامس

فمها، ولا تشرب منه...

(حياة):

- "لقد استمرت بإحضار الهدايا بالرغم من غيابك، كنت أريد أن أتى بهم

جميعاً؛ لكنني تركتهم بـ(جنة عدن)، في غرفتي... منتظرين عودتك"

تنظر إليه وتقول باستمراء:

- "ما زلت كما أنت، تحاول إسعاد الجميع، ولا تعلم أن الناس تتغير"

تدفع بيديها العروسة، وتلقيها في سلة القمامة التي بجوارها

(حياة) بصوت هادئ:

- "ما الذي حدث لك يا (جيسي)؟"

تضع الكوب على البار بعنف وتقول بكل غضب:

- "اسمي (فيوري)؛ وعندما تحصل على هدية عيد ميلادك الثامن عشر،

تعال إلى وكلمني عما حدث، أما الآن، لا يوجد شيئاً نتكلم عنه... المقابلة انتهت"

ثم تمسك الكأس وتبعد بنظرها عنه، تشرب دون أي مبالاة له... يجد
(حياة) أنه لا فائدة الآن من الكلام معها، فيقرر الذهاب وقبل أن ينهض يقول لها:
- "الكل يفتقدك يا (فيوري)، وسنكون بجوارك مهما حدث، فنحن في
النهاية إخوة"

ثم يرحلوا من الحانة، وعندما تلاحظ (هدوء) رحيلهما، تتوقف عن
الشرب وتنظر للعروسة الملقاة بسلة القمامة، ثم تضع الكأس على البار، وتخرج
العروسة من القمامة، تنظر إليها لفترة حتى تلاحظ انعكاسها الشخصي بالبلاستيك
الخاص بالعلبة فتضعها بجوار زجاجة الفودكا، وتعود للشرب مرة أخرى...

* * *

كان العنوان التالي لـ(حب) الذي كان في إحدى المقابر القديمة المهجورة
الموجودة على حدود المدينة التي لا يذهب إليها أحد بعد الآن. يسير (حياة) و(سلام)،
وسط شواهد القبور، يحاولان إيجاد أي علامة لوجود (حب)، حتى لاحظوا باب
إحدى المقابر، لا يحتوي على سلاسل أو يغطيه اللباب، فالباب يبدو عليه إنه تم
فتحه من قريب، وأن شخص ما يحيا به. فيطرق (حياة) باب المقبرة ولا يستجيب
أحد، يلاحظ أن أحد ما يقف خلف الباب من حركة الظل الساقط، فيستمر
(حياة) بالطرق:

- "كوازي)، أنا أعلم إنك ترانا"

لكن لا يحدث أي رد من جانب (حب)، سوى أنه يعطى ظهره للباب،
فيستمر (حياة) بالطرق:

- "كوازي)، افتح الباب"

يطرق (حياة) الباب أكثر، وهنا يسمعون صوت (حب) يصرخ بغضب:

- "اذهبوا؛ فأنا لا أريد رؤية أي أحد منكم"

يقف (حياة) المصدوم من كلمات (حب)، فهو دائماً صاحب الكلمات اللطيفة، ولم يجرح أحد منهم من قبل بالكلام، فينظر (حياة) ل(سلام) مستغرباً قبل أن يضع بطن يده اليمنى على الباب بهدوء، ويقول بصوت هادئ ممتلئ بالحب: - "أنا لا أعلم ما حدث لك؟، ولا أستطيع أن أجزم بأنني أعلم ما تمر به، ولكن ما أستطيع قوله لك هو أنه مهما حدث لك، ومهما فعلت، لن تكون وحيداً أبداً... فنحن موجودين من أجلك"

ثم يرحلوا و(حب) يراقبهما من خلال ثقب بالباب، يبدو عليه التأثر الشديد بكلمات (حياة)...

* * *

يذهب (حياة) و(سلام)، إلى العنوان الأخير الذي كان عنوان (أمل)؛ لكن ذلك كان بلا جدوى، فالمكان كان عبارة عن كنيسة مهجورة بمنطقة نائية، والكنيسة لا يوجد بها أحد، ولا يوجد أي أثر على وجود شخص يعيش بها، فالكنيسة يبدو عليها إنها مهجورة منذ سنوات كثيرة...
يعود كل من (حياة) و(سلام) ل(جنة عدن)، ويجدوا (براءة) يركض نحوهم ويقول:

- "هل وجدتهم؟"

- "أنا أسف يا (بيتر)، يبدو إنني لم أستطع الوفاء بوعدتي لك"

يقولها (حياة) بنوع من الانكسار والحزن، وتبدو ملامح خيبة الظن على وجه (براءة) في البداية، لكنه سرعان ما يبتسم ويقول:
- "لا تقلق، أنا أعلم أنك فعلت ما في وسعك"

يرى (حياة) ابتسامة (براءة)، التي تجعله يخرج من حالة خيبة الأمل، وتجعله يؤمن بأن الأمل في لم شمل الأسرة مازال موجودًا، ومهما كان المصير المجهول الذي ينتظره في عيد ميلاده الثامن عشر، سيستطيع التغلب عليه طالما كان بجواره أحد من إخوته...

* * *

كان (حياة) بالفترة المتبقية له قبل إتمامه الثامنة عشر، يقضيها بشكل مستمر بالذهاب إلى والدته (ماريا) والاطمئنان عليها، يحاول مساعدتها بقدر المستطاع، ونشأت علاقة صداقة جميلة بينه وبين (أنجيلا) و(ماريا) عندما كانت لا تشرب وهي في كامل وعيها، كان (حياة) ساحرًا يحكي أجمل الحكايات، ويقول النكت والقصص الكوميديّة، مما سبب وجوده شعور بالسعادة والفرحة لدى (ماريا)، شعورًا لم تعرفه منذ فترة طويلة للغاية. وكانت (ماريا) تنتظر هي و(أنجيلا) قدومه بفارغ الصبر، وكانت لا تخرج في ذلك اليوم لكي تشرب، بل أنهما يخرجان أحيانًا معه ليأخذهما للحفلات والسينما، يريهم جمال العالم والحياة، وكان كل ما تعرفه (ماريا)، و(أنجيلا) عنه، أنه موظف بالجمعية وصاحب قلب كبير وروح طيبة...

* * *

تأتي نهاية العام، ويأتي معها الموعد المحتوم ل(حياة)، يتم تكليفه بمهمة عيد ميلاده الثامن عشر، ويعلم الآن بما هو مقدم عليه، أخذ روح شخص. حاول بقدر المستطاع التعايش مع الوضع، كأنه شيء عادي، ولا يوجد شيئًا يستحق القلق من أجله، لكن كل ذلك كان مجرد قناعًا، صنعه من أجل إخوته (سلام) و(براءة)، فهو نفسه لا يصدق أنه يمتلك هذه القوة على التحمل والثبات. وكان الغريب موعد تنفيذ العملية، فقد كان محدد على عكس الآخرين، الذين كانوا لهم حرية باختيار

الموعد، فالموعد كان ليلة رأس السنة، ليلة الحفلة السنوية الساحرة التي تكون أفضل وأجمل حفلة لـ(حياة) خلال العام، وبالرغم من تداخل موعد العملية مع موعد الحفلة، لم يعترض على التوقيت، ورفض تأجيل الحفلة وصمم إقامتها بموعدها، برغم ملاحظة (حياة) القلق والخوف على وجه (سلام) تجاهه، فهو يعلم مدى التغيير الذي سيحدث له، وأنه لا يمكنه العزف بعدها دون أخذ أي وقت لنفسه للتعافي. فالحقيقة أن (حياة)، يحاول أن يبدو متماسكًا، قادرًا على التحمل من أجل أخواته، فهو يعلم مدى أهمية الحفلة لهم، وبالرغم أن فكرة القتل صعبة عليه إلا أنه قرر فعلها، وهو يقنع نفسه أنه المسيطر، وأنه سيتمكن من إتمامها دون أي تأثير عليه، كان يكرر جملة واحدة داخله...

-من أجل أخواتي... لا بد من أجل أخواتي، أن أكون الشخص الذي

يستندوا عليه..."

تأتي ليلة رأس السنة، ويؤكد (حياة) لكل من (سلام) و(براءة) عدم نسيان الحضور بالملابس الرسمية، وإنه سيعود قبل موعد بدأ الحفلة، و(براءة) يشعر بالسعادة بأن الحفلة في موعدها، فهو لا يعي ما سيحدث لـ(حياة)؛ ولكن (سلام) يدرك أن هذه الليلة، لن تمر بالسهولة التي يتخيلها (حياة)، وأن كل شيء بعد هذه الليلة سيتغير تغييرًا جذريًا...

يركب (حياة) السيارة مع المراقبين، متجهًا لهدفه حاملاً داخله كثيرًا من التوتر والقلق، الذي يخفهم بداخله، ينظر بالصدفة إلى السماء من نافذة السيارة، يتذكر ليلة الشهب، التي تجعله يهدأ من روعه، ويشعر بارتياح ويستنشق الهواء براحة... تصل السيارة إلى مكان الهدف، وكان المكان عبارة عن كابينة وسط الغابة،

في عزلة عن العالم. ينزل (حياة) من السيارة، ويتجه للكابينة، يري أن جميع النوافذ مظلمة ما عدا نافذة واحدة، فيتجه إليها ويتسلل منها بكل هدوء... يجد شخصاً جالساً على مكتبه يكتب، معطيًا ظهره للنافذة، ويلاحظ أن ذلك الشخص هو الهدف، فيخرج من معطفه مسدسه الكاتم للصوت، ثم يتقدم تجاهه، وبينما يتقدم تصدر إحدى ألواح الأرضية الخشبية صوتًا، فإلتفت الشخص خلفه، ليجد (حياة) رافعًا المسدس تجاهه. يسقط الشخص فجأة على الأرض، راکعًا على ركبتيه، منتظرًا قدوم (حياة) إليه في صمت، و(حياة) مستمر بتصويب المسدس تجاه رأس الشخص. متقدمًا نحوه حتى لامست فوهة كاتم الصوت جهة الشخص، ثم نظر (حياة) إليه باستغراب، فهو لا يقول أي شيء بل أنه لا يكلف نفسه بقول كلمات توصل من أجل حياته مثلما المفروض أن يفعل أي شخص عادي بمكانه، والأغرب نظرة عينيه، التي تحمل معاني هذه الكلمات في صمت، مما يسبب حالة من التردد لديه في ضغط الزناد...

(حياة) يتساءل داخله:

"لما لا يقول ذلك الشخص أي كلمة؟! لما عينيه تقول أعفى عني، ولكن

لسانه لا ينطقها؟! لما لا يحاول حتى المقاومة من أجل حياته... ماذا به؟!"

ويتمنى داخله بأن يكف ذلك الشخص عن هذه النظرات التي تؤذيه أكثر من أي كلمات. يستمر (حياة) على ذلك الوضع مدة عشرة دقائق، يصوب المسدس تجاه الشخص دون حدوث أي شيء من قبل الشخص، مما أدى لقلق مراقب من المراقبان بسبب التأخير، فذهب ليستعلم الأمر، ليجد ذلك المشهد أمامه، وهو ينظر من النافذة... الهدف راکعًا على قدميه ناظرًا ل(حياة) الذي يصوب فوهة المسدس نحو رأس الهدف، فيصيح المراقب بكل غضب، وهو يدخل من النافذة ومتجهًا نحو

(حياة):

-افعلها... ماذا تنتظر؟ افعلها!"

عندما صرخ المراقب رفع الشخص يديه تجاه المسدس، أمسك بالفوهة، وسحب المسدس تجاهه مما تسبب بإطلاق الرصاصة، فأصبع (حياة) كان على الزناد...

يسقط الرجل جثة هامدة على الأرض ويسبح ببركة من دمائه، تاركًا (حياة) في حيرة وتساءل أكبر:

"ما الذي فعله ذلك الرجل؟! أنه كما لو أرادني أن أقتله"

يتأمل (حياة) جثة الرجل وينظر لعينيه، ودون أن يدري تنفك قبضته من على المسدس، ويسقط على الأرض، فهو الآن مأخوذًا بمشهد الدماء... ينظر المراقب لـ(حياة) بكل اشمئزاز، فهو يراه ضعيفًا، ولديه إحساس زائد عن اللازم، ثم يخرج المراقب جهاز الاتصال، وأثناء اتصال المراقب بالآخرين ليبدووا بعملية الأخلاء، تدخل فتاة في السادسة من عمرها وهي تصيح:

-أبي ... أبي"

الفتاة كانت ترتدي بيجامة وردية اللون عليها صور كارتونية، تشاهد جثمان أبيها على الأرض غارقًا في الدماء، فتتجه إليه تصيح وتبكي، وعندما وصلت للجثمان تهزه بيديها أملًا في أن يستيقظ أبيها، وهي تقول بصوتها الذي مثل السكين يطعن في قلب (حياة):

-أبي ... أبي ... استيقظ، أرجوك..."

أنهار من الدموع تنزل من عيون الطفلة بلا توقف، يعلو صراخها بقوة، فيلتمت المراقب لـ(حياة) وهو يخرج مسدسه ويسلمه له قائلاً:

- "انهى الأمر"

ينظر إليه (حياة)، بكل استغراب رافضاً الأمر:

- "من المفروض أنه بمفرده"

المراقب بكل حزم، يهز المسدس بيديه ليأخذه:

- "لا شهود"

لكن (حياة) يرفض أخذ المسدس:

- "لا... كفى دماء اليوم"

يرفع المراقب المسدس بسرعة تجاه الفتاة المستمرة بالبكاء، ودون أي تردد

يطلق عليها المراقب طلقتان، واحدة بالصدر والأخرى بالرأس، ويصرخ (حياة):

- "لا..."

فهو لم يكن يتوقع من المراقب فعل ذلك...

يسقط (حياة) على الأرض راکعاً متأملاً الطفلة، ونظراتها البريئة التي

تحاول استيعاب وفهم ما يحدث في ذلك العالم القبيح، متأملاً النفس الأخير الذي

خرج من فم الطفلة التي قتلت دون أي رحمة، ويعلم داخله بأن تلك النظرة

ستطارده مدى الحياة...

لقد حدث ذلك الأمر في ثواني قليلة جداً، ولكن بالنسبة له مرت كأنها دهر

من الزمان. كانت يد (حياة) تلمس الأرض، ودون أن يشعر تلطخت بدماء الطفلة

التي سألت على الأرض ووصلت ليديه... يغضب المراقب من سلوك (حياة)، فيسحبه

معه للخارج نحو السيارة، ليعودوا إلى (جنة عدن). وفي طريق العودة ينظر (حياة)

إلى يديه، يفاجأ إنها ملطخة بالدماء، فيقول لنفسه:

- "ما هذا العالم المؤلم والبشع... أب يعطي حياته محاولاً إنقاذ طفلته،

والقدر يشاء فشل الأب... طفلة بريئة تقتل روحها قبل جسدها دون أي ذنب...
والعالم سيستمر في الماضي كما هو... كيف سأتعيش أنا مع نفسي"

* * *

عند وصوله لـ(جنة عدن) اتجه لغرفة المسرح، وهو ما يزال مرتدى ثيابه
التي تحمل بعض بقع دماء، يجد في طريقه (براءة) منتظره مرتدى البذلة، وعلى
استعداد لدخول الحفلة، وهناك أيضًا (سلام) لكنه يقف بعيدًا عن الباب، ناظرًا
بكل ألم وأسى إليه، لا يتحرك من مكانه، يعلم ما يمر به أخيه الآن، وأنه لا يوجد
شيئًا بيديه ليساعده، سوى كونه قريبًا منه...

يتجاهل (حياة) كل من (براءة) و(سلام)، ويدخل المسرح ويغلق خلفه
الباب، فيطرق الباب (براءة) ويقول:

"أليس الآن موعد الحفلة؟"

يستمر بالطرق إلى أن يسمع صوت (سلام) ويناديه:

"(بيتر)"

فينظر إليه (براءة)، فيجد (سلام) واقفًا مكانه ويمهز رأسه يمينًا ويسارًا،

ليكف عن الطرق وترك (حياة) بمفرده الآن.

(براءة):

"ولكن الحفلة..."

(سلام) بصوت هادئ:

"دعه بمفرده الآن، (بيتر)"

في تلك الأثناء (حياة) يتجه للحمام، ويخلع الجاكيت، يغسل يديه بشدة
حتى أخفى أي أثر للدماء من على يديه، ولكنه مازال يغسلها أكثر وبشدة عما قبل

فهو مازال يرى بذنه الدماء على يديه، فيستمر بالغسيل ويقوى أكبر مما تسبب بإزالة أجزاء من طبقة جلده، دون تعرضه للزف، ثم يغلق المياه عندما يأس من غسيل الدماء، فيمسح يده بالمنشفة بشدة، لكنه مازال يرى ويشم الدماء على يده بالرغم أن يده الآن نظيفة تمامًا...

لا يدري (حياة) ما يريد فعله، متخبط أكثر من اللازم، عقله لا يستطيع التفكير في أي شيء أخر سوى نظرة الفتاة الصغيرة، لهذا يذهب للبيانو ليحاول أن يهدأ من روعه، فطالما كانت الموسيقى تساعد بالحصول على السكينة، ولكن كلما حاول العزف لا يستطيع إكمال اللحن، يرى في ذهنه أصابع البيانو تلتطخ بالدماء كلما ضغط عليها، يحاول مسحها بيديه لكن ذلك لا يساعد، أصبح يرى البيانو ملطخًا بالدماء تمامًا، فأغلق (حياة) عينيه، فهو يريد الموسيقى بأي ثمن، وهنا ترك نفسه لشعوره الداخلي، فعزف أكثر السيمفونيات حزناً وتعاسة دون أن يدري، فقد كان يترجم من خلال العزف ما يحدث داخله، مما سبب بكاء (براءة) الذي يقف على الباب، فهو يستطيع سماع العزف، الذي يتسرب بصعوبة عبر الأبواب العازلة التي تهالكت بفعل الزمان. يصرخ (براءة) ويبكي بشدة كإنسان مجروح، فموسيقى (حياة) جعلته يدرك ما فعله من بشاعة، وكم الأشخاص الذين قتلهم، فهذه السيمفونية تسحبه من عالمه الخيالي، تسبب تمزق داخله، يصرخ ويرجو أن يتوقف (حياة) عن العزف. فهذه كانت المرة الأولى والأخيرة التي خرج منها (براءة) من قالب طفولته، ونظر إلى بشاعة ما فعله، فيستند على الباب، يخبط مؤخرة رأسه في الباب متمنياً التوقف وصوته يأخذ بالانخفاض أكثر فأكثر وهو يكرر كلمتين:

- "أرجوك، توقف"

حتى أصبحت الكلمات لا تستطيع أن تخرج من فمه، والدموع تنزل من

عينيه وفمه يرتعش من الخوف والألم على ما فعله. فقد رأى (براءة) نفسه عارياً مجرداً من جميع الخيالات والأوهام التي كان يصنعها عقله الباطن حتى يستطيع التحمل والتعايش مع نفسه، ففي هذه اللحظة، علم حقيقة نفسه وحقيقة العالم الذي يحيا به...

(سلام) مازال يقف مكانه دون أي حركة، لكنه يبكي لا إرادياً بسبب العزف الذي جعله يشعر بشعور ألم وانكسار روح (حياة)، فمن يسمع تلك السيمفونية يعلم أن من يعزفها، أصبح إنسان لا يعرف الحياة، بل إنسان يعرف الموت...

يستمر (حياة) بالعزف والألم لا يقل بل يزداد داخله، والصراع بين نار ثباته الخارجي، ونار روحه الداخلية، أشتعل لدرجة أنه لم يعد قادراً على ضبط لواعج ناره الداخلية، فأصبحت تخرج على شكل حمم بركانية، تفضح كل ما يدور داخل روحه، ولا يتنهي الصراع بفوز أحدهما... يهدأ عزفه لوهلة ويأخذه للحظة تأمل صغيرة، التي تقوده إلى الغليان النهائي... فهو يعلم الآن، أنه أصبح حامل الموت لكل من تريده المنظمة، ولا رجوع أو هروب من ذلك...

استمر العزف، دون توقف طوال الليل، حتى خلد جسد (حياة) و(براءة) إلى النوم، دون أن يشعر أي أحد منهم بذلك، و(سلام) لا يأتيه النوم، وبقي جالساً على الأرض، منتظراً خروج أخيه ليطمئن عليه...

في تلك الأثناء، رفع المراقب تقريره ل(الأم)، وتجنب ذكر تدخله بالعملية، فهو يعلم مدى الخطأ الذي فعله بتدخله. خوفه من العقاب جعله يقول بالتقرير، أن (حياة) من قتل الرجل، والفتاة بدماء باردة، ودون إظهار أي تأثير أو تردد أثناء العملية.

تجد (الأم) السعادة في هذا التقرير، ف(حياة) أصبح مثلما كانت التوقعات، بل أنه فاق جميع توقعاتهم. فترفع (الأم) التقرير المختصر النهائي ل(الأب) من خلال الاتصال المرئي الذي مازال يخفي كل ملامح (الأب)، ويبدو كظل أسود متحرك وكان كالتالي...

بعد ملاحظة الجميع وأسلوبهم بالعمليات، تقرر الآتي:

(سلام) سيحمل لقب (ألم)، يسبب الألم الجسدي لهدفه، لأنه يجب أن يدخل في قتال يد بيد حتى الموت مع الهدف، يحاول إعطاء الهدف فرصة أخيرة لإثبات إن كان يستحق الحياة، وذلك شيء يبدو مستحيلًا حدوثه، فهو أقوى مما يتخيل أي شخص.

(حب) تحول لشخص ممتلئ بالكراهية، يستخدم تلك الكراهية في التعامل مع أهدافه، وتصبح هي وقوده الذي يحركه، لذلك سيطلق عليه لقب (كراهية).

(أمل) أصبح يسبب خوف شديد لضحاياه، يتحرك مثل الأشباح حولهم، يسبب الرعب بالمكان، لهذا سيكون من الآن معروفًا ب(خوف).

(براءة) يسبب معاناة لمعظم المقربين من أهدافه، بسبب قتله المفاجئ والسريع للهدف دون أي تردد، ومهما كانت الظروف المحيطة بالهدف لا يبالي بها حتى وأن كان الهدف جالسًا وسط عائلته، لهذا سيكون (معاناة).

(هدوء) أسلوها القتالي به غضب شديد، حتى في التعامل مع أهدافها وطريقة قتلها لأهدافها، التي تكون أما الشنق أو الطعن أو الحرق حيًا، ولهذا ستعرف ب(غضب) من الآن وصاعدًا.

(سادي) لديه شخصية مظلمة وصعب السيطرة عليه، يجب أخذ الحذر بالتعامل معه، فهو مثل الظلام، ينتظر ذهاب الضوء حتى يبتلع كل شيء، لا يفرق

بين عدو وصديق، فبالنسبة له كلهم أرواح يرغب بحصاها، وكل ذلك من أجل متعته الشخصية، يحب الحياة بالظلام، ويرى نفسه سيده، لهذا سيعرف ب(ظلام). أما بالنسبة ل(حياة)، وبالرغم من أنه لم تمر فترة كافية، نجد أنه أصبح كما كنا نتمنى وأكثر، أنه يستحق لقب (موت)، فهو الآن مثل الموت، لا يتردد في أخذ روح هدفه ومن يقف بطريقه، والأفضل من كل ذلك أنه لم يتأثر نفسيًا بشدة مثل الآخرين، فجروحه النفسية بسيطة ويمكن علاجها مع الزمن. ذلك كان ملخص التقرير، وتم إرسال نسخة من التقرير المفصل كالمعتاد إلى الأرشيف...

يهز (الأب) رأسه بالموافقة، ويغلق المحادثة دون قول أي كلمة...

السيمفونية الثالثة سيمفونية الحب

تمر سنتان ويأتي عام ٢٠٠٨، يصبح (موت) خلال هذه الفترة أفضل (الأبناء السبعة)، فهو لا يحتاج إلى مساعدين أو أسلحة. يقتل هدفه دون أي أراقة للدماء، إنه كالموت يأتي من أجل هدفه، دون أن يراه أو يشعر به أحد، ويرحل في صمت...

خلال السنتين لم يعزف أو يقترب (موت)، من أي بيانو منذ تلك الليلة، فجزء منه لا يستطيع الاستماع لعزفه، فهناك شيء لا إرادي ينبع منه، يؤثر على عزفه، يجعل أي شيء يعزفه يسيطر عليه نبرة حزن قوية ومؤلمة، لا يقدر على احتمالها، لكن هذا ما كان يوهم به نفسه، فالحقيقة أنه كلما نظر لأي مفاتيح البيانو، يرى عليها آثار دماء وليس على مفاتيح البيانو فقط، بل كلما نظر ليديه وجدها مغطاة بالدماء، ولذلك أصبح يرتدي دائماً القفازات الجلدية السوداء التي لا يخلعها أبداً مهما حدث، فمشهد الدماء أصبح له مرفوض تماماً، ولهذا لا يتم أراقة أي دماء بعملياته، لأنه يحرص على جعل القتل سريعاً ونظيفاً، وأن لا يقتل أي شخص آخر غير الهدف، لا يريد أعداد كبيرة من الأرواح المسلوبة تثقل على ضميره، يحاول جعل نطاق عمله ضمن المطلوب منه فقط لا أكثر ولا أقل، وبالرغم من كل ما يمر به، لا ينسي أبداً بأن يذهب ل(أنجيلا) و(ماريا)، في موعده الشهري ولكن المقابلات قد تغيرت بشدة، ف(موت) أصبح كثير السكوت والحزن، وقد يحاول احتواء وإخفاء ألامه، ولكن يفشل من مدى قوتها وشدتها، تلاحظ ذلك كل من (أنجيلا) و(ماريا)، ولكنه ينكر ولا يريد التوضيح لهما أو حتى الإفصاح بما به...

(معاناة) يستمر في الحضور إلى المسرح طوال السنتين، كل شهر مرتدي البذلة، حاملاً الكاميرا الخاصة به، منتظراً الحفلة، ولكنه لا يجد أحد... يلاحظ بمرور كل شهر يسوء حالة المسرح، فلا يوجد أحد ليرعاه، ملثما كان يفعل (موت). فقد أصبح المسرح مهجوراً، وخالياً من كل شيء كان يميزه في يوم من الأيام، لقد تحول لمجرد غرفة تسكنها أعشاش العناكب والأتربة، ولذلك تم التخلص من كل شيء من قبل المنظمة، فمرحلة (جنة عدن) أوشكت على الانتهاء، وتم إغلاق عدد كبير من المباني والأقسام بها، ف(الأبناء السبعة) الآن كلهم أصبحوا مستعدين لمواجهة العالم الخارجي. ومازال (معاناة) يأتي للمسرح بالرغم من كل ذلك، لم يفقد الأمل ولو ليوم، يأتي دائماً بميعاده ينتظر بالمسرح المهجور بمفرده وسط الأتربة والظلام، أملاً في عودة الأيام الجميلة التي أصبحت الآن محفوظة بداخل صوره التي ألتقطها، وعندما لا يجد الحفلة، ويبأس من حضور (موت) يذهب لغرفته، ويتصفح جميع ألبومات صورهم التي ألتقطها على مدار السنوات، ليسترجع الإحساس المفقود لديه من عدم تواجد أسرته الكاملة حوله، وكلما نظر لصورة استطاع استحضار الموسيقى التي تم عزفها آنذاك داخله، يتذكر كل نغمة من ألحان (موت) وكل حركة سواء من (موت) أو الآخرين، فعندما ينظر للصور يشاهدها تتحرك في خياله ويسمع الألحان التي تم عزفها بالحفلة مصاحبة بضحكاتهم، لكن للأسف... لقد توقفت الصور مثل العزف، ف(موت) طلب منه التوقف عن تصويره بعد ليلة الدماء بفترة قصيرة، فهو لا يستطيع النظر لصوره بعد الآن، فكل ما يراه بها هو الألم المخفي داخله، فلا يوجد أحد يريد أن تخلد ألامه... تفاجأ (موت) بأن (معاناة) احترم رغبته وتعجب من توقفه التام عن

التصوير، وظن بأن السبب وراء ذلك أنه لا يرى شيئاً يستحق التصوير بعد العائلة، فالعائلة الآن غير موجودة ولكنه دائماً ما يشاهده يعتني بالكاميرا وتجهيزها لأي موقف...

(ألم) كان المرافق الدائم ل(موت) في (جنة عدن)، ينضم لهما (معاناة) كلما استطاع، فهذه الفترة جعلتهم يقتربون من بعضهم أكثر من أي وقت مضى، هم دائمو الحديث في كل شيء وخصوصاً الأحاديث العميقة التي تتناول حقيقة الكون والوجود، وقد يكون الكلام كبيراً على استيعاب (معاناة)، ولكنه كان يحب الإنصات ومحاولة التعلم من خلال الاستماع إليهما. ومثلاً على ذلك كانت إحدى المرات التي جلسوا فيها بغرفة خالية من أي وسيلة ترف، تحتوي فقط على مقاعد و(موت) يتكلم مع (ألم) و(معاناة) يستمع إليهما.

(موت):

"-ألا تعتقدوا بأنه غريب عدم توجهنا للإيمان بأي معتقدات دينية، وأن كل شيء يحدث لنا، ضمن خطة إلهية عظيمة سيظهر الجانب الجيد منها قريباً!"
لا يتحدث (ألم) ويكتفي بالاستماع والسكوت، ولكن (موت) ينظر إليهما منتظراً سماع رأيهم، يلاحظ (معاناة) الذي يرفع يديه مثل الطفل ليأذن له بالتحدث.

(موت) وهو يبتسم:

"-تكلم يا (بيتر)، قل ما تريد؛ ألم نقل لك لا داعي لرفع يدك كل مرة
ترغب بها بالتحدث"

يبتسم (معاناة):

"-أعتقد... أعتقد أنه بسبب شعورنا بالوحدة في ذلك الكون، وعندما

وجدنا بَعْضُنَا عرفنا إنَّنا سنكون بجوار بَعْضُنَا إلى الأبد مهما حدث والعائلة هي كل شيء، فلا يوجد شيء بعدها لنتمناه، فأحلامنا تحققت بالعائلة"

لكن (ألم) ينظر ل(معاناة) رافضاً ما قاله:

- "سامحني (بيتر)، لكنني أعتقد بأن السبب هو عدم استطاعتنا الإيمان بوجود خالق عادل لهذا الكون... يتركنا هكذا نعاني دون سبب... فنحن قد رفعنا أيدينا للسماء مرات عديدة ودعونا كثيراً، ولم يحدث شيئاً يغير من الأمر الواقع علينا... ولذلك فقدنا الاهتمام بالإيمان أو حتى منحه جزء من تفكيرنا" فيقاطعهما (موت) بهدوء:

- "كلا... لا يمكن، أنا لا أستطيع قبول أي من هاتين الفكرتين، فلا بد من وجود شيء ما يحكم سير الكون... لا بد من وجود العدل، قد لا نراه أو نستطيع استيعابه بعقلنا البشري المحدود... لكنه موجود... لا بد من ذلك، لا بد من وجود العدل بالكون"
(ألم):

- "(أنجيل) أنت تعرف مدى معزتك لدي، ولكني أرى أنه لا يوجد أحداً لنلجأ إليه، فنحن بمفردنا في هذا الكون، الذي لا يوجد به إله لنتوجه إليه بصلواتنا"

(معاناة):

- "ولما نحتاج لإله؟!، ونحن لدينا بَعْضُنَا"

فيضحك كل من (ألم) و(موت) في سعادة بسبب رد (معاناة)
(موت):

- "أحسنت القول (بيتر)"

يضع (ألم) يديه على كتف (معاناة):

- "هذه إجابة بإمكانني التعايش معها"

يبتسم (معاناة) في سعادة من رد فعل إجابته...

* * *

يمر الوقت ونصبح في أوائل شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٨، و(ألم) يبحث عن (معاناة) حتى يعطيه تقرير عمليته الأخيرة، ولكنه لا يجده بأي مكان في (جنة عدن)، فيذهب ل(موت) الذي كان متواجد بغرفته.

(ألم):

- "(أنجيل)، لا يمكنني إيجاد (بيتر)، ألدريك فكرة أين هو؟!"

- "لما لا تجرب السطح؟"

- "السطح!!!"

- "أجل، فهو مكانه المفضل للجلوس مع (كوازي)، حاول... فقد يكون

هناك"

يصعد (ألم) إلى السطح وبالفعل يجده واقفًا فوق السطح، ينظر إلى القمر في حالة من التركيز الشديد، تظن أنه لا يشعر بما حوله، ولكنك ستتفاجأ بما هو قادر عليه، فعقله يستطيع التعامل مع عدد كبير من الأشياء في وقت واحد، إذا لم يحدث شيئًا، يجعله يندمج في عالمه الخيالي الذي كان دائمًا نقطة ضعفه.

(معاناة) ل(ألم):

- "(أرثر)، كيف عرفت مكاني؟"

دون حتى أن يلتفت إليه ويستغرب (ألم) منه، فكيف عرف أنه هو دون أن يراه، وشعر بحضوره بمجرد أن لامست قدمه السطح وقبل أن يرد (ألم) على

السؤال، يكمل (معاناة) كلامه وهو مستمر بالنظر للقمر في حالة من التوحد معه:
-"لا بد من أنه (أنجيل)... فهو يعرفنا جيدًا"
ثم يتقدم (ألم) نحوه بصمت ويسلمه التقرير، فيأخذه منه دون أي
اهتمام ويقول وهو ينظر للقمر:
-"لا أستطيع أن أفهم... ما سر حبه له وتحديثه معه كصديق؟"
فينظر إليه (ألم) باستغراب:
-"عن ماذا تتكلم؟!"
ينظر (معاناة) إلى الأرض بحزن ويقول بصوت ضعيف ومكسور:
-"أنني أفقد الأيام الماضية... إنني أفقد عائلتنا... كم أتمنى أن نعود كما
كنا من قبل"
يصمت (ألم) ولا يقول شيئاً فهو مثله يفقد السعادة التي كانت تجلبها
هذه الأيام...
يستمر (معاناة) في الكلام:
-"أنت تعلم أنه في العام المقبل قد يرحل؟"
(ألم) في حزن: "أجل"
-"أخواتنا يرحلوا دائماً في سن الواحد والعشرون"
-"أنت تعلم، إنها الأوامر ولا شيء بيدنا"
-"ولكن أنت تحديثها؟!"
-"من أجل البقاء بجواره ومساعدته، و(أنجيل) هو الأخير ولا يوجد شخصاً
آخر ليقي هو من أجله"
-"اممممم... كم أريد أن يعود لو جزء بسيط من تلك الأيام... قبل رحيل

(أنجيل)

- "أنا أيضًا، أتمنى ذلك"

فينظر إليه (معاناة) بسرعة، ويقول وهو يتسم:

- "إذا لم لا نفعل شيئًا؟"

- "ما الذي تفكر به؟"

- "لقد اقترب عيد ميلادنا وقد يكون آخر عيد ميلاد نقضيه مع بعض نحن

الثلاثة، لما لا نحاول استرجاع الماضي؟"

يتسم (ألم) ابتسامة خفيفة ويهز رأسه بالموافقة:

- "إنني معك يا (بيتر)"

- "الوقت ليس كثيرًا، ولكنني واثق إننا قادرين على الأمر"

يقفز (معاناة) في السماء كطفل وهو يصرخ في سعادة:

- "ستعود الحفلة"

ثم يرقص في سعادة ويحاول الإمساك بيد (ألم) ليدخله معه في الرقص

وكان في البداية رافضًا، ولكن هناك شيء ما في فرحة (معاناة) طالما كانت معدية، لا

يستطيع أحد مقاومتها حتى (ألم) نفسه انغمر معه في الرقص الطفولي تحت ضوء

القمر...

الاستعدادات للحفلة كانت كبيرة وكثيرة، ولكن (معاناة) كان ممسكًا بزمام

الأمر، و(ألم) بجواره يساعده بأي طريقة ممكنة منها التأكيد على سرية الأمر،

وعدم معرفة أي أحد ب(جنة عدن) بما يحدث حتى (ألم) نفسها لم تكن تعلم بما

يحدث. وأول خطوات البداية استعدادات رونق وسحر المسرح ليعود إلى ما كان عليه،

كان مجهودًا جبارًا، ف(معاناة) يستعين بذاكرته والصور التي يمتلكها ليسترجع بها جميع تفاصيل المسرح كما كانت دون تغيير و(ألم) يساعده بالبحث عن الأشياء المفقودة، أو إحضار نسخ طبق الأصل منها...

* * *

في إحدى المرات بينما كان (معاناة) عائدًا من الخارج بعد أن أتى ببعض الأشياء ليكمل بها التجهيز، شاهد (موت) نائمًا على الحشائش الخضراء بالحديقة، وحيدًا في صمت، مشغول الذهن في شيء ما، فذهب إليه مستغربًا وهو يقول:

"أأنت بخير (أنجيل)؟"

يميل (موت) برأسه إليه مبتسمًا:

"أجل (بيتر)، لا تقلق أنني فقط أفكر"

"فيما؟"

"لا تشغل بالك"

"أخبرني؛ أخبرني ... أنا أريد أن أعرف" يقولها مشتعلًا بفضول الأطفال

"حسنًا، أنني أفكر في الحياة"

"الحياة... الحياة... أجل؛ تذكرت فقد كان لدي سؤال بخصوص الحياة

يحيرني"

"ما هو؟"

"هل حقا الحياة سيئة؟"

"لما تقول ذلك (بيتر)!"

"لأنني دائمًا أسمعكم تتحدثون عنها وكيف إنكم غير سعداء منها، ودائمًا

تشيروا إليها بأنها هي صاحبة الذنب الأكبر في عذابنا... فإذا كانت سيئة وشريرة

لهذه الدرجة لتفعل بِنَا ذلك، لما لا نوقفها عند حدها؟! "
- "لأنها هي الأقوى، وستنتصر وستظل دائماً المسيطرة"
- "كيف وأنت ال(موت)؟!"

- "الموت لا شيء أمام الحياة، والحياة لا شيء أمام الموت؛ فالحياة سبب وجود الموت، والموت سبب وجود الحياة، وسيستمر ذلك الوضع لنهاية الدهر؛ إن الحياة والموت هما من يحكموا البشرية؛ ولا بد أن تدرك وتعلم بأن لا قيمة للحياة دون الموت، ولا هيبة للموت دون الحياة، وبمرور الوقت ستفهم وتتعلم أن الرغبة بالحياة انطلاق والرغبة بالموت نضج"
لا يستطيع (معاناة) استيعاب الكلام ويحك رأسه في حالة من التشدد ويقول:

- "لا أفهم"

يبتسم (موت):

- "ألم أقل لك لا تشغل بالك؟"

يهز (معاناة) رأسه بالموافقة، فقد كان (موت) لديه حق من البداية ويذهب (معاناة) ليكمل استعداداته للحفلة...

* * *

يأتي اليوم الموعد، ليلة عيد ميلادهم يوم الواحد وثلاثون من ديسمبر، وذهب (ألم) و(معاناة) ل(موت) وتقدم (معاناة) أولاً نحوه، وهو يبتسم كالأطفال في سعادة قائلاً:

- "لدينا ... مفاجأة"

ويضحك كما لو كان طفلاً يخفي شيء، فينظر (موت) إليهما:

- "ألما تخططان أنتما الاثنتين؟!"

(ألم):

- (أنجيل) أنت تعلم أنها لن تكون مفاجأة إذا أخبرناك"

يضحك (موت):

- "حسناً..."

ويدشير بيده ليعطياه المفاجأة، ينظر (معاناة) ل(ألم) الذي يهز رأسه له ليبدأ، فيخرج من جيبه غطاء للعين ويربطها حول عيني (موت) الذي يضحك:

- "غطاء للعين... يبدو إنه أمر كبير"

لا يعترض (موت) على الماضي في الأمر معهما، وينهض وهما يقودوه لمكان

المفاجأة...

يرفعوا الغطاء عن عينيه، ليجد نفسه واقفاً داخل المسرح في رحلة للماضي، فقد كان هناك صور مجسمة ضخمة لكل ذكرى من ذكرياتهم الجميلة بكل مكان ينظر إليه، مما جعل تلك الذكريات تتدفق إليه، فعلي يساره يشاهد ذكرى ليلة العزف الأولى وذكرى ليلة الهدية الأولى، وعندما ينظر لأعلى يشاهد الشهاب مرسوم على سقف المسرح وتشعره كأنها ليلة الشهب من جديد، وعندما نظر لأسفل قدميه، رأى صورة مرسومة لهم وهم يمسكوا يد بعضهم البعض متأملين الشهاب. تنهمر الدموع من عين (موت)، عندما يتقدم نحو اللوحة الجدارية، التي تحتوي على صورة ضخمة لهم، وهم يمسكوا يديهم الأولى، فهي أول صورة التقطها (معاناة) بالكاميرا التي أعطاها إليه (موت)... يبتسم بسعادة ودموع الفرحة تملأ وجهه، وهو يلامس اللوحة بيده ويحركها نحو (غضب)، (كراهية)، (خوف)... ويبدو عليه ملامح التأثر الشديد ثم يلتفت، وهو يبتسم والدموع مازالت تنهمر من

عينيه ل(معاناة) و(ألم)، الذين يقفان بمنتصف المسرح وخلفهما ستارة دائرية حمراء تحجب شيء ما...

(موت):

"-ماذا؟!... أهنالك مفاجأة أكثر جمالاً من هذه؟!"

ويتقدم نحوهما وعندما اقترب من منتصف المسرح، فتح كل منهما الستارة من جانب... يقف (موت) بمكانه، مصدومًا متأملًا البيانو الأبيض الخاص به الذي تم ترميمه، وحوله صور لهم مجسمة وهم جالسين يستمعوا لعزفه.

كانت السعادة في البداية ما يشعر بها، ولكنه سرعان ما غرق مع نفسه واستعاد ذكرى ليلة الدماء، لا يريد الاقتراب من البيانو، فخياله مازال يجعله يرى الدماء على مفاتيح البيانو، ويستعيد هنا بذهنه مشهد الفتاة المقتولة أمام جثمان أبيها ونظراتها المؤلمة فيغلق عينيه ويدير وجهه بسرعة.

يذهب (ألم) إليه ويضع يديه على كتفه وهو يقول:

"-أعلم بأنه شيء صعب طلبه، ولكننا مفتقدين هذه الأيام... أتتذكرها...

أيام العزف الجميلة، أتتذكر الابتسامة والفرحة"

لكن (موت) يستدير مبتعدًا عنه ويقف صامتًا مغمض العين حتى يأتي (معاناة) أمامه، يحرك يديه يمينًا ويسارًا أمامه وهو يصدر أصوات طفولية وصفير ليفتح عينيه. فيفتح (موت) عينيه ويشاهد (معاناة) وهو يقول:

"-أنت تعلم بأن العام القادم قد يكون وقت الرحيل... وأنا افتقدت

موسيقاك... فأرجوك لا تحرمنا منها أكثر من ذلك"

يتأمل (موت) نظرة (معاناة) إليه ثم يستدير برأسه ل(ألم) الذي يقول:

"-مرة واحدة أخرى... ذلك كل ما نتمناه"

ينظر (موت) إلى البيانو، ثم يتقدم نحوه مثقلاً بخطواته، فمع كل خطوة يسترجع ليلة الدماء، وكاد أن يضعف ويتوقف لولا وجود صورهم الموجودة حول البيانو التي منحته القوة، القوة ليتحدى ألمه ومعاناته، فتقدم بلا تردد قاهرًا كل ما في داخله.

يجلس على المقعد وينظر ليديه المغطاة بالقفازات، ثم ينظر لمفاتيح البيانو، يقف لفترة ليست قصيرة إلى أن استجمع قوته، وأغلق قبضة يديه وفتحها عدة مرات، يعلو صوت صرير الجلد ببعضه، ثم يضع يديه ببطء على المفاتيح. يبدأ بالضغط عليها والعزف وهو يرتدي القفازات لتخرج منه ألحان حزينة للغاية في البداية، فيحاول تغييرها ولكنه لا يستطيع، فيرفع نظره إلى جميع الصور التي تحيطه، ويشاهد كل من (ألم) و(معاناة) وملامح وجوههم التي تحلم بعودة الأيام الجميلة، فتتحول تلك الألحان الحزينة إلى السعيدة، تحمل معها فقط جزء صغير من الحزن والفقدان. وقد يظن (موت) بأن لا أحد بإمكانه الإحساس بذلك الحزن والفقدان، ولكنهما يشعروا به جيدًا ويفهموا ما مصدره، فهو موجود داخلهما أيضًا...

يستمر بالعزف ويلاحظ ابتسامة كل من (ألم) و(معاناة) الذين يتقدموا ويجلسوا حوله، فيدخل (موت) عالمه الخاص من الذكريات والحنين للماضي، فالموسيقى طالما ما كان لها إغوائها الذي يدخلنا في مهب الحنين والذكريات. وتخرج موسيقى الذكريات من قلبه، تجعل الجميع في حالة عالية من النشوة الجميلة مندمجين معها، سارحين بخيالاتهم وأحلامهم...

استمرت الحفلة لمدة ثلاثة ساعات محملة بالضحك والذكريات وعندما ينتهي من عزف مقطوعة، يخرج (معاناة) كاميرته لأول مرة منذ التوقف ويأخذ بها

صور جديدة ليضيفها لألبومات ذكرياتهم، وعندما ينتهوا من التصوير يتحدثوا عن ذكرياتهم الماضية والأيام القليلة التي عرفوا بها معنى السعادة التي قد تبدو لحظات قليلة وسريعة، لكنها كانت بالنسبة لهم كل شيء، فهي طوق نجاتهم في بحر العالم القبيح. وعندما انتهى (موت) من عزف آخر مقطوعة ظل صامت لفترة طويلة، حتى ذهب إليه (ألم) وقال:

- "ما الذي يشغل ذهنك؟"

(موت):

- "هناك شيء مفقود، أرغب باستعادته"

(ألم):

- "ما هو؟"

(موت):

- "لم شمل أخوتنا مرة أخرى، حتى نمنحهم ولو قدر بسيط من تلك

السعادة المفقودة لدينا"

فينهض (معاناة) بسرعة وبحماسة شديدة:

- "أتعني ذلك فعلاً؟!"

ينظر إليه (موت):

- "أجل (بيتر)، لقد آن الأوان، لأفي لك بوعدتي القديم"

يطلق (معاناة) صيحات الفرحة ويحضن (موت):

- "شكراً... شكراً... شكراً"

ثم يتركه ويقفز ويرقص مثل الطفل والكاميرا حول عنقه ممسكاً بها يأخذ صور عشوائية بسعادة، يريد تسجيل كل ما يمكنه من هذه اللحظة... يضحك

بسعادة كل من (موت) و(ألم) على رد فعله الطفولية، ثم يلتفت (ألم) ل(موت):
- "لن يكون أمراً سهلاً... ولكنني معك مهما حدث ومهما كانت رغبتك
فسنحققها سوياً"
يبتسم (موت):
- "أعلم ذلك يا أخي"

* * *

في صباح اليوم الثاني، (معاناة) ساعد (موت) في الوصول إلى غرفة المعلومات الخاصة ب(الأم) بمنزلها الخاص، الذي أصبح الآن يحتوي على غرفة مصغرة من (أوليمبوس)، تستطيع من خلالها الاتصال بغرف شبكة (أوليمبوس) أو (الأب). كانت الغرفة مختبئة بشكل جيد بالمنزل في عزلة تامة من أي أجهزة استشعار، ولا أحد يستطيع دخولها سواها، ولكن الأمور الأمنية كانت شيئاً هيناً بالنسبة ل(معاناة)، فاستطاع تخطيها بسهولة دون أن تلاحظ أو تعلم (الأم) أي شيء. ومن خلال هذه الغرفة استطاع (موت) الحصول على معلومات مفيدة للغاية، فمنها علم مكان جميع أخواته حتى (ظلام) والمفاجأة كانت عندما علم بأن سبب اختفائه هو حبسه في زنزانة أسفل المقر الرئيسي ب(جنة عدن)، دون أي نية مستقبلية بالإفراج عنه وكان ذلك عقاباً عما فعله في مهمته الأخيرة وكان يوجد بالملف تقريراً مفصلاً عما حدث بتلك المهمة:

إنه في يوم الموافق ١ ديسمبر من عام ٢٠٠٥، تم تكليف (ظلام) بمهمة اغتيال شخصية هامة، وقد أختار (ظلام) موعد تنفيذ العملية الذي كان يوم ٣١ ديسمبر، فالهدف كان من المقرر له حضور حفلة من حفلات المجتمع الرائي للاحتفال بليلة رأس السنة، وبالطبع كان هناك شكوك لاختياره ذلك الموعد،

فالمكان ممتلئ بالناس، ومن الصعب على شخص بأسلوبه التنفيذيه هده وسلاسه، لكنه أصر على ذلك، وأكد أنه يمتلك القدره على تغيير أسلوبه، ليثبت لنا إنه الرجل المناسب لأي مهمه وأي ظرف، وقد طلب أيضًا عدم مرافقه فرقه كما كان المعتاد في المهمات السابقه له، بحجه الدخول والخروج السريع دون ملاحظه أحد...

ما يلي من أحداث تم التأكد منها من خلال كاميرات المراقبه الخاصه بالمكان والتحريرات، وتم ملئ الفجوات من خلال استجواب (ظلام) الذي لم يخف أي شيء، وكان يفتخر بما فعله في هذه المهمه.

يحضر (ظلام) الحفله مثل أي شخص عادي، ويختلط مع الجميع كأنه ضيفًا طبيعيًا ثم يذهب لغرفه المراقبه، يذبح كل من كان موجودًا بها، ثم يغلق جميع الأبواب من غرفه التحكم ويحبس جميع الحاضرين دون علمهم، فالجميع مشغولون بالحفله والرقص على موسيقى الفرقة، والمطربة التي تحي الحفله. يدخل مقر الحفله غير مبالي بقميصه الملطخ بالدماء البسيط ولا يلاحظها أي أحد بسبب انشغالهم بالحفله. يذهب (ظلام) مباشرًا إلى البار، ويخلع معطفه، يأتي إليه المضيف الذي ينصدم من الدماء التي تغطي قميص (ظلام)...

(ظلام) هده مع ابتسامه:

"لا تخف، إنها فقط صلصه حمراء، فقد تعرضت لحادث بسيط بالمطبخ"

بيتسم المضيف:

"أوه أنا أسف، أيمكنني فعل شيء لمساعدتك؟"

ينظر (ظلام) نظرتة المخيفه إليه ويقول بصوت مرعب أجش:

- "أحضري كأس من النبيذ الأحمر"

يبلغ المضيف لعباه بصعوبة من الخوف ويجهز طلبه...
يعطي المضيف الكأس له، ويتذوّقه ويبدو عليه ملامح عدم الرضاء ويقول:
"-هناك شيء ما ناقص! وأيضاً أنه ليس بنفس درجة الاحمرار التي تعودت

علمها"

يرد المضيف بابتسامة خفيفة:

- "كيف سيدي؟! أنه من أفخم وأفضل الأنواع"

يضع (ظلام) الكأس على البار ويشير بيديه إلى الكأس ليتذوّقه المضيف
بنفسه، ويحكم على الأمر. يمسك المضيف الكأس ويتذوقه ثم يقول:

- "لا أرى ما المشكلة، أنه نوع ممتاز!!"

يبتسم (ظلام):

- "الآن تذكرت ما الذي ينقصه؟!... يا لي من أحمق؟"

المضيف يضع الكأس على البار:

- "وما هو سيدي؟"

يرد (ظلام) وهو يتقدم بجسده نحو المضيف بصوت هادئ وخالي من

المشاعر مع نظرة مباشرة لعينه:

- "دمائكم"

قبل أن يبدأ المضيف بأي رد فعل أو حركة، يخرج (ظلام) السكين ويشق
بها عنق المضيف، ثم يمسك (ظلام) بالكأس ليمليه بدماء المضيف الذي يضع يده
الآن على رقبته محاولاً إيقاف النزيف ولكن دون جدوى، فيصدمم بالزجاجات التي
على الرفوف، ويسقط على الأرض ومعه الكثير من الزجاجات، محدثاً الكثير من

الضجة التي تلت انتباه الحاضرين. وأصبح المضيف جثة هامدة على الأرض والدماء مازالت تتزف من عنقه و(ظلام) يستمتع بشرب النبيذ المخلوط بالدماء والجميع حوله يصرخون من هول المشهد الذي شاهدوه للتو، و(ظلام) غارقاً في عالمه الخاص دون أي اهتمام... يندفع بعض الحاضرين لأبواب الخروج، ويكتشفوا إنها محكمة الغلق.

يأتي أفراد الأمن إلى (ظلام) الذي استدار ويشرب من كأسه الذي أوشك على الانتهاء متأملاً رعب الجميع بسعادة وفرحة وينظر لأفراد الأمن:
"-جيد... فأنا في حاجة لملا كآسي"

ينهض من مكانه وقبل أن يخرج أفراد الأمن أسلحتهم، يذبح بعضهم وتنشأ معركة بينه وبين الباقين تنتهي بطعنهم ثم يرفع نظره إلى المسرح وإلى الفرقة والمطربة، ويقول بصوت عالي:
"-لما توقفت عن الغناء؟!"

لا يجد سوى الصمت والخوف من المطربة والفرقة، فيلقي بالسكين بعنف لينغرس بجوار قدم المطربة بفرق بعض الملميتات ثم يصبح (ظلام) بغضب شديد:

"-غنوا!!"

تشعر المطربة بالخوف وتشير للفرقة بالبده في العزف... تبدأ المطربة بالغناء وبيتسم (ظلام) في سعادة، يتقدم نحو المطربة بخطوات ثابتة ثم يقف أمامها ويكاد وجهه يلامس وجهها، فترتعش المطربة من الخوف، ويتقطع صوتها بسبب الرعب الذي يملكها ثم ينحني بكل هدوء ليأخذ السكين المغروس من أسفل قدميها، ثم ينهض ويطرق بالسكين على خد المطربة

ببطيء ويقول:

-فتاة جيدة... إذا أردت الحياة، فلا تتوقفي عن الغناء"

يضع (ظلام) طرف السكينة الحادة على جبهة المطربة ويحركها حركة دائرية مما يسبب نقطة نافذة في الجلد تسقط منها بعض قطرات الدماء على عيني المطربة التي تهز رأسها بالموافقة. فيبتسم (ظلام)، ويعد عنها السكين ويقول:

- "لا يوجد أي فرصة للهروب، فلا تحاولي التفكير بذلك"

يترك المطربة ويتجه نحو الأشخاص الذين يقفوا أمام الأبواب المغلقة محاولين كسرها للإفلات بحياتهم.

ينظر أحدهم للخلف ويلاحظ اقترابه عليهم فيصرخ بشدة:

- "أنه قادم، أنه قادم..."

ينظر الجميع خلفهم وتحديث حالة من الهرج والرعب ومحاولات أشد عنف لكسر الأبواب، ولكن دون جدوى...

يقترب منهم وهم يصرخوا من الرعب وبعضهم يتوسل إليه لكنه لا يبالي بصراخهم أو توسلهم، يتقدم نحوهم وهو يرقص على نغمات المطربة ويدندن معها الموسيقى:

- "دا دا دو، دا دا دي، دا دا دا دا..."

يصل إليهم ويطعنهم يمينًا ويسارًا وهو مستمر بالرقص والجميع يصرخون من الرعب ويجرون مبتعدين عنه والمطربة صوتها يبدأ بالارتعاش من البشاعة التي تراها.

يطارد (ظلام) بقية الحاضرين المحبوسين داخل القاعة ويتلذذ بقتلهم واحد تلو الآخر حتى انتهى منهم جميعًا ويلاحظ أن الموسيقى قد توقفت، فينظر

للمسرح ويشاهد المطربة مازالت تغني ولكن أعضاء الفرقة توقفوا عن العزف ويحاولوا الهرب... فيتحرك (ظلام) نحوهم وهو يتمايل بسعادة يمينًا ويسارًا ويقفز في بعض خطواته مطلقًا بعض الألحان من فمه ومهز يديه لأعلى ولأسفل، ويلف حول نفسه وهو متجهمًا لأعضاء الفرقة الذين يحاول بعضهم قتاله بآلاتهم الموسيقية، ولكن دون جدوى، يتفادى هجماتهم ويمزق عنقهم واحد تلو الآخر...

يلتفت (ظلام) الآن إلى الأحياء الباقين على الأرض، الذين لم يفارقوا الحياة بعد وفي أشد منازعات الألم، يتجه إلى كل شخص ينازع الألم ويكسر أذرعهم وأقدامهم، ثم يبدأ بتحريكهم يمينًا ويسارًا ولأعلى ولأسفل ثم في حركة دائرية حتى يفصلها تمامًا عن أجسادهم وسط صراخات الألم الشديدة.

كان فعل في غاية البشاعة وكلما انتهى من فصل ذراع أو قدم يمسكه ويرقص به وهو يتجه إلى الآخرين، ثم يلقيه عندما يصل إليهم ويبدأ في فعل المثل معهم إلى أن انتهى من الجميع ويستمر بالرقص وسط الدماء... يكتشف أن المطربة توقفت عن الغناء تمامًا، وتجلس الآن على الأرض بوضع الجنين ودخلت في حالة صدمة مما فعله (ظلام)، فيذهب إليها بكل هدوء مستغربًا لما توقفت، فهو يرى أنه لا يوجد شيئًا يستحق التوقف من أجله. وكلما اقترب منها تحضن قدميها أكثر برعب وخوف، فيقول (ظلام) الذي يتقدم نحوها:

- "اسمعي صراخك"

يقرب (ظلام) منها وتخرج صرخات خوف مكتومة لا يستطيع سماعها، فيشير لها بالسكين كما يسترو لتعلو بالصرخة، فيزيد خوفها وتعلو صرخاتها... يصل إليها، ويمد يديه وهو يخفي يده الأخرى، التي بها السكين خلف ظهره ويقول بكل هدوء:

- "هل تسمحي لي بهذه الرقصة؟"

لا تمد المطربة يديها، فيأخذها بقوة وعنف، فتصرخ وتحاول الهرب منه، ولكنها لا تستطيع ويشدها بقوة نحوه، يسحبها بعنف لمنتصف ساحة الرقص، ويتحرك معها كما لو كان يرقص على نغمات موسيقي هادئة التي تتكون في ذهنه من صرخات الناس...

(ظلام):

- "من جميع الصراخات التي سمعتها في حياتي... صراحتك هي الأجمل"

ثم يتسم بكل سعادة ورومانسية لها ويكمل كلامه:

- "أعلمين إنني أكره الحفلات... أجل أكرهها... فأنا لا أعرف كيف أتحدث

مع الآخرين، يمكنك القول إنني سيء في العلاقات الاجتماعية، لكنني ناجح في شيء آخر... الخدع السحرية... أتريدين مشاهدة واحدة؟"

المطربة تبكي بشدة، تتأمل الدماء وأجزاء الناس التي ترقص عليها وتحيط

بها من كل جانب فيأخذ صمتها كنوع من الموافقة ويقول:

- "ها هي حيلة فصل الرأس..."

ويفصل رأسها عن جسدها بضربة واحدة من السكين، وينطلق بركان من

الدماء يصل إلى السقف والنجفة المعلقة، يرفع رأسه ليستقبل تلك الدماء كما

يُستقبل الشخص العادي سقوط المطر على وجهه، ثم يلتفت لجسد المطربة الخالي

من الروح، ويمسك به بكل رومانسية قبل أن يسقط على الأرض، ويقول بصوت

ساخر حزين:

- "لكن للأسف لم أتعلّم كيفية إعادة الرأس"

يستمر بالرقص مع جسد المطربة وسط الدماء بكل سعادة وفرحة

ويضحك بأعلى صوته كالمجنون...

يفتح (ظلام) الأبواب المغلقة ويرحل من مقر الحفلة وعندما أصبح بالخارج، لاحظ وجود سيارات سوداء بها أشخاص تقف بعيد، فأتجه إليها وهو سعيدًا مبتسمًا:

"جيد، المزيد من الضيوف"

يذهب إلى السيارات ويلاحظوا الأشخاص الذين بالسيارات اقتربه، فيخرجوا منها وأحدهم يقول له:

"لا تقلق أننا معك... نحن من (جنة عدن)"

لكنه لا يهتم بكلامه، ويستمر في التقدم ويشتبك معهم، فيحاولوا السيطرة عليه لكنهم فشلوا، ف(ظلام) قتلهم جميعًا، دون رحمة أو تردد. ويقول وهو يتأمل جثثهم حزينًا:

"كم أنت سيئة أيتها (الأم) ... ألا يوجد ثقة بانك... يا للعار"

يركب (ظلام) إحدى السيارات ويتجه بها للمدينة ليحتفل أكثر برأس السنة...

* * *

الصفحة الأخيرة من التقرير الخاص بـ(ظلام) تم كتابة الآتي بها:

"أعداد الضحايا بالحفلة وصلت إلى ٢٠٠ شخص، وسببت اهتمامًا إعلاميًا كبيرًا بالمجزرة، واهتم بشدة مكتب التحقيقات الفيدرالي بما حدث، وسبب ذلك حالة من القلق بـ(جنة عدن)، فمشروع (الأبناء السبعة) أصبح مهددًا، فكما معلوم لدينا القاعدة العامة للتعامل وخصوصًا أصحاب المراكز العالية بالحكومات الذين قد يطلبوا خدماتنا، وهي إنجاز العمليات بهدوء ولا تثير الشبهات أو ترك

دليلاً يثبت وجود المنظمة وفي المقابل هم لا يلاحقونا، وما فعله (ظلام) بتلك الليلة، زرع بذرة شك لدى أحد المحققين الشرفاء بوجود نوع من المنظمات السرية، مسئول عن عمليات الاغتيال، وحاول إثبات ذلك بشتى الطرق، ولكن شكراً لجهود (الأب) الذي استغل جميع المصادر المتاحة لديه لإغلاق ذلك التحقيق، وطمس أي أدلة بإمكانها تأكيد هذا الاحتمال".

لقد كان ذلك أكبر تهديد واجهته المنظمة، وكانت على وشك الانكشاف لولا جهود (الأب) الكبيرة في محو الأثار وإسكات الأفواه عن الكلام والتحقيق، لهذا كان غضبه كبير وشديد على (ظلام)، فتكفل هو بنفسه أمر القبض على (ظلام) دون أي مساعدة من (الأم) أو (جنة عدن)، فقد استخدم مصادره الخاصة لفعل ذلك، ففرق العمليات الخاصة بـ(جنة عدن) أثبتت فشلها في التعامل معه. فقد تم القبض عليه، ولا أحد يعلم ما الذي فعله (الأب) حتى ينجح بالقبض والسيطرة عليه بهذه السرعة، بل حتى لا أحد يعلم كيف حصل (الأب) على استجواب صريح منه، دون أي من الألاعيب المعتادة من (ظلام). أصدر (الأب) قرار بحبسه مدى الحياة، فقد كان لديه إحساس بأنه قد يحتاجه في يوم من الأيام...

* * *

انتهى (موت) من قراءة ملف (ظلام) وجميع الملفات الأخرى التي أخذ منها عنوان كل أخ من أخواته، وأول شخص ذهب إليه كان (ظلام) المحبوس في قبو (جنة عدن)، فهو يشعر بنوع من القلق والفضول نحوه، فقد تم حبسه عدة سنوات...

تكرر كل من (موت) و(ألم) بملابس الحراس، ونزلوا إلى القبو الذي به

الزنزانة المظلمة بالكامل، لا تستطيع أن ترى من بدخلها، والإضاءة الوحيدة هي التي بالممر خارج الزنزانة، ف(ظلام) كان دائماً يكسر المصابيح المتواجدة بداخل الزنزانة... يتقدم (موت) نحو قضبان الزنزانة ببطيء محاولاً رؤية أي شيء في الظلام الدامس، يسمعون فقط أصوات سلاسل تحتك بالأرض، تتحرك في الظلام يميناً ويساراً مع سماع صوت خطوات تسير على زجاج المصابيح المكسورة، مما يجعل (موت) يشعر بالرعب داخله ويحاول إخفاء ذلك.

يقول (ظلام) الذي أصبح صوته أجش وأشد رعباً:

"كم من السنوات مضت؟ هههه... الحقيقة أنني لا أعلم، فالزمن هنا

متوقف بالنسبة لي.... ولكن الأخبار لا تتوقف، تصلني وأسمعها باستمرار..."

مازالا لا يستطيعا رؤية شيء داخل الزنزانة... يسمعا فقط صوت الزجاج

الذي ينكسر بفعل شخص يسير فوقه، وأصوات سلاسل تحتك بالأرض، ويكمل (ظلام) حديثه:

"الفتى الصغير... الذي لم يكن يتوقع أحد أن يصبح ال(موت)... مرعب

الجميع"

كانت نبرة صوت (ظلام) وطريقة كلامه تجعل (موت) يشعر بنوع من التوتر

والخوف، ويلاحظ (الم) ذلك عليه...

(ظلام):

"يقولون بأن ال(موت) لا شيء يستطيع إيقافه... لا يهاب مخلوق... ينشدوا

القصائد والأغاني عن مدى قوته... والمفضلة لدي منهم هي؛ أنه يوم حزين عندما

يسير الموت على أرضك... لا تعلم من أجل من أتى... لا تستطيع رؤيته أو معرفة

مكانه... تشعر بحضوره بسبب الصوت... صوت الصمت الذي يحيط بالمكان... الذي

يختفي بصوت خطواته... فلا مكان للهروب أو الاختباء...عندما ينادي ال(موت) اسمك... فهو نهاية المطاف... فهو... " وهو يخفض صوته تدريجياً في الجملة الأخيرة...
يصبح الصمت هو المسيطر على جو المكان، فأنت الآن لا تسمع أي صوت
لأي شيء سوى صوت تنفس (موت) الذي يتسارع وهو يبحث داخل قلب الظلام
محاوياً استطلاع أو رؤية أي شيء، ولكن الظلام داكن بشدة لا يسمح لأحد برؤية ما
بداخله، فيتقدم (موت) للأمام محاولاً أكثر بالتعمق في قلب الظلام... هنا يندفع
الظلام) بكل سرعة إلى القضبان ويخرج لبقرة الضوء قائلاً:
"-ال(موت)"

ينتفض (موت) في رعب، ويرجع للخلف ويتقدم (ألم) في مواجهة (ظلام)
الذي يضحك بشدة وبأعلى صوته وهو يقول:
"-ما زال ال(موت) يخشى ال(ظلام)"
يحاول (ظلام) الاقتراب أكثر لكن القيود الحديدية التي تقيده تمنعه
من أن يلامس القضبان، ويضحك أكثر عندما يلاحظ أن (موت) يقف خلف (ألم)
الذي يقف في تحدي له.
(ظلام):

"أرى أن الحامي العظيم ال(ألم) ما زال يلعب دوره، ويحيي ال(موت)"
يتأمل (موت)، (ظلام) الذي تغير شكله تمامًا، شعره وذقنه طويلة لأبعد
الحدود، أسنانه أشد حدية، ذات طرف مدبب، فقد بردها (ظلام) من العض على
السلاسل، وأظافره طويلة، وآثار عض أسنانه واضحة بشدة على السلاسل،
وملابسه البالية المحملة بالدماء القديمة، نفس ملابس الحفلة لم تتغير منذ وقتها...
(ظلام):

- "سيأتي وقتنا في يوم من الأيام، كن مستعدًا أيها الموت)... فال(ظلام) لا يرحم من أمامه... (الظلام) هو المسيطر... (الظلام) هو نهاية المطاف..." ثم يضحك كالمجنون

ينظر (موت) لعينيه التي يجد بها الجنون وعدم الاهتمام. وهنا يدرك أنه لا فائدة في المحاولة معه، فالجنون بدمائه ولن يتغير مهما مضى من الوقت لذلك رحلوا وتركوه وهو مستمر بالضحك الجنوني دون توقف...

* * *

يتجه كلاهما إلى (غضب) الآن ولوحظ من التقارير إنها تحيا دائمًا بالفنادق، وتغير الفندق بعد كل مهمة مع هواية ومظهر جديد... يذهبوا إلى الفندق الذي تقيم به الآن، يصعدوا للغرفة المطلوبة ويطلق (موت) الباب...

تفتح (غضب) حاملة زجاجة الفودكا، مرتدية فقط روب الفندق دون أي شيء آخر أسفله، والروب ليس مغلقًا بأحكام، يظهر جزء من صدرها وتستطيع رؤية وشم الثعبان الذي يلتف حول جسدها.

تتفاجأ (غضب) للحظة لرؤية (موت) و(ألم)، ولكن سرعان ما تستعيد أتزانها، لتقول بحزم وبرود:

- "ماذا تريدان؟!"

(موت) بكل هدوء وحب:

- "أهذه طريقة لاستقبال عائلتك؟"

تضحك (غضب) استهزاءً بكلامه وتعطيه ظهرها، متتجه داخل الغرفة، لتضع الزجاجة، وتمسك بعلبة السجائر، تخرج منها سيجارة وتشعلها. فيدخلوا

الغرفة التي يتأملها (موت) ويجدها غير منظمة، الملابس على الأرض بكل مكان، وثلاجة البار مفتوحة وحولها زجاجات الخمور الفارغة وتنتشر الزجاجات أكثر حول سريرها...

تسند (غضب) ظهرها على الحائط، ثم تأخذ نفس من السجارة، وتطلقه بعنف وتقول:

"أتيتما من أجل التأمل أم الكلام!"

يضع (موت) الشنطة الورقية التي كان يحملها معه على الطاولة المجاورة له:

"كل ما أريد قوله في هذه الحقيبة"

تنظر (غضب) بكل سخرية للناحية الأخرى، وتستمر بشرب السجارة دون مبالاة، بينما يتجه (موت) و(ألم) إلى الباب، وقبل أن يرحل (موت) يستدير ويقول:
"-نحن عائلتك يا (جيسي)، وسنكون دائماً بجوار بعضنا مهما حدث، ومهما كانت الظروف... اعرفي ذلك ولا تنسيه أبداً"

ويبتسم ابتسامة جميلة تحمل معنى الدفء والحب ثم يرحل ويغلق الباب خلفه...

تنج (غضب) للحقيبة التي تجد بداخلها عروسة جديدة، مازالت داخل علبتها وفوقها ظرف مغلق، الذي تمسكه وفتحته لتجد داخله دعوة لحفلة (موت) الشهرية، مثلما كان يفعل في الماضي... تقف بصمت تتأمل الدعوة، تسمع في مخيلتها أصوات ضحكاتهم التي كانت تحدث خلال الحفلات، ثم تضع الدعوة والظرف بجوار الحقيبة، وتمسك بعلبة العروسة وتلاحظ أسفل العروسة علبة أخرى فاخرة، فتمد يديها وتمسكها وفتحتها، لتجد بها عقد من اللؤلؤ الأبيض ناصع

البياض ومعه كارت مكتوب به:

"اللؤلؤ ملك الجواهر وهو جوهرة الملكة"

تمد (غضب) يدها نحو العقد ولكنها تقف قبل أن تلمسه وتغلق العلبة، وتحمل كل من العلبة والعروسة، وتذهب للدولاب وتفتحه، لنجد داخله العروسة الأخرى التي كان قد أحضرها لها (موت) من قبل بالبار، مازالت كما هي، داخل علبتها لم تلمسها. وتضع العلبة والعروسة الجديدة بجوار الأخرى، تنظر (غضب) إليهما بحزن وتلامس البلاستيك بيدها...

* * *

(ألم) و(موت) يتجهان الآن لمنزل (كراهية)، الذي أصبح بمقابر أخرى مهجورة تقع خارج المدينة، ف(كراهية) كان يعيش بداخل إحدى القبور والباب كان مغلق بإحكام شديد. يطرق (موت) الباب وهو ينادي:

"(كوازي)... (كوازي)"

يسمعوا صوته يصرخ:

"أرحلوا... فأنا لا أريد رؤية أحد"

كان صوته حزين وممتلئ بالغضب واليأس وشعر بذلك كلاهما، فيخرج (موت) من جيبه ظرف الدعوة، ويمرره أسفل عقب الباب وهو يقول:

"الجميع سيكون موجودًا وإذا لم تحضر، فسنشعر بالحزن"

ثم يرحلا من المقابر...

ينحني (كراهية) الذي كان يقف خلف الباب ويمسك الظرف ثم يفتحه ليجد الدعوة داخله ويمس لنفسه:

"الجميع سيكون موجود..."

يغلق (كراهية) الظرف ببطء وعينيه تدمع:

-(جيسي)..."

ف(كراهية) كان يراقبها من على بعد، دون أن تشعر بشيء، فهو فقط يريد التأكد إنها على ما يرام، وأيضًا يسعده رؤيتها، فهو لا يستطيع السيطرة على اشتياق قلبه لها، مازال مستمرًا بإحضار وترك وردة حمراء في عيد ميلادها أمام عتبة بابها، ومازالت لا تعلم من الذي يفعل ذلك أو بالأصح فقدت الاهتمام في معرفة هوية الشخص...

العنوان التالي، كان ل(خوف) الذي كان نفس العنوان القديم الذي ذهبوا إليه من قبل، وهو الكنيسة المهجورة الموجودة بإحدى المناطق النائية... كان الباب مفتوح على مصراعيه، والمكان مازال يبدو كما لو كان مهجورًا بالكامل، لا يوجد به أي أثر لقدم أحد منذ فترة طويلة.

ينظر (ألم) للمكان باستغراب ويريد التأكد إذا كان (موت) معه العنوان الصحيح أم لا، ولكن قبل أن يتكلم شاهد (موت) يتقدم ويضع الظرف على المذبح، ويقول بصوت عالي:

-(سيزار) أعلم أنك موجود وتسمعني جيدًا... أنا أريد إخبارك بأن الجميع

سيأتي وأتمنى أن تكون من ضمنهم... فحضورك سيعني لي الكثير... فلا تخيب آملي"
يشير (موت) ل(ألم) ليرحلوا من الكنيسة المهجورة وبعد رحلهم يتحرك أحد ما محدثًا صوتًا عالي بسقف الكنيسة، ليظهر (خوف) وهو ينزل من السقف، من خلال تسلق حبل لأسفل.

يتجه بحرص نحو المذبح، يمسك بالظرف ويفتحه ثم ينظر للدعوة،

ويشعر شعورًا داخليًا بالحنين لأيام الماضي، أيام الهدوء وعدم الخوف. ثم يغلق الدعوة ويضغط عليها بشدة وهو ينظر للأرغن المحطم بالكنيسة...

* * *

يعود كلاهما لـ(جنة عدن)، ليجدا (معاناة) بانتظارهم الذي يتجه إليهما مسرعًا بخطواته ويصيح مثل الأطفال:

- "ماذا حدث؟... ماذا حدث؟" في لهفة.

يبتسم (موت):

- "لا تقلق (بيتر)، كل شيء على ما يرام... علينا الآن فقط الاستعداد

للحفلة"

فيضئ وجهه ويقول بكل سعادة:

- "أجل ... أجل"

ينظر (موت) لـ(معاناة):

- "أريد منك خدمة، فهل تفعلها؟"

- "أجل، أي شيء تقوله"

- "أريد منك تحمل مسؤولية تجهيز الحفلة وجعلها الأروع والأجمل، فهل

يمكنني الاعتماد عليك في تلك المسؤولية الكبيرة؟"

يقفز (معاناة) في سعادة:

- "لا تقلق (أنجيل)، س... س ستكون أفضل وأجمل الحفلات... إنها حفلة

العودة... إنها حفلة لم الشمل... إنها الحفلة"

ثم يقف فجأة ويستدير ويتحدث مبتعدًا مع شخصياته الوهمية بصوت

عالي، كما لو كانوا فريق المساعدين له، ويقول لهم:

"هناك الكثير من الأشياء، لا بد من فعلها... لا يوجد أي وقت... لا بد من تجهيز القاعة والديكورات، والتأكد من أن كل سليم وإخ و....."
ينظر (ألم) و(موت) إلى (معاناة) الذي أصبح بعالم آخر، ثم يلتفت (ألم) ل(موت) ويقول:

"أتظن من الحكمة رفع أماله هكذا؟!"

(موت) بكل هدوء:

"لا تقلق، سيعود كل شيء مثلما سبق"

ثم يدخل (ألم) و(موت) (جنة عدن)...

* * *

يأتي اليوم الموعد، وكل شخص منهم بغرفته يستعد، ف(موت) يجهب الهدايا ليحملها إلى مقر الحفلة. (معاناة) يعاني من ربط الكرافت، لا يعلم كيف يربطها، فهذه أول مرة يرتديها، لأن حفلة لم الشمل تستحق شيئاً مميزاً. (ألم) يجلس على حافة سريره، يتأمل اللوحة التي أعطاها إياه (موت)، حاملاً بالذكريات والسعادة التي كان يشعرها أثناء الحفلات.

يخرج (موت) من غرفته، ويمر على غرفة (معاناة) ليراه يعاني في ربط الكرافت، فيدخل الغرفة ويساعده يربطها لكن (معاناة) منفعلاً ومشتعلاً بطاقة من النشاط والفرحة، لا يقف ثابتاً ويتحرك بمكانه، ولا يعطي فرصة له لربطها.
(معاناة):

"هيا ... هيا لا أريد التأخير"

يضحك (موت):

"لا تقلق (بيتر)، سنصل بالموعد"

يهز (معاناة) رأسه بكل سعادة، ويهدأ قليلاً مما يساعد (موت) في ربطها، ثم يذهبان لغرفة (ألم) الذي يخرج لهما مبتسماً وهو مرتدي بذلته عندما طرقتا عليه الباب

(موت):

"لقد مضي دهرًا، منذ أن رأيتك سعيدًا هكذا"

يضع (ألم) يديه على كتف (موت) و(معاناة) وهو يقول:

"هيا بنا، حتى لا نتأخر"

يصلوا لمقر الحفلة، يدخلوا ويجدوا أن (معاناة) فعلاً استطاع تحمل المسؤولية، وجهاز قاعة في غاية الدقة والجمال، فكان اللون الأبيض هو المسيطر على الجو العام، والتحف الفنية واللوحات معلقة في كل مكان، وأهم شيء كان حائطًا بمنصف الغرفة يحمل مجموعة متنوعة من صورهم الخاصة أثناء الحفلات السابقة.

يلتفت (موت) ل(معاناة):

"أحسنت عملاً يا (بيتز)، كنت أعلم أنك لن تخيب ظني"

يبتسم (معاناة) ولكن (ألم) يبدو عليه القلق بعض الشيء، فلم يصل بعد

أحد من الآخرين.

(ألم):

"إنهم لن يأتوا..."

(موت):

"سيأتون... أننا عائلة"

(معاناة):

- "أجل... لا تكن متشائمًا... فنحن في النهاية أخوة"

(موت) بصوت عالي:

- "أخوة... أسمعت ذلك؟ نحن أخوة، فأليس من الأفضل، الانتظار مع

أخوتك يا (سيزار)، بدلاً من الانتظار بمفردك هكذا؟"

يفاجأ الجميع بكلام (موت)، ويتفاجؤوا أكثر عندما ظهر (خوف) بجوار البيانو، فهو كان بالفعل مختبئاً بالمسرح منذ فترة طويلة، قبل حتى الموعد الرسمي ليأخذ حذره من أي كمين بواسطة أعداءه، فمازال الخوف حاكم تصرفاته.

يذهب إليه (موت) فاتحاً ذراعيه:

- "مرحباً بك في بيتك يا (سيزار)"

يحضنه (موت) و(خوف) يقف ثابتاً، لا يرفع يديه تاركاً (موت) يحضنه، كان متردداً في البداية، ولم يرفع يديه ويحضنه بالمثل إلا عندما سمع (موت) يهمس له بأذنه:

- "لقد افتقدتك..."

يدخل (كراهية) الآن القاعة، يتفحص القاعة سريعاً يميناً ويساراً، ثم

يصيح بغضب:

- "لقد قلت أن الجميع سيأتون!!"

فيلتفتوا جميعهم ل(كراهية) ويركض إليه (معاناة) مسرعاً ليحضنه بشدة، يأخذ (كراهية) الأمر ببساطة ولا يظهر أي سعادة لرؤية (معاناة).

(موت):

- "الصبر... سيأتي الضيف الأخير"

يرحب الجميع بحضور (كراهية) الذي يتركهم بسرعة وبجفاف، ويتجه إلى

مكانه المفضل بالشرفة، متأملاً الشارع وضوء القمر الساقط... يسمع الجميع صوت باب القاعة يفتح وينظروا إليه ليجدوا (غضب) قد أتت، ترتدي بنطلون جينز ومعطف جلد وتحمل معها خوذة قيادة دراجة نارية. ينهض (كراهية) من مكانه سعيداً ويدخل للقاعة، كاد أن يتقدم نحوها ولكنه سرعان ما تمالك نفسه، حاول إخفاء سعادته برؤيتها، ولكنه دائماً ما يفشل في ذلك ودائماً ما يلاحظه الجميع...
تكسر (غضب) حالة الاستغراب ونظراتهم إليها من طريقة ملابسها، بقولها
بغضب:

"أليس من المفروض أن تكون هذه حفلة؟"

ثم تتجه إلى البار وتجلس على المقعد، معطية ظهرها للبيانو والجميع، وتخرج زجاجة من الفودكا من الجاكييت الجلد...
(موت):

"بما أن الجميع حضروا... لتبدأ الحفلة"

يتجه (موت) للبيانو، ويجلس (ألم) على مقعد خلف (موت)، أما (معاناة) الذي يعطي كل اهتمامه إلى البيانو، يجلس على الأرض بجوار الشرفة التي بها (كراهية)، جالساً على حافتها يتأمل القمر في سكوت، و(خوف) يجلس في ركن القاعة، متأملاً مخارج ومدخل القاعة، و(غضب) مازالت تجلس على البار، تعطي ظهرها للجميع ولكنها تستطيع مشاهدة الجميع من خلال مُرَايَة البار...

يعزف (موت) على البيانو، وكلما اندمج بالعزف أكثر ينسى الجميع هواجسهم ويبدووا بالتحرك تدريجياً بالنظر نحو (موت)، كزهرة عبادة الشمس التي تتحرك نحو الشمس... يتملكهم شعور بالراحة افتقدوه منذ زمن، وكل منهم أصبح شارد الذهن مع نفسه المفقودة وذكرياتهم الجميلة... تذكروا الحفلات السابقة ومع

كل ذكرى ترتسم ابتسامة بسيطة على وجه كل منهم، فعزفه يذكرهم بما كانوا عليه من سعادة، وآمالهم وطموحاتهم وهم أطفال...

يغلق (خوف) عينيه للمرة الأولى منذ رحيله عن (جنة عدن)، ويترك خوفه لوهلة ويسلم نفسه لرحلة للماضي، ماضي بلا خوف أو قلق، ماضي به راحة البال والهدوء، و(كراهية) ينظر لـ(غضب) نظرة محملة بالحب، (غضب) التي لا تلاحظ تلك النظرة، تفك شعرها وتتركه حرًا لتعود مرة أخرى لأنوثتها الجميلة، (ألم) ينظر متأملًا سعادة (موت) التي تجعل الفرحة تمتلكه هو الآخر، (معاناة) سعيدًا بما يحدث والابتسامة لا تفارق وجهه، يخرج الكاميرا، ويأخذ لهم صور دون أن يشعروا به ليحفظ تلك اللحظة الجميلة باليوم ذكرياتهم...

ينتهي (موت) من العزف ويصفق الجميع له ثم ينهض وينحني (موت) لهم في احترام ثم يقول:

-ستكون هناك حفلة شهريًا مثلما تعودنا وأعلم أنكم ستأتون إليها مهما حدث"

ثم ينظر (موت) لـ(معاناة) الذي يجده متضايق بعض الشيء، ويفهم ما يريد، فيكمل (موت) كلامه بصوت عالي:

-وذلك لا يمنع اجتماعنا بالمناسبات ومقابلة بعضنا البعض... فنحن في النهاية عائلة"

يبتسم (معاناة) بشدة ويتجه بسرعة لمنتصف المسرح وهو يقول:

-لنأخذ صورة تذكارية... صورة لنا جميعًا... صورة عائلتنا السعيدة"
(موت):

-يا لها من فكرة رائعة"

يذهب الجميع نحو البيانو ويقفوا بجوار بعضهم البعض، (معاناة) يضع الكاميرا على البار، ويضبط المؤقت بها ثم يتجه إليهم ويأخذوا الصورة التي كانت تحمل ابتسامة وسعادة صادقة لكل واحد منهم... الصورة التي حملت جوهر وحقيقة كل واحد منهم... الحقيقة التي حاولت (جنة عدن) قتلها...

يتجه (موت) نحو كعكة الاحتفال، التي أحضرها (معاناة) ليجهز ويحضر نصيب كل واحد منهم، و(معاناة) لا يهتم بذلك ويذهب لكاميرته الفورية حتى يطمئن على الصورة التي أخذها للتو، لكن (كراهية) يذهب إليه قبل أن تظهر ملامح الصورة الفورية ويقول:

"(بيتر)، هل لي أن احتفظ بهذه الصورة؟"

ينظر (بيتر) للصورة التي لم تظهر بعد ويرتبك مثل الأطفال ويهز رأسه في

حيرة وتردد.

(كراهية):

"أرجوك، لي لي رجائي؟"

كانت هذه أول مرة يطلب (كراهية) شيئاً بهذه الطريقة، فهو لا يتوسل لأحد ولا يطلب رجاءً من أحد، لهذا أعطاه الصورة التي مازالت بمرحلة التحميض ولا يظهر بها أي ملامح.

(كراهية) بسعادة:

"شكراً (بيتر)..."

يخرج (كراهية) مسرعاً من المسرح، متجهًا للسطح، مكانه القديم والمفضل له. يلاحظ (معاناة) أن (كراهية) خرج مسرعاً ولم يأخذ نصيبه من الكعكة، فيأخذ له صحن وبه قطعة من الكعكة، ويذهب خلفه إلى السطح، ليجده

واقفًا أسفل القمر الفضي يتأمل الصورة بشدة، منتظرًا ظهورها بفارغ الصبر...
تظهر الصورة التي نسى بها (كراهية) نفسه، وسرّح مع مشاعره متميًا
بابتسامة (غضب)، فقد كان غير مهتم بأي شيء آخر حوله سوى هذه الابتسامة،
فقد كانت نظرة إعجاب واضحة وصريحة منه نحوها... كانت ملامح السعادة تعلو
وجهه في البداية لكن كلما طال تأمله بالصورة تنقلب هذه الملامح إلى حزن وألم
لتنزل من عينيه دموع بسيطة.

ينظر إلى وجهها ويقول بصوت عالي مخاطبًا القمر:

"لا أريد أن أسير على الأرض محملاً بذلك الجرح الذي يلتهم روعي...
الجرح الذي لا يقدر الزمان على شفاءه... هل سأستمر هكذا حتى فنائي... لما يجب
أن أكون ملعونًا؟ لما لا أكون سعيدًا؟!"

يسمع (معاناة) حديثه ويقف بالخلف دون أن يشعر به...

يرفع (كراهية) نظره للقمر في حيرة وحزن ويكمل:

"أنا وأنت لدينا أوجه شبه كثيرة، فكلانا وحيدان... نحب ولكن لا نتحب،
نحلم ولا نتحقق أحلامنا... أيمكنك أخباري؟... لما الرب وهبني الحياة؟!... ألكي يقتلني
بجها! إذا كان الرب أعطاني الحياة... فلماذا إذا أخذ روعي؟... لماذا جعلني أحبها وهو
يعلم إنها لم ولن تحبني، لماذا جعل قلبي يدق عندما أراها؟... يدق عندما أسمع
صوتها؟... يدق عندما أقول اسمها... يدق عندما أتذكرها... لما حرمني من أن
تحبني؟!؛ أنا لا اعتقد بأنه أمر صعب لا يقدر على تحقيقه، أتعلّم أنه لا يهمني
تحقيقه بقدر ما أريد أن أعلم لماذا...؟!، لماذا بخل علىّ بذلك؟، وهو شيء بسيط
وسهل بالنسبة له... لماذا جعل قلبي من البداية يعشقها؟... لماذا لم يعطني القوة
لأتغلب على ذلك الأمر؟!... لماذا ترك قلبي ينزف هكذا دون أي اهتمام منه؟!، أليس

نحن رعاياه... فهو من خلقنا، أليس واجبه رعايتنا والاهتمام بنا أم هو يجب تعذيبي..."

يصرخ (كراهية) بغضب شديد:

"أنا لم أطلب أن أولد... لم يكن لي حرية الاختيار في أي شيء... حرمت من أبي وأمي؛ وحرمت من الشيء الوحيد الذي تمنيته؛ وحرمت حتى من قدرة تحمل فقدان... ألا يعلم ما أشعر به..."

ثم يقول بكل حزن وانكسار بصوت ضعيف:

"أما أنى مجرد نكرة بالنسبة له..."

ينظر للأرض ويمسح دموعه ثم ينظر إلى السماء ويخاطب الرب:

"لماذا يارب؟... لماذا..."

ثم يضع يديه على عينيه ويجهر بالبكاء، و(معاناة) يشاهد ويسمع كل ما حدث ويقرر عدم التحدث معه، فهو لا يدرك كيف يتعامل مع ذلك الموقف، فيرحل وبينما هو متجهًا للأسفل تتساقط بعض الدموع من عينيه حزنًا على ألم أخيه الذي يدمره شيء بشيء...

يمر شهران، وخلالهما كان (معاناة) يريد التأكد بأن العائلة لن تفقد القدرة على التواصل مرة أخرى، لذلك اخترع نظام اتصال ذو شفرة شديدة التعقيد باستخدام هاتف جوال خاص لا يقدر أحد على فك شفرته، ولا يمكن لأحد تتبعهم من خلاله، فقد أمنه بشدة وكان شديد الحرص حتى لا يستطيع أحد استخدامه ضدّهم، ومن ساعده على ذلك (خوف)، فقدرته الفائقة في التنبؤ بجميع السيناريوهات التي قد تحدث مدهشة، فهو الأفضل عندما تريد التأمين. فنظام

التشفير الذي اخترعه (معاناة)، كان يتم من خلال أحد الأقمار الصناعية الخاصة بمنظمة (الأبناء السبعة) دون علمهم بالطبع، وأعطى كل من أخواته الهاتف المدعم...

في عام ٢٠٠٩ يأتي الوقت ليرحل (موت) في عامه الواحد والعشرون، وأصبحت (جنة عدن) ليس لها داعي الآن؛ فهي كانت من أجل مرحلة تحضير وإعداد (الأبناء السبعة) وانتهى دورها الآن، وتم نقل كل العاملين منها بالكامل ما عدا (ظلام) الذي بقي مسجوناً بقبوها والحراسة المكلفة بمراقبته. محل إقامة (الأم) و(معاناة) الرسي أصبح منزلها الفاره الذي كانت تسكن به من قبل، وتم شراء منزل مجاور ليتم تسكين (معاناة) بجوارها بصفته الحارس والمساعد الشخصي لها، ولكنها كانت تجبره معظم الوقت على البقاء معها بمنزلها، بل أعطته غرفة ليباشر منها مهام عمله كالرجل الثاني لها.

يدرك (موت) بأن مقر حفلاتهم ب(جنة عدن)، أصبح غير مناسب بعد إغلاقها، لهذا يقرر نقل مقر إقامة الحفلات إلى مكان آخر سري لا يعلمه أحد سواهم، وكان ذلك المكان المسرح المفتوح التي عرف به (موت) السعادة لأول مرة، فهذا المسرح مر الزمن عليه وأصبح أطلاً الآن، مما سهل عليه شرائه بصفقة سرية دون علم أحد؛ واستخدام منظمة (الأبناء السبعة) لمحو أي أثر له من السجلات المدنية من خلال مساعدة (معاناة) الذي سهل له استخدام النظام، فأصبح كما لم يكن موجوداً...

جدد (موت) المسرح من الداخل، وترك مظهره الخارجي يبدو كما لو كان مهجورًا حتى لا يلفت الانتباه، وجعل المسرح المفتوح، المقر الدائم للحفلات والاجتماعات العائلية، وعمل به مسرحًا مغلقًا للحفلات الشهرية، وترك المسرح المفتوح لأكبر وأحسن حفلاته الحفلة السنوية...

مع مرور الوقت، أصبح المسرح كبيت العائلة الخاص بهم، فتم عمل لكل منهم غرفة خاصة بالكواليس يستخدموها وقتما شاءوا، ووضع كل منهم بالغرفة ذكريات طفولتهم السعيدة من ألعاب، وهدايا، والصور التي التقطها (معاناة)، فقد أعطى كل منهم نسخة منها، وليس ذلك فقط بل صمم (معاناة) بنفسه لوحة جدارية للصورة التذكارية التي أخذها بمناسبة عودة الحفلات مرة أخرى، ووضعها في قاعة المسرح المغلق خلف البيانو مباشرة...

الغرفة كانت شيئًا كبيرًا لبعضهم، وشيئًا عاديًا لبعضهم، ف(كراهية) كان لا يهتم بالغرفة، فهو لا يستخدمها أبدًا إلا للراحة قبل أو بعد الحفلة، لهذا تجد الغرفة فارغة من أي أثاث، يتركها خالية تمامًا من أي شيء ويجلس دائمًا على الأرض بمفرده، أما (غضب) فقد وضعت جميع عرائسها بالغرفة، ولكنها لم تكن تلعب بها بل تنظر إليها وتتأملها بعلمها البلاستيكية، ووضعت أيضًا بها جميع الفساتين التي أحضرها لها (موت) ما عدا عقد اللؤلؤ الأبيض، فقد كانت تحتفظ به معها دائمًا، وبالنسبة ل(خوف) كان يستخدم غرفته للهروب من العالم عندما يحتاج الهدوء والراحة، فهي المكان الوحيد الذي لا يعلم أحد بوجوده فيه سوى إخوته، و(ألم) كان دائم الإقامة بغرفته في أوقات فراغه، وأما (معاناة) كان سعيدًا بها للغاية، فقد جعل جزء منها معمل تحميص للصور، ونقل معظم ألعابه من منزل (ألم) إلى هذه الغرفة، فهذه الغرفة كانت له مثل منزل أحلامه، فهي منطقة

السعادة بالنسبة له، ولهذا كان أكثرهم ترددًا على المسرح المفتوح والأكثر اهتمامًا في العناية به، لذلك جعله (موت) المسئول عن الحفاظ ورعاية المكان... المكان الذي كان (موت) يقيم به، مكانه المفضل للعزف الذي يلجأ إليه للتفريغ عن أحزانه من خلال العزف... كان بعد الانتهاء من أي عملية، يذهب للمسرح ويجلس به ليعزف ويخرج ما به من ألم وأحزان، وكان عندما يشاهدوه أخواته أو يسمعه بالصدفة، يعتقدوا أنه يتدرب على العزف من أجل الحفلات، ما عدا (ألم) الذي كان يعلم سبب العزف، فهو طالما ما يرعاه ويحميه، ويتتبع جدول عملياته دون علم المنظمة أو (ألم)...

* * *

يمر ثلاثة سنوات على ذلك الحال من عمل الحفلات والاجتماعات بالمسرح المفتوح، وعادوا عائلة مرة أخرى، يقابل كل منهم الأخر في أوقات مختلفة... في عام ٢٠١٤ يتقدم المراقب الذي أشرف على عملية القتل الأولى ل(موت) للشهادة طوعًا لمكتب التحقيقات الفيدرالية، التي لم يصدقها أي أحد منهم بسبب مدى غرابة نظرية المؤامرة، فكيف تتواجد منظمة كهذه وتفعل عمليات الاغتيال ولم يسمع أحد عنها أو حتى يجدوا أي دليل طوال تلك الفترة، فظنوا أنه مجرد شخص مجنون لكن المراقب يستمر بإرسال البرقيات والخطابات لمكتب التحقيقات دون أي استجابة منهم، حتى لاحظها أحدهم وشدت انتباهه، فشخص واحد فقط اهتم بإعطاء أذنيه له عندما سمع بوجود مثل هذه الخطابات... العميل الفيدرالي (جون توماس)، المحقق الذي كان يشك في وجود المنظمة بسبب مذبحه الحفلة ل(ظلام)، فهو لم ييأس أو يغير رأيه حتى بعد ما أصبحت كل الأدلة تشير عكس ذلك...

كان (توماس) لديه دائماً ذلك الإحساس الداخلي بوجود شيء مريب، فحاول بقدر المستطاع اكتشاف أي دليل يساعد في إثبات ذلك، ولكن كان دون فائدة، ولهذا عندما علم بوجود المراقب الذي يؤكد شكوكه طلب مقابلته بأسرع وقت، ولكن الخبر وصل لـ(الأب) من خلال مصادره الخاصة، فأمر بإرسال (موت) للتخلص من المراقب بأسرع وقت ممكن...

* * *

أتى المراقب إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية قبل موعده بساعتين بسبب رسالة وصلته بتغيير الموعد وتم وضعه بغرفة الانتظار، فقد كان (توماس) باجتماع روتيني لا يستطيع تركه.

يدخل أحد الضباط في صمت على المراقب بالغرفة، مرتدياً زي الشرطة الأزرق، مخفي ملامح وجهه بالقبعة، مرتدي قفازات جلد سوداء.
المراقب مع ابتسامة خفيفة دون أن ينظر إلى الضابط:

- "أعلم أنه في هذه الحياة، لا يوجد هروب من أعمالك، فنحن لا بد أن ندفع جراء أعمالنا... لا تفهمني خطأ، فأنا لا أقول بأنني شخص سيء... كلا... لقد فعلت كل ما كنت أظنه بوقته أنه الصواب... وبارادتي ولم أجبر عليه أو حتى خطرت ببالي فكرة لوم أحد آخر عليه، حتى مجيئي هنا، ما زلت أرى أنه شيء صحيح، ولا بد من فعله وحتى أن لم يكتمل على النحو المخطط له "

يتقدم الضابط بصمت ليقف خلف المراقب الذي يكمل كلامه دون أن يستدير إلى الضابط:

- "لا بد من دفع ثمن أعمالنا، ومهما حاولنا لا يوجد راحة لأشخاص مثلنا... فعندما تعلم بأن وقتك معدود في هذه الحياة، لا تخشى مواجهة الموت... الموت

الذي له حضور وقوة تطغي على أي شيء، مثل حضورك الذي له شيء من الهيبة...
لقد تطورت وأصبحت كما ينبغي أن تكون... لقد أصبحت ال(موت)"
لا يهتز (موت) بأي من كلام المراقب ولا يهتم بما يقوله بل يخرج من جيبه
حقنة ممتلئة بشيء ما، ولا يوجد صوت غير صوت صرير قفازات الجلد وهو يفرس
الحقنة برقبة المراقب.

(موت):

"لا شهود"

المراقب بابتسامة:

"يبدو أنني علمتك جيداً"

يحقنه (موت) بالجرعة ويرحل تاركه جثمان هامد، لا يوجد به حياة...
يحضر بعدها بفترة بسيطة (توماس) ويفتح باب غرفة الانتظار، يجد
المراقب جالساً ولا يلاحظ أنه ميت.
(توماس):

"صباح الخير، أنا العميل (جون توماس)"

لكنه لا يجد أي رد فعل منه، فيتجه إليه بسرعة وعندما يلمسه تسقط
رأسه على الطاولة، فيتحسس النبض ولكنه لا يشعر به.
يأمر (توماس) بغلق المكتب، ومنع دخول وخروج أي أحد والبدء
بالتحريات...

تم عمل تحقيق لمعرفة سبب الوفاة واكتشفوا بالملف الطبي الخاص
بالمراقب، أنه مصاب بسرطان المخ في المرحلة الرابع وكان لديه أيام معدودة، وأيضاً
التشريح أثبت عدم وجود أي شبه جنائية، فالمنظمة شهيرة بأنواع السموم الصعب

اكتشفها ولا يجدوا أي شيء مثير للريبة بأشرطة المراقبة، ف(موت) أوقف الكاميرات التي بالغرفة قبل دخوله وأعاد تشغيلها بعد انتهائه من المهمة، وكان شديد الدقة في ترك وضع الجثمان مثلما الوضع الذي أوقف به الكاميرات عليه، ولعب في التوقيت بحيث لا يبدو به أي قمز.

(توماس) يرفض تصديق أو قبول هذه الصدف الغريبة، فكيف كلما أوشك على الاقتراب من إثبات المنظمة يحدث شيئاً غريباً كهذا، لكنه لا يستطيع فعل شيء سوى قبول الأدلة الواقعة، وغلق التحقيق في وفاة المراقب... لكن ذلك لا يغلق باب الشك داخله بل يزيد منه...

كان (موت) يظن بقتله للمراقب قد يشعره بشيء ما من الراحة، ولكن للأسف لا يوجد أي تغير يخفف مما يشعره داخله، فهو يتعامل بنفس الطريقة التي طالما تعامل بها مع صراعاته، وهي الموسيقى، وأكمل حياته بشيء من التجاهل ومحاولة العيش وإيهام نفسه بالنسيان، وتعامل مع هذه العملية كمثلها من العمليات السابقة، وأيضاً كلمات المراقب الأخيرة لم تؤثر به بشيء بل أنه لم يفكر بها لحظتها أو حتى بعدها فقد دفنها داخله بجوار ما دفنه من قبل. لهذا يعود (موت) لحياته كما كانت سابقاً، ويستمر بتنفيذ أي عملية تسند إليه ولا يتوقف عن إحياء الحفلات مع أخواته خلال هذه الفترة...

في عام ٢٠١٨ يطلق (الأب) كثيراً، فذلك العميل الفيديرالي الذي يدعى (جون توماس)، سيصبح رئيس المكتب الفيديرالي وعلم بنيته في إنشاء فريق من أفضل المتحرين ليحققوا في وجود منظمة (الأبناء السبعة) فور توليه رئاسة المكتب الفيديرالي، لذلك أصدر (الأب) أمر شخصي وفوري باغتياله في حفلة تكريمه وطلب

تكليف (موت) بهذه المهمة، وجعل (ألم) مساعد له وخطة بديلة في حالة إخفاق (موت) بمهمته، وذلك كان أمر غريب، فمن المعروف أن نسبة الفشل بعمليات (موت) صفر في المائة وأيضاً أنه يعمل بمفرده دائماً ولا يحتاج لأي مساعدة أو حتى مرافق، والشيء الأغرب كان عدم إعطاء أي تفاصيل أخرى عن حياة (جون توماس) اليومي أو نبذة عنه، فكل ما استلمه (موت) هو اسم الهدف وموعد الحفلة مرفق معه صورة له ومكان الحفلة الذي سيتم بها التكريم والتي كانت بالبيت الأبيض.

يتم الاستعداد لتلك المهمة، ويتفق كل من (موت) و(ألم) على الخطة، وطلب (موت) من (ألم) ترك الأمر له وأن لا يقلق، وبالنسبة لطريق دخول البيت الأبيض ستنفذ من خلال تزوير أوراق كعاملين بطاقم الخدمة من خلال قراصنة نظام المعلومات وإضافة بياناهما، وعندما ينجحوا بذلك، يأتي الجزء الثاني وهو الاهتمام بكاميرات المراقبة ودراسة المداخل والمخارج، وعندما ينتهوا من ذلك يُتم التخلص من هيئة العاملين واستخدام دعوات مزورة لدخول الحفلة والاختلاط بين الضيوف بسرية، وعدم لفت الأنظار إليهما، وجعل الاتصال بينهم في حالة الضرورة القصوى فقط...

يأتي موعد الحفلة وتم تنفيذ الجزء الأول من خطة الدخول بنجاح، ويذهب (ألم) إلى السيرفر لتولي أمر الكاميرات، ويذهب (موت) ليدرس أماكن الدخول والخروج وعندما انتهى من ذلك تخلص من زي العاملين وارتدى بذلته الفارحة، ليذهب ويختلط مع الضيوف ولكن في طريقه لقاعة الاحتفال يمر بالصدفة أمام غرفة البيانو بالبيت الأبيض، ولا يستطيع مقاومة إغراء جمال ذلك البيانو... فينظر (موت) في ساعته ويلاحظ أنه مازال هناك وقت كافي، فيدخل غرفة البيانو وعينيه لا ترتفع عن البيانو.

يجلس (موت) على المقعد ثم يرفع غطاء المفاتيح، ويبدأ بتمرير يديه على سطح البيانو بهدوء وإعجاب ثم تلامس أنامله المفاتيح دون الضغط على أي منها ولكن وهو يفعل ذلك ودون أن يدري يجد نفسه يعزف على البيانو لا إرادياً، وتخرج منه السوناتا المفضلة له وهي سوناتا (ضوء القمر). كان عزف جميل في غاية الدقة والروعة، لكنه كان محملاً بقدر كبير من الحزن المدفون. لا يشعر بوجود شخص يقف خلفه بسبب اندماجه بالعزف...

ينتهي من العزف ويسمع تصفيقاً صادراً من خلفه، فيلتفت ويجد فتاة في العشرينات من عمرها، ترتدي فستان أسود ضيق قصير، وجميل، وذو لمعة مع انعكاسات الضوء، وشعرها بني اللون به درجة من الاحمرار الخفيف يصل طوله لأعلي الظهر وعينها عسلية واسعة ذات رموش كثيفة.

يرتبك (موت) بسببها، وعندما دخلت الفتاة لتهنئه على عزفه المتميز، رحل من الغرفة وهو يتكلم كلمات وهمامات غير مفهومة، وتركها بمفردها، فهو شعر بالارتباك لأنه يعلم من هي الفتاة، فهي إحدى أشهر عازفات البيانو بالعالم واسمها (نورين). كان دائم الاستماع لعزفها الرائع من خلال الأسطوانات المدمجة، ولا يعرف ماذا يقول لها، فهو لديه إعجاب شديد تجاهها...

يذهب (موت) للحمام ويحاول استجماع هدوءه مرة أخرى، ثم يخرج متجه إلى القاعة ليكمل المهمة. يقف (موت) بحثاً عن هدفه، ليلاحظه واقعاً بين أشخاص آخرين، فيتقدم ويقف بالقرب منهم، منتظراً الفرصة المناسبة للتنفيذ...

(توماس) يتحدث مع أحد الواقفين معه:

- "لا تنسى وعدك لي، بتحديث تسليح مكتب التحقيقات (كلود)"

يبتسم (كلود):

- "وهل أخلفت أي وعد من قبل؟!"

(أدم كلود)، رجل في الستينات من عمره، جسده مشدود وعضلاته بارزة بعض الشيء، ولا يبدو عليه وهان السن على الإطلاق، ذو شعر أبيض قصير وبه بعض الخصل السوداء، طويل القامة، يمسك بسيجار ضخم ويتحرك بثقة وعدم خوف من أي شيء، فهو صاحب أكبر شركة أسلحة، ويعتبر من أقوى الشخصيات بالعالم. لا أحد يعلم تاريخ نشأته بالتفصيل ولكن ما تعلمه الجميع أنه بنى نفسه بنفسه حتى وصل لما هو عليه الآن.

(توماس):

- "بالطبع لا، ولكنك كما تعلم تجار الأسلحة قد يكونوا..."

يقطعه (كلود) مزحاً:

- "لست أنا، فأنا صاحب كلمة وحتى أن كانت العقود الحكومية لا تدفع

الكثير"

يبتسم جميع الواقفين.

(توماس):

- "أعلم أنك وطني وتحب بلدك بشدة"

- "أي شيء من أجل بلدي، طالما كانت هذه سياستي ومبدئي في الحياة،

حتى تكون أعظم دول العالم"

يهز الجميع رؤوسهم بالموافقة ثم يرن هاتف (توماس) المحمول، فيجيب

على المكالمة وهو يستأذن من الواقفين ليذهب بعيداً...

يقف (توماس) بمفرده بجوار النافذة بعيداً عن مجال رؤية المتواجدين،

وهنا يتقدم (موت) نحوه ويضع يده بجيبه وقبل أن يصل إليه، تقطع (نورين)

طريقه وتقف أمامه وهي تقول بابتسامه:

-ها أنت، أليس من المفروض تحية العازف لجمهوره؟!"

(موت):

"أنا كان هناك الحقيقة..."

يفقد (موت) تركيزه مرة أخرى...

(نورين):

"يبدو إنك لديك خوف من الجمهور، لا تقلق فذلك يحدث لنا جميعاً"

يبتسم (موت) ويهز رأسه بالموافقة.

(نورين):

"أين أخلاقي؟! أنا (نورين)"

"وأنا ... أنا ..."

يرتبك (موت)، فهو لا يعلم أي اسم يقوله لها ولكنه يكمل كلامه:

"أنا (أنجيل)..."

لا يعلم لما قال لها ذلك الاسم، فقد كان ذلك تصرف غير مسبوق منه،

فهو لا يستخدم ذلك الاسم إلا مع أخواته.

(نورين):

"يوجد في عزفك شيئاً من الحزن لا أعلم من أين يأتي؟! ولكنه يضيف إلى

المقطوعة جمالاً ويجعلها أكثر اكتمالاً"

"شكرًا لك"

"ما رأيك بالحفلة؟"

"لا بأس بها"

- "أقول لك سرًا، أنا مثلك أخاف من الجمهور"

- "يبدو أنه خوف مشهور"

- "أكثر مما تعلم، أتريد أن تعلم علاجي له؟"

- "بالتأكيد..."

- "أغلق عيني وأعد إلى الرقم عشرة ثم أخذ نفس وكل شيء يصبح على ما

يرام"

- "فكرة جيدة، وهل ينجح ذلك معك دائمًا؟"

- "كلا، لكنه يؤدي الغرض إلى أن تصل للبيانو، فعندما تجلس عليه

ستنسي خوفك، وتصبح أنت والموسيقى فقط"

تبدأ الموسيقى بالعزف وعندما تسمعها (نورين) تأخذ يده لصالة الرقص، ليرقصوا رقصة هادئة. وأثناء الرقصة ينظر (موت) في عينيها بتركيز لأول مرة منذ أن قابلها ويبدأ بتسليم نفسه لها، فتحول تركيزه الذي كان على الهدف ومن حوله إلى صفر في المائة، وأصبح كل تركيزه عليها التي كلما تكلمت سحرته أكثر وأكثر وضحكاتها المتنوعة، فقد كان لها أكثر من ضحكة وكان يريد أن يعلم عدد ضحكاتها المختلفة، لهذا استمر في إلقاء الدعابات التي جعلت اهتمامها به يزداد، وبالمثل (نورين) التي كانت لبقة في الكلام والتصرف، فقد كانت سيدة بمعنى الكلمة، نبرة صوتها الهادئة، ونظراتها الجميلة وروحها الساحرة سببًا في زيادة إعجابه بها.

يلاحظ (موت) شخصًا ما يطرق على كتفها ويقول:

- "ألم يحن وقت عزفك؟" ثم يبتسم

يتأمل (موت) ملامح الشخص ويفاجأ بأنه (جون توماس)، فيعود تركيزه

للمهمة وتتغير نظرة عينيه.

(نورين):

- "أظن أن الناس متلهفة لسماع عَزْفِي؟"

(توماس):

- "لا أعلم لما الفنانين دائماً لديهم الشك بقدراتهم!"

(نورين):

- "أوه، أريد أن أقدم لك (أنجيل)"

وتنظر ل(موت) باستغراب، فهي لا تعلم سوى اسمه الأخير.

(موت):

- "(دريك) ... (دريك أنجيل)"

يصافحه (توماس) ويضغط على يد (موت) بشدة، فهو لا يشعر بارتياح

من نظرات عينيه، فهي نظرات شخص يخفي شيء ما

(نورين):

- "حسناً (أنجيل)، هذا أبي (جون توماس)"

(موت):

- "تشرفت بلقائك سيد (توماس)"

(توماس):

- "أنا أيضاً، ماذا تعمل سيد (أنجيل)؟"

- "أنا أعمل في مجال بيع الآلات الموسيقية"

يهز (توماس) رأسه بعدم ارتياح فهذه الوقفة والنظرة لا تتفق إطلاقاً مع

هذه الوظيفة، فهو يشعر إنه في حضور شخص ذو خلفية عسكرية.

(نورين):

"آسفة... فأبي لا يعرف كيف يفصل بين طبيعة وظيفته كمحقق فيدرالي،
وطبيعته كشخص اجتماعي، فكل شيء له مثل التحقيق؟"
يضحك (توماس):

"عزيزتي... هذه طبيعة كل أب وليست فقط طبيعة المحققين"
تبتسم (نورين) وتقبل خد والدها وتقول:
-"أبي، على العزف الآن... فهل من الممكن أن تعامله بلطف؛ فأنا حقًا
معجبة به" تقول الجزء الأخير وهي تهمس لولدها
(توماس):

"حسنًا، حسنًا... سأفعل ما في استطاعتي"
(نورين):
-"شكرًا أبي... ولكن لا تغضب مني عما سأفعله، فأنا أعرفك"
ثم تنظر ل(موت) وتقول:
-"هل ترافقني إلى البيانو؟"
(موت):

"أجل" وتمسك (نورين) يده وتتحرك وهي تقول لوالدها: "آسفة يا أبي،
أنا أثق بك ولكنني أعرف طبعك"
قبل أن تذهب إلى البيانو تقول ل(موت):
-"انتظرنى هنا؛ فأنا أريد أن أسمع رأيك"
-"لا تقلقي، فأنا لن أذهب إلى أي مكان"
فتبتسم وتتجه للبيانو لتجلس وتعزف عليه.

يقف (موت) متيمًا من عزفها الجميل الذي تشعر من خلاله ببراءة روحها

وجمالها، فقد كان عزفها يشعرك بأن العالم مكان جميل تتمنى الحياة به، عزف يجعلك تحس بمدى روعة الحياة، تتأكد بأن الأمل موجود مهما حدث... عزف يجعلك في حالة سلام مع نفسك، يؤكد لك أن الحب والهدوء مازالوا متواجدين في العالم...

في تلك الأثناء يستغرب (ألم) من تأخير (موت) في تنفيذ المهمة، فهذه المرة الأولى التي يأخذ بها كل ذلك الوقت، ولكن (ألم) يثق بأخيه لهذا لا يتدخل وينتظره حتى ينهي المهمة أو يماتفه...

تنتهي (نورين) من العزف وتجلس مع (موت) في الشرفة، يتكلموا معاً طوال الليل دون أن يشعروا بأن الحفلة انتهت وقد رحل الجميع وينتهيهم لذلك أحد رجال الأمن، فيخرجوا من البيت الأبيض ويسيرا معاً متجهين إلى كافييه ليكملوا حديثهم الذي استمر حتى طلوع الفجر، وطلبت (نورين) سيارة أجرة لتأخذها إلى منزلها.

(نورين):

"لقد استمتعت بوقتي معك الليلة"

"وأنا أيضاً"

يخرج (موت) هاتفه المحمول ويعطيه لها:

"أدأ لنفعلها مرة أخرى"

"بالتأكيد"

تأخذ هاتفه وتكتب به الرقم ثم تعيد الهاتف له قائلة:

"سأنتظر مكالمتك"

تركب السيارة وتذهب بعيداً... يأتي هنا (ألم) بالسيارة ل(موت)، فهو كان

يراقب كل ما حدث منذ رحيلهما عن البيت الأبيض... يركب (موت) السيارة معه.

(ألم):

"ماذا حدث معك الليلة؟!"

(موت):

"لا تقلق، فكل شيء تحت السيطرة... الوقت فقط غير مناسب... ثق بي

(أرثر)"

يقول الجزء الأخير بعد أن شعر بقلق أخيه.

يهز (ألم) رأسه بالموافقة، فهو يثق به بشدة ويظن أن حديثه مع الفتاة ما

هو إلا جزء من خطته. ثم يتجه (ألم) بالسيارة للمقر ليرفع التقرير...

يرفع (موت) تقريره إلى (الأم)، يطلب مهلة أطول ويبرر ذلك بأن المهمة

تحتاج ذلك الوقت لفعل المطلوب بطريقة صحيحة ودون أي شبهات، وعندما رفع

(ألم) تقريره هو الآخر إلى (الأم) تجنب ذكر ما حدث مع (موت) مع تلك الفتاة، وأكد

على أنه يؤيد ويدعم طلبه للمهلة... خلال المهلة تأتي مهمة جديدة وذات أهمية كبيرة

ويتم تكليف (ألم) بها، وكانت المهمة في جنوب إفريقيا، ولا بد أن يرحل سريعاً لبدء

بها، فهي مهمة في غاية الصعوبة والدقة. يرفض (موت) أي شريك أخر بحجة إنهم

قد يضرروا بسلامة المهمة وإنها مهمة لرجل واحد، ويرفع ذلك الكلام في تقرير إلى

(الأب) الذي يقتنع به، فهو لا يريد لفت أي انتباه ولا يوجد أي داعي للشك أو

القلق، ف(موت) الأفضل بين (الأبناء السبعة) لهذا يوافق (الأب) على رغبته...

يقابل (موت) (نورين) ليأخذها بأول موعد غرامي بينهم، كان لا يعلم أين

يأخذها، فهو لم يكن في مثل هذا الموقف من قبل والتوتر كان زائدًا لديه بعض الشيء... قرر في النهاية أخذها لأماكنه المفضلة بالمدينة التي يذهب إليها ليستجم، ويختارها الموسيقى التي سيعزفها لأخواته...

كانت سعادتها بتلك الأماكن لا تستطيع الكلمات أن تصفها، وبدأت الكيمياء والتجاذب بينهما بالازدياد.

(نورين) وهي تسير بجواره:

"لم أكن أعلم بوجود مثل هذه الأماكن الجميلة، كيف لك أن عرفتها؟"

"بالصدفة"

"كيف ذلك؟!"

"عندما أريد أن أريح عقلي من التفكير في أمور الحياة، أذهب للتمشي في

الليل دون هدف، وأهيم في الشوارع ودائمًا ما أجد نفسي في تلك الأماكن"

"شيء رائع، ما المكان الذي ستأخذني إليه الآن؟"

(موت) بخجل:

"لا أعلم الحقيقة... فهذه هي جميع أماكني المفضلة ولا يوجد مكان آخر

بذهني"

"إذا... دعني آخذك أنا إلى مكاني المفضل"

تمسك (نورين) يده وهي تقول:

"تعال معي، أنه قريب من هنا"

يسيران في الشوارع وهم يضحكا إلى أن تأتي ناصية شارع وبجوارها كان

حائط كبير أمامه بعض الناس الذين يكتبون شيء على ذلك الحائط.

(نورين) وهي تشير إلى الحائط:

"هذا (حائط الأمان)... الناس تكتب أمانها على الحائط التي تحلم بتحققها، وإذا تحققت يأتوا هنا مرة أخرى... ليرسموا وجه مبتسم بجوار أمنيتهم التي تحققت"

تقف (نورين) صامتة متأملة الحائط وهي غائبة عما حولها، وينظر إليها (موت) ويلاحظ سعادة غامرة على وجهها وهي تتأمل الوجوه المبتسمة الكثيرة على الحائط.

(نورين):

"واو انظر لجميع هذه الوجوه المبتسمة... أنه مكاني المفضل، فأنا آتي دائماً إلى هنا لأرى أمانى وأحلام الناس..."

ثم تستدير لـ(موت) وتكمل كلامها:

"فجميع يستحقوا نهاية سعيدة مهما كانوا ومهما فعلوا"

شيء ما يتغير داخل (موت) وأخذ يسأل نفسه:

"أحقا شخص مثلي لديه فرصة بنهاية سعيدة... بعد ما فعلته؟!"

(موت) لـ(نورين):

"أحقا تؤمّي بذلك؟"

"أجل، وأن كنت لا تصدقني، أنظر لذلك الحائط وإلى كم الوجوه

المبتسمة عليه..."

ثم تتجه (نورين) لإحدى الأمنيات وتقول:

"أنظر لهذه... أتمنى أن يعود زوجي للطريق السليم... بجوارها وجه

مبتسم؛ أوه... أنظر إلى هذه، أتمنى أن أرزق بطفل... بجوارها أيضاً وجه مبتسم،

أنظر إلى كل هذه الوجوه المبتسمة"

ينظر (موت) لباقي الأمانى ويقراها واحدة تلو الأخرى، ويلاحظ أن معظمها بجوارها وجه مبتسم ويركز اهتمامه بشدة على الكم المهول من الوجوه المبتسمة، ثم يقول لنفسه:

"نهاية سعيدة مهما كان الشخص..."

تلقت إليه (نورين):

"ماذا تريد أن تتمنى؟"

"لا أعلم، فلا يوجد شيئاً محدد بذهني"

"أمم... لا يهم، فهناك عدد كبير من المرات المقبلة"

يبتسم (موت) بسعادة شديدة لأنه علم بأن هناك مرات أخرى سيخرج بها

معها...

* * *

يقضي (موت) باقي المهلة في التعارف عليها ويزداد الإعجاب بينهما حتى أصبحتا كيان واحد كل منهما يفهم ويسعد الآخر... يلاحظ والدها (جون توماس) ذلك التغيير ويأمر بعمل تحريات عن (موت)، فهو لديه شك تجاهه وذلك الشك يكبر عندما تتعمق التحريات، ويعلم منها أن اسم (دريك أنجيل) الذي أخبره به لا وجود له في أي سجلات، وأيضاً محل سكنه ليس مسجل باسمه بل باسم آخر ليس له وجود أيضاً، ولا يوجد شخصاً من جيرانه يعرف عنه أي شيء، فهو شخص ليس له أي وجود اجتماعي؛ الغموض يحيط به. فيحذر (توماس) ابنته منه ويطلعها على ما وصل إليه من تحريات، ولكنها لا تعطيه أي انتباه وتظن أن والدها يقلق زيادة عن الحد كالعادة، لذلك لا يجد سبيلاً آخر سوى وضعه تحت المراقبة لمعرفة حقيقة أمره...

* * *

يشعر (موت) بأن هناك من يراقب تحركاته، في البداية كان يهرب من متابعتهم، ويعتقد إنهم تبع (الأم) لمراقبة خط سير العملية، لكن أسلوب المراقبة كان مختلفًا عما كان من قبل، فأثر ذلك الريبة لديه، فعمل هو بعض التحريات عمّن يتبعوه وعرف إنهم يتبعوا لمكتب التحريات الفيدرالية، وقد تم تكليفهم بأمر مباشر من والد (نورين) لمتابعتة... يعلم (موت) إنه بذلك يعرض كل ما يحبه للخطر، فإذا عرفت (الأم) بأنه تحت المراقبة، فقد تتصرف بطريقة غير متوقعة لتحمي المنظمة بأي ثمن، وقد يكون هناك خطر على حياة (نورين)، فيقرر إنهاء علاقته بها في الموعد المقبل...

* * *

في موعدهما المرتقب، طلبت (نورين) منه أخذها إلى دار السينما لمشاهدة فيلم (سينما باراديسو)، كان يريد أن يخبرها قبل فعل أي شيء، لكنه ضعف أمامها عندما رآها أمامه، فقد كانت في غاية الجمال تلك الليلة، ترتدي قميص من الحرير الأبيض وبنطلون أسود وتحمل ابتسامة أجمل من أي ابتسامة أخرى رآها، لذلك قرر بأن يجعل الانفصال بعد الانتهاء من الفيلم...

تبدأ أحداث الفيلم باتصال هاتفه من امرأة عجوز إلى ابنها (سلفاتور) الذي لم تراه منذ ثلاثين عامًا لتبلغه بوفاة صديقه العجوز (ألفريدو). يبدو التأثر واضحًا على وجه (سلفاتور) من هذا الخبر المحزن. فيبدأ حينها مسيرة طويلة مع مشاعر الحنين والشوق واللهفة... مع الذكريات الجميلة... ذكريات الطفولة... التي امتلأت بعبق السينما والأفلام التي كان يشاهدها في صالة السينما العتيقة (باراديسو) التي تعرّف من خلالها على الموظف العجوز (ألفريدو) المسؤول عن

متابعة آلة العرض السينمائي. من هنا تنشأ بين الطفل والعجوز علاقة صداقة مؤثرة، انقسمت حكاية الفيلم لثلاثة أقسام أو ثلاثة مسارات زمنية، الأول يحكي طفولة (سلفاتور)، الثاني مرحلة شبابه، أما الثالث فيذهب إلى روما بعد ثلاثين سنة من هجر (سلفاتور) لقريته في جزيرة صقلية، وفي كل مسار تكون لنا رحلة مع مشاعر مختلفة، ففي الأول نعيش طهر وبراءة الطفولة، ومع الثاني يرافقنا شعور الحب والعاطفة الملتهبة التي يبديها (سلفاتور) الشاب لإحدى فتيات القرية الجميلات، بينما يأخذنا المسار الثالث في رحلة مع مشاعر الحنين واللوعة تجاه ماضٍ جميل ولى إلى غير رجعة...

عندما انتهى الفيلم كانت (نورين) تُمسح دموعها وهي تبتسم وتقول:
- "إن هذا الفيلم دائماً كان يفوق الخيال... كيف يتضارب الماضي والحاضر... كيف تطحن الذكريات... كيف يكون الحنين، كيف تمتزج الكوميديا بالبكاء كيف يكون سحر السينما... والموسيقى... معاً"
يصمت (موت)، ويكتفى بالنظر إليها وهي تتحدث عن ذلك الفيلم بشغف وحب.

تكمل كلامها:

- "مشهد النهاية طالما كان المفضل لدي... عندما رأيته للمرة الأولى، سألت نفسي، هل من الممكن أن أشعر ذلك الشعور تجاه شيء في الحياة؟ وعندما عرفت الموسيقى، ظننت أنني وجدت ما سيجعلني أشعر ذلك الشعور، لكنني اكتشفت أن ما يوصلني لهذه الدرجة من المشاعر بل يفوقها، هو أنت... فوجودك في حياتي هو مثل جمال مشهد النهاية... أنا أحبك"

لكنه يصمت ولا يقول شيئاً وتحمل عينيه الألم والحزن، فتنصدم

(نورين) من صمته:

- "ما الأمر؟!... ألا تحبّني؟!!"

(موت) بسرعة وبدون أي تردد:

- "بل أحبك... لكنك لا تعرفيني جيدا... هناك أشياء... أشياء... " ولا

يستطيع إكمال كلامه

- "يكفيتي ما أعرفه وما أشعر به الآن"

يضع (موت) يديه على يدها ويقول بكل حزن:

- "حتى أنا... أكره نفسي بسبب تلك الأشياء فكيف أتوقع منك أن تحبّيني

بعد أن تعرفيها"

(نورين):

- "لا أهتم، كل ما أهتم به هو أنت"

يعلم (موت) أن الموضوع منتهي وإنه من الصعب إنهاء العلاقة معها، فهو لا يريد أن تستمر في حبه وتعاني من ذلك، فهو يريد أن تكرهه وتنساه والسبيل الوحيد لذلك هو إخبارها حقيقته، فأخبرها بكل شيء وكيف أنه قاتل محترف وأن اسمه هو (موت)، والهدف من وجوده في الحفلة كان لقتل والدها وأنه هدفه المقبل...

تسمع (نورين) كل هذا الكلام وهي في حالة صدمة، وتقول لنفسها:

- "كيف لشخص يعزف ويشعر الموسيقى يكون بهذه الوحشية"

فتنهض من مكانها في قاعة السينما وتجري إلى الخارج ويبقى (موت) بمكانه

متأمل رجليها...

تذهب (نورين) وهي تبكي لوالدها وتخبره بما حدث، فيأمر بالقبض عليه للتحقيق لكنه اختفى دون أي أثر، فقد ترك كل شيء واختفى تمامًا، فيقلق (توماس) على ابنته لذلك يضعها تحت الحراسة لحمايتها من أي أذى. أصبح (توماس) الآن يعلم بأن المنظمة موجودة وإنه لا بد من اتخاذ طرق أكثر فاعلية للإيقاع بالمنظمة (الأبناء السبعة)، فيقرر استخدام نفسه كطعم لإيقاع أحد أعضائها والحصول منه على إجابات بما إنه هدفًا على قوائم اغتيالهم، ويمنحهم فرصة ذهبية لا تعوض، تجبرهم على القدوم إليه بنفسهم.

* * *

يوهم (توماس) من حوله بأنه قد حصل على معلومات تفيد بتأكيد وجود المنظمة، وأنه على وشك رفع تلك المعلومات لجميع القيادات الأمنية بالبنتابون، وسيذهب للقاءهم خلال هذا الأسبوع. يعلم (الأب) بما ينوي فعله (توماس)، وكيف أن (موت) أصبح لا يعتمد عليه، فهو مستمر برفع طلب التأجيل وتكرر جملة الوقت الحالي غير مناسب لتنفيذ المهمة. لذلك يكلف (الأب) (خوف)، ويأمر بوضع (موت) تحت المراقبة بسبب التكرار الغريب للتأجيل الذي أصبح يثير الشكوك بشدة...

* * *

تم تبليغ (خوف) بالمهمة والهدف وأنه لديه مطلق الحرية في طريقة التنفيذ، والمطلوب منه فقط سرعة التنفيذ لكن (خوف) كعادته الدائمة يتحرى عن كل شيء بدقة عالية، لذلك علم من تحرياته أن (موت) قد تم تكليفه قبله بتلك المهمة وأنه لم ينجح بتنفيذها مما أثار القلق لديه، فمن غير المعروف عن (موت) الإخفاق بأي مهمة. يتعمق أكثر في التحريات وينجح في الوصول لجميع

الحقائق، ف(خوف) مشهور عنه أنه أفضل المتحرين، فهو يمتلك الدقة في استخلاص المعلومات، ولا يسمح بوجود أي نسبة للخطأ...

لقد علم (خوف) بوجود (نورين) ووجود مشاعر بينها وبين أخيه، وأصبح لديه يقين لا يحتمل الشك بأن (موت) لا يريد أن يتم اغتيال والدها، وقد يحاول حتى حمايته وهنا يتم وضع (خوف) بموقف صعب... فهو يعلم بمهارة (موت) وأنه سيعلم بالتأكيد تكليفه بالمهمة، وقد يحاول المستحيل لمنعه من تنفيذها...
(خوف) لنفسه:

"-ماذا أفعل؟!... شرفي لا يسمح لي بالهروب...، دمائي لا تسمح لي بالقتال...

وخوفي لا يترك لي راحة البال"

الموقف كان صعباً للغاية عليه، فشخصيته تتمسك بالواجب ولا تهرب من أي أمر صادر من المنظمة وكيف له أن يقف في وجه أخيه ويقاتله...
لا يحسم الأمر له سوى خوفه... فخوفه أخبره بأن (موت) لن يسمح لأي أحد بقتل والدها، وقد يقتله حتى وأن تنازل عن المهمة، ف(موت) أكثر شخص يعرف طبعه بعدم الانسحاب أو الهروب من الواجب. أصبح (خوف) الآن أمام طريق مسدود، فجميع الطرق تؤدي لقتال حتى الموت مع أخيه... تعامل عقل (خوف) مع هذا الموقف على إنها معركة من أجل الواجب، وإنها أهم وأكبر معركة بحياة أي قائد وعليه أن يقدم عليها إذا أراد المجد، ولو تتدخل (موت) بالموضوع، يصبح هو المسئول وعليه أن يتحمل ما سيحدث من عواقب فالواجب يعلو أي شيء...
* * *

بالفعل يعلم (موت) بتكليف (خوف) للمهمة بالصدفة عن طريق (معاناة)، ويحاول (موت) تحذير والد (نورين) من خلال اتصال هاتفي، وإخباره بعلم المنظمة

إنه يستخدم نفسه كطعم وعليه أن يلغى ذلك، فمن تم تكليفه باغتياله خطير ولا تستطيع أي قوة التصدي له لكن (توماس) يتجاهل جميع تحذيراته ويستمر بالخطأ.

يركب (توماس) سيارة مصفحة ذاهبًا إلى المطار ليأخذ الطائرة إلى واشنطن... كان يتبعه ثلاثة سيارات نقل تبدو كما لو كانوا سيارات عادية، ولكن بداخلها ثلاثة فرق تدخل سريع، يرتدوا أقنعة ولا يظهر أي شيء من ملامحهم... طريق الذهاب إلى المطار كان يتضمن المرور على ميدان التايم سكوير الذي هو من أكثر المناطق أمنًا وزحامًا بالناس، وقد اختارها (خوف) بأن تكون منطقة المعركة، فهو يختار المكان غير المألوف للهجوم حتى يكون مفاجأة، واختار أن تبدو عملية الاغتيال كما لو كان حادثًا إرهابيًا مخططًا.

البداية كانت قذيفة أربي جي تضرب السيارة التي أمام سيارة (توماس)، التي تطير وتنقلب في السماء جراء الانفجار، وتغلق الطريق أمامهم وعندما يحاولوا الرجوع للخلف، يجدوا بعض السيارات التي تقف خلفهم تنفجر وتغلق عليهم الطريق، وأصبحوا الآن محبوبسين داخل الميدان...

تنزل فرق التدخل السريع من سيارات النقل، وهي ترتدي الدروع والاقنعة وتحمل الأسلحة الألية لكن (خوف) كان يضع مثل هذا الاحتمال في خطته، لذلك كان هناك العديد من القناصة فوق الأسطح يطلقوا النيران على من يخرج من السيارات، مما أدى لخسائر كبيرة في الأرواح حتى انتبه أحد رجال فرق التدخل السريع لوجود القناصة، فينحني ويأخذ سلاح من جوار جثث زملائه، ويطلق منه النار على بعض خزانات البنزين بالسيارات التي حوله، فتنفجر وتحدث سحابة كبيرة

من الدخان حول الميدان تعوق رؤية القناصة تمامًا... (خوف) وضع احتمالية فشل القناصة في أداء المطلوب، لذلك يخرج مجموعات من رجاله من المحلات المجاورة مرتدين أقنعة يحاولوا إنهاء وإكمال المهمة...

تنشأ معركة في غاية القسوة بين قوات التدخل ورجال (خوف)، يسقط بسببها الكثير من الضحايا... يحاول نفس الشخص الذي أطلق النار على خزائن البزوين السيطرة على الموقف، فقد كان سريع الحركة يقضي على كل من كان يقف بطريقه باستخدامه عصا كهربية في قتاله، يسقط بسببها الكثير أمامه كما لو كانوا جراد.

المهاجمة عنيفة للغاية، فعدد رجال خوف كثيرة للغاية وميدان التايم، أصبح الآن كما لو كان منطقة حرب... لا أحد يستطيع الدخول أو الخروج. تأتي مروحيات الأخبار من على بعد وتنقل ما يحدث على شاشات التلفزيون، ومن تقترب كثيرًا من الميدان يكون نصيبها طلقة أربى جي كافية بإسقاطها، لذلك حافظت طائرات الأخبار على هذه المسافة حتى لا تدخل مرمي النيران...

كانوا بعض من الحراس الخاص ب(توماس) معه داخل السيارة يحتموا بها، فهي سيارة مصفحة وغير قابلة للاختراق. وبينما ذلك الشخص من فرقة التدخل أوشك على الانتهاء من قتال من أمامه، تتقدم مجموعة أخرى من رجال (خوف) نحو سيارة (توماس)، ويضعوا المتفجرات على أبوابها. وكانت المتفجرات من نوع خاص، قام بتطويره (خوف) شخصيًا، فهي تنفجر وتطلق مادة تأكل أي معدن مهما كان.

يتم اختراق السيارة، ويخرج الحرس الخاص ب(توماس) محاولين تأمين

هروب (توماس) ولكنهم يفشلوا، فتلك المجموعة من رجال (خوف) تطلق النيران على الحراس ويسقطوا أرضاً، ولا يتبقى سوى (توماس) المحبوس داخل السيارة... تتقدم تلك المجموعة للسيارة وسط سحابة من الدخان الكثيف...

تجد مجموعة (خوف) نفس الشخص من فرقة التدخل، يقف فوق السيارة ويقفز سريعاً نحوهم قاصداً رجل محدد من المجموعة الذي يصد كل ضربة من ضرباته حتى يقف كل منهم عن القتال، ناظرًا للأخر بصمت حتى يصيح الشخص ذو العصا الكهربائية:

"(سيزار)..."

ثم يخلع ذلك الشخص قناعه لنجد أنه (موت).

(موت):

"أعلم لغة جسدك ومهما حاولت إخفاء نفسك وسط جنودك، فسوف

أجدك"

(خوف):

"وأنا لا أتوقع منك أقل من ذلك"

"أنا لا أريد قتالك..."

يخلع (خوف) قناعه هو الآخر:

"وأنا كذلك؛ ولكننا رجال ذو شرف... تربيينا على القتال... وعدم الهروب

من المعركة... اليوم شخص واحد سيحيي... لأنني لن أتوقف إلى أن أنتهي من مهمتي... لذلك يا (موت) أعطني الاحترام الذي أريده وامنحني المعركة التي أستحقها... قتال حتى الموت"

كانت هذه هي المرة الأولى الذي يدعوه بها باسمه الحركي بالمنظمة،

ف(خوف) لا يريد مقاتلة أخيه (أنجيل) بل يريد مقاتلة (موت).
يخرج (خوف) أحد أجهزة الإرسال، ويعطي من خلالها أمر لجميع رجاله
المتواجدين بالميدان بالتراجع والانسحاب...

يهجم (خوف) المهاجمة الأولى التي يصدها (موت) وجميع ما يليها من
ضربات متتالية... كانت معركة صعبة للغاية، فكلاهما خبير بفنون القتال والدماء
تساقط من فمهما جراء لكمات الوجه، و(توماس) يراقب ما يحدث وبالمثل كاميرات
المروحيات التي بإمكانها الآن الاقتراب وتصوير ما يحدث، في البداية كانت الصور
المنقلة مجرد ظلال لأشخاص يتحركوا وسط الدخان، لا تظهر لهم أي ملامح حتى
انقشاع الدخان، وظهر كل منهما على الشاشة، ورأت (نورين) (موت) وكيف يقاتل
من أجل أن يحيي والدها...

يقف (خوف) بعيداً عن (موت) ويمسح الدماء الساقطة من فمه، ثم
يخرج سكينان ويقول ل(الموت):
"-هيا بنا"

يحاول (خوف) طعن (موت) لكنه يتفادى كل ضربة من الضربات بكل
صعوبة، ونجح (خوف) في إحداث بعض الإصابات بصدر (موت) وظهره. وكانت
المعركة في صالح (خوف) حتى جاءت فرصة ذهبية ل(موت)، فقد استطاع صد
وإمساك يد (خوف) اليسرى، وعندما جاءت يده اليمنى، ترك (موت) يد (خوف)
اليسرى، وعكس ضربته عن طريق ثني يد (خوف) بضرب كوع يده اليمنى من
الداخل، وبإيد (موت) الأخرى، ضرب مقبض السكين ليدفعه بقوة نحو صدر
(خوف) مخترقه...

يتراجع (خوف) للخلف في استغراب، غير مصدق أنه قد تم هزيمته،

وتسقط السكين من يده اليسرى على الأرض، ويتأرجح يمينًا ويسارًا غير قادرًا على الوقوف باتزان، ثم يمسك بيديه الاثنتين السكين المغروس بصدرة وينتزعها بعنف، ويلقيها هي الأخرى على الأرض، وقبل أن يسقط ينظر لـ(موت):
- "أحسنت"

يسقط (خوف) على الأرض رافعًا نظره متأملًا السماء، لأول مرة بنفس الطريقة التي نظر بها في ليلة سقوط الشهب... ويضع يده اليمنى داخل السترة ثم يرفعها للسماء ويأتي (موت) ويمسك بها.

ينحني (موت) ويرفع نصف جسد أخيه (خوف) بيده اليسرى، وما زالت يده اليمنى ممسكة بيد (خوف) اليمنى... ينظر (خوف) لعين (موت)، لأول مرة بنظرة خالية من أي قلق أو خوف، ويحكم قبضته على يد أخيه.
(خوف):

- "لم أكن أتخيل أنك ستكون الإجابة لخوفي"
يضغط (موت) على يد (خوف) بألم وينظر إليه.
يكمل (خوف):

- "كل فترات حياتي... عبارة عن سكرات من الموت إلا عندما كنت أسمع عزفك... هنا كنت أحياء... وأعرف طعم السعادة والراحة"
يشعر (خوف) بنسمة هواء باردة على وجهه ويتجه بنظره إلى السماء.
ويقول بأنفاس متقطعة:

- "لأول مرة منذ زمن طويل لا أشعر بالخوف... أشعر أنني حر... حر من خوفي... ولا يوجد مكان للخوف داخلي بعد الآن... بأمكاني غمض عيني دون أي قلق؛ لقد أفقدني الخوف الكثير... والآن الموت هو النهاية الحتمية..."

ينظر (خوف) ل(موت):

"وها هو الموت يمنحني الراحة... شكرًا عما فعلته من أج..."

تغمض عيني (خوف) ويرحل عن عالمنا...

يشعر (موت) بوجود شيء ما في يد (خوف) التي يمسكها، فينظر بها ويجد بها ورقة قديمة مطوية، يفتحها ويكتشف إنها نفس الورقة التي كتب عليها (خوف) وهو طفل في المفكرة جملة...

"العائلة هي كل شيء"

ينهض (موت) وهو يحمل جثمان (خوف)، سائرًا وسط سحب الدخان الناتج من احتراق السيارات ويختفي داخلها...

كان (توماس) يشاهد ما حدث، وعرف ما فعله (موت) من أجله، وكذلك كل من كان يشاهد البث التلفزيوني حتى (نورين)، علمت كيف (موت) أنقذ الجميع وأنقذ والدها الذي يتعجب مما فعله، وكيف أن ما فعله اليوم يعتبر خروج وتحدي للمنظمة.

* * *

ترفع (الأم) تقريراً بما فعله (موت) إلى (الأب) الذي يقول بصمت وهدوء:

"لم يكن أحد يتوقع حدوث ذلك"

(الأم):

"أتريد إرسال شخص آخر لإتمام المهمة؟"

"لا داعي، فالأمور الآن خارج السيطرة، والجميع يعلم بوجود (الأبناء

السبعة)؛ الأهم لدي الآن إيجاد (موت) ومحاولة إعادة تأهيله"

"من تريد إرساله خلفه؟"

"لا يوجد أحد على قدر كافي لتلك المهمة سوى (ألم)، فنتظر لحين عودته من مهمته في جنوب أفريقيا" ثم يغلق (الأب) المحادثة قبل حتى سماع رد (الأم).

* * *

لم يكن فقدان (خوف) ذو تأثير كبير على أخواته، ف(براءة) لا يهتم كثير بوفاته فعقله كما هو لا يستوعب مفهوم الموت، ويظن أنه بمكان ما في انتظار قدومهم عندما يحن وقتهم. أما (غضب) لا تبالي بوفاته، فهي تعلم أن هذا من ضمن مخاطر حياتهم ولكنها الذي تتعجب وتستغرب منه بشدة ما الذي قد يدفع أحدًا مثل (موت) للقيام بشيء كهذا؟، وبالنسبة ل(كراهية) فلم تكن له علاقة كبيرة ب(خوف)، فكلاهما شخصية انطوائية ومنعزلة لكن الفرق بينهما كان وجود شخص وحيد استطاع اختراق حياة (كراهية) وتكوين رابطة قوية بينهما، وهو (معاناة)... أما (خوف) فلم يكن لديه أحد، فطالما كان وحيدًا بإرادته وذلك بسبب قلقه وخوفه من الجميع، ولم يكن يبدو عليه التأثير بذلك، فهذا كان أسلوب حياته الذي تأقلم عليه... لم يكن قريب من أخواته... بل كان فقط محبًا لعزف (موت) وحفلاته.

قد يكون ذلك سبب عدم اهتمامهم بوفاة (خوف) أو قد يكون السبب تعاملهم الدائم مع الموت في حياتهم، وقد يكون السبب أن الحياة، والموت أصبحت غير مهمة بالنسبة لهم... فكلاهما مثل الآخر فهم لا يحيوا حياة يخشى عليها من فقدان.

لقد تعاملوا مع فقدان (خوف) كما لو كان أمر عادي لذلك لم يتصل أي أحد منهم ب(موت)؛ ظنًا منهم أنه سيتغلب على ذلك وسيعود الظهور بحفلاته كما تعودوا منه...

كانوا يعتقدون بأن الأمور مازالت كما هي ولا يعلموا أن ما حدث كان

مجرد البداية.

لا يوجد أحد من المنظمة يعلم بمكان (موت) الذي كان يختبئ بالمسرح المفتوح، جالسًا على البيانو بالظلام الذي يمحوه ضوء القمر القوي الساقط، غير مبالي بجروحه ولا يحاول علاجها... أجل أنه يشعر بالألم ولكن ليس الألم الجسدي بل الألم النفسي، فكيف استطاع أن يأخذ روح أخيه... لا يعلم ماذا يفعل؟، فيحاول التخفيف من ألمه بالعزف على البيانو... وحيدًا بالمسرح محاطًا بألحانه وألمه...

السيمفونية الرابعة سيمفونية الحلم والأمل

في إحدى الليالي، تجلس (غضب) على بار بأحد الفنادق الفارحة بعد الانتهاء من مهمة، مرتدية فستان أحمر في غاية الجمال، يعكس جمالها الطبيعي والمخفي دائمًا من خلال ملابس الفتيان التي ترتديها دائمًا، كان الظهر مكشوف، والشعر حر ينساب على ظهرها، ناعمًا يتحرك برقة مع تيارات الهواء البسيطة المتواجدة في المكان، والفستان ليس قصيرًا بطريقة ملحوظة بل هو الطول المناسب الذي يظهر جمال ساقها، فقد كانت تجلس قدم على قدم، والفستان لا يظهر مفاتها بقدر ما كان يظهر جمالها الأنثوي.

في تلك الأثناء كان هناك شاب طويل القامة، ذو شعر أكرت قصير، عريض الكتفين، ذو ابتسامة لا بأس بها، يرتدي بذلة سوداء، جالسًا مع زملائه بعد انتهاء اجتماع عملهم بقاعة اجتماعات الفندق، يراقبها منذ اللحظة الأولى التي دخلت بها البار ولم يرفع عينيه من عليها ولو لثانية، وكان يمسك بالمنديل يثنيه بطريقة غريبة، لا أحد يلاحظها من زملائه المهمكين بالضحك والحديث عن يومهم.

ينهض ذلك الشاب من مكانه وهو يقول لزملائه:

"أعذروني لدقيقة"

يذهب باتجاهها ويجلس بجوارها على البار.

الشاب:

"أنا لا أدري ما أفعله هنا، ولكن هناك شيء ما يدفعني لذلك"

تضع (غضب) الكأس وتنظر إليه بطرف عينها وتقول:

- "أبحث عنه في مكان آخر"
ترفع الكأس مرة أخرى لتشرب منه.

الشاب:

- "أني احترم ردّك، ولكن هناك بعض الأشياء لا بد من المخاطرة من أجلها،
وفعل كل شيء ممكن حتى لا نقع في دوامة الندم وسؤال أنفسنا ماذا كان سيحدث
لو..."

لكنها لا ترد ولا تبدو عليها أي ردة فعل، فيكمل الشاب:

- "لدي إيمان بالقدر الذي جمعنا هنا، ولقد فعلت ما في استطاعتي، ولكن
يبدو أنه الوقت، هو الذي ليس مناسبًا، وإذا كان القدر هو من جمعنا بوقت غير
مناسب، فأنا على يقين أنه سينجح في المرة القادمة"

ينهض الشاب من مكانه وقبل أن يعود لمقعده، يلتفت:

- "ماذا تكون الحياة إذا لم يكن لديك إيمان بالقدر؟! إلى أن نلتقي في وقت
مناسب"

تلتفت (غضب) لجوارها وتجد المندبل الذي كان يمسكه الشاب ويثنيه،
قد شكّله على هيئة وردة...

* * *

بعد أحداث (ميدان التايم)، كانت (نورين) تحاول الوصول ل(موت) ولكن
كل محاولاتها فشلت، فقد اختفي تمامًا كما لو كان تبخر في الهواء، لهذا اتجهت إلى
حائط الأمانى وكتبت عليه رسالة متمنية أن تجد طريقها له وكان نصها:
"أتذكر عندما أخبرتك بأن وجودك في حياتي بمثابة جمال مشهد النهاية في
(سينما باراديسو)، لما لا نرجع إلى ذلك الوقت والمكان"

* * *

تذهب كل أسبوع في نفس الوقت لنفس دار العرض التي شاهدوا بها فيلم (سينما باراديسو)، ولا يظهر له أي أثر، إلى أن أتى (موت) بالأسبوع الثالث وشاهدها تقف بانتظار حضوره، فيتقدم بخطوات مسرعة تجاهها وفعلت هي كذلك حتى وقف كل منهما أمام الآخر دون حركة لفترة ليست قصيرة يحوطها الصمت حتى ذهبت (نورين) وحضنته وهي تبكي وتقول:

"أنا آسفة، أنا ..."

يقاطعها (موت) وهو يضمها إليه بشدة:

"لا تقولين شيئًا، فأنا الذي يجب أن أتأسف، كم كنت أتمنى بأن يكون

الأمر في يدي..."

"لا يهم الكلام الآن، فكل ما حدث هو ماضي وانتهى، وحن الوقت لبناء

حياتنا..."

"كيف ألا تعلمي من أنا... أنا ال(موت)، هذا ما يريدني العالم أن أكون"

"لا تقل أو تفكري في ذلك؛ فنحن يمكننا الهروب، يمكننا العيش في سعادة"

تبتعد عنه لتنظر في عينيه وتقول:

"أنت تتذكر نهاية فيلم (سينما باراديسو) ومدى سعادته بذكرياته، فلما

لا نبني ذكرياتنا، ونحصل على سعادتنا... فالأمر بيدك، هيا نهرب ونكمل حياتنا

بعيدًا عن ضجيج العالم... فكل ما أريده في حياتي، هو أنت بجواري"

"وأنا أيضًا" ثم يحضنها.

"أوعديني بأنك ستكون بجواري دائمًا"

"أعدك بذلك... أعدك بحياتي"

ينحني برأسه ويرفع رأسها بيده ليقبلها (موت) القبلة الأولى... القبلة التي
لن ينسها أحد منهما مهما حدث، قبلة حب صادق ومشاعر نبيلة...

* * *

تترك (نورين) حياتها، وتختفي مع (موت) بعد أن تركت رسالة تخبر بها
والدها بأنها هربت معه لتحيا حياتها معه، لكن (توماس) يرفض قررها، ويضع
جميع قوة مكتب التحقيقات الفيدرالية في ملاحقة (موت) والبحث عنه، وأيضاً
ملاحقة ابنته لأنها برفقته، وقد يستطيعون الوصول إليه عن طريقها...
يختفي (موت) هو الآخر لكن دون ترك أي رسالة لأخوته، فقد قرر الهروب
منهم، فهو لا يقوى على مواجهتهم والنظر بأعينهم بعد قتله ل(خوف).

تمر الأيام ويأتي موعد الحفلة ولكن لا أحد يذهب إليها؛ بسبب عدم
إرسال (موت) الدعوة كما هو معتاد، ولا يوجد سوى (معاناة) الذي يذهب للمسرح
وعندما لا يجد أحد به، يحاول الاتصال به، ولكن دون جدوى، فهو لا يرد على أي
أحد من أخواته...

* * *

بعد مرور أكثر من شهر، تذهب (غضب) لأحدي البارات بعد أن انتهت من
تنفيذ عمليتها الأخيرة، وكانت قد خرجت للتو من ملابسها النسائية، وعادت لملابس
الفتيان مع ربط شعرها وارتداء قبعة بيسبول مع سويت شيرت.
تجلس (غضب) على البار لتشرب وتحاول إسكات الشياطين داخلها لكي
تستطيع النوم بالليل وعدم التفكير... تطلب أول كأس وتسمع صوت قادم من
جوارها:

- "القدر لديه تلك القوة الغريبة في جمع الأشخاص" يقولها الشاب الذي

قابله من قبل ببار الفندق الفاخر

تلفت له (غضب) وتستغرب من الصدفة ولكنها لا تعطيه اهتمام، وترجع للكأس وتمسكه.

الشاب:

"لما لا نتكلم ونرى ما سيحدث، فقد يكون شيئاً رائعاً"

تنظر إليه (غضب) استهزاءً من ضعف جملة المغالاة، فيكمل مبتسماً:

"أنه ليس أنا من أقول ذلك، إنه القدر"

تبتسم (غضب) من داخلها ولكنها لا تظهر ذلك ولا تلتفت مبتعدة عنه...

الشاب:

"هل ستقولين لا للقدر! لا أعتقد إنها طريقة فعالة معه، فهو عنيد لكن

أتعلمين... ما الطريقة الأكثر فعالية معه، هو أن تتحدثي معي وتثبتي له أنه على خطأ"

يتوقف عن الكلام فترة قصيرة ثم يهمس:

"تخيلي بأن تكوني الشخص... *# \$ أيها القدر" يقول الجزء الثاني بأعلى

صوته في البار ويسمعه الجميع.

تضحك (غضب):

"إنها حقاً فكرة مغرية قول ذلك للقدر، والوقوف أمامه"

"ماذا بإمكانه أن يفعل على أية حال؟! إنه فقط القدر، يمكننا التغلب

عليه... بالمناسبة أنا (ديفيد ستون)"

يمد يديه باتجاهها وتمد يدها هي الأخرى:

"أنا (فيوري)... (جيسي فيوري)"

تأخذ الليلة من هنا منعطف مختلف، وتقضي (غضب) طوال الليل حتى مطلع الفجر، والابتسامة والسعادة تملأ وجهها، ولأول مرة لا تشرب سوى كأس واحد ذلك اليوم، وعندما جاءت الساعة السابعة صباحًا، أوصلها (ديفيد) لسيارة أجرة وقبل أن تركب السيارة يقول (ديفيد):

"لما لا نكون نحن في المرة القادمة، صناع القدر" وهو يعطيها الكارت الشخصي.

"سيكون ذلك شيئًا جيدًا" تقولها وهي تبتسم.

تركب السيارة، وترحل وهي تنظر للكارت بسعادة، وكأنها عادت لطفولتها والابتسامة لا تفارق وجهها، وأثناء ذلك يسير (ديفيد) سعيدًا، ويقفز في الهواء، ويطرق كعب قدميه ببعضهما. وكان طوال هذه الفترة (كراهية) يراقب (غضب) وشاهد ما حدث مما أدى لشعوره بالفرح، فهو يعلم ما حدث ليس بالشيء الهين، ولم يمر مرور الكرام، وإنها البداية لشيء طالما كان يخشاه طوال حياته...

كان (موت) و(نورين) يقيمان بفندق تحت اسم مستعار وهواية مزيفة؛ تنظر (نورين) ل(موت) الجالس معها بالشرفة ويشرب قهوته الصباحية (نورين):

"(أنجيل) هناك شيء طالما أردت بأن أسأله؛ لما ترتدي القفازات طوال الوقت؟!"

يضع (موت) فنجان القهوة وينظر ليديه لفترة طويلة في صمت ثم يقول:
"بسبب الألم والذنب... بسبب تلك النظرة البريئة التي تحاول استيعاب وفهم ما يحدث في ذلك العالم القبيح، النظرة التي قتلت دون أي سبب ودون أدنى

رحمة... النظرة التي ستطاردني مهما حييت... إنهم يريدون أن أكون الموت بكل ما يحمله الاسم من معنى... أكون الموت الذي لا يشعر بأي شيء ويفعل ما يطلب منه دون أسئلة أو تردد ولكني لست (الموت)... أنا (أنجيل)"

يقولها وعقله يستعيد تلك الأحداث وتظهر عليه ملامح الحزن، ثم يخبرها بما حدث بالتفصيل ويخبرها أيضًا بما حدث لأخواته من جراء العملية الأولى وكيف أن كل منهم تغير لشخص آخر يختفي أسفله حقيقتهم التي تريد أن تصرخ بأعلى صوت، وتدمر تلك الصورة الوهمية من الاتزان، فهم لا يقدرُوا على التعامل بما يفعلوه، لذلك اخترع كل شخص منهم عذره لكي يستطيعوا التعامل مع ذلك، ولا يسقطوا فريسة للجنون وفقدان الإنسانية الباقية داخلهم، ومن هنا تحدث معها عن كل شيء وأخبرها عن الحفلات وحياة إخوانه، وكيف أنه عاد للعزف من أجل أرواحهم الحزينة محاولاً التخفيف عنهم وتذكيرهم الدائم إنهم مازالوا يمتلكوا شيء ما في حياتهم البائسة، أخبرها أيضًا بما مروا به في حياتهم جميعاً دون ترك أو إخفاء أي شيء...

* * *

في هذه الفترة كانت (غضب) تقابل (ديفيد) بصفة مستمرة، وعلاقتيما أصبحت في تزايد مستمر، و(كراهية) يراقب ذلك ويتمزق جراء ذلك و(معاناة) على علم بذلك، بسبب أن (كراهية) كان يأتي إليه بالمقر الجديد حاملاً تقارير عملياته، ويصعد بعدها إلى السطح متحدثاً مع القمر.

كان (معاناة) نادراً ما يتدخل في محادثات (كراهية) مع القمر، ويكتفي فقط بأخذ الصور من على بعد لكن هذه المرة كانت مختلفة، فأحدى شخصياته الخيالية تتحدث معه وتقول:

- "أستركه هكذا!... يعاني دون أي تخفيف؟!"

فترد شخصية أخرى:

- "لا تكن أحمق يا (جونى)، لا يمكنه التدخل، فإنه شيء شخصي"

(جونى):

- "لكن هذه الأحداث ليست بسيطة يا (تونى)، فهو في صراع وألم لا يحتمل

ولابد من فعل شيء"

فهمز (تونى) رأسه بالرفض ويقول:

- "لا نتدخل فيما لا يعنيننا... هيا الآن لنكمل لعبنا (بيتر)"

(بيتر):

- "لكن ذلك الأمر يعنينى... إنه أخى وعندما يتألم: أنا أتألم... ولابد من فعل

شيء للتخفيف عنه"

يضرب (جونى) بسعادة كتفى (معاناة) ويقول:

- "أجل (بيتر)، أنت على حق"

يتقدم (معاناة) نحو (كراهية) و(تونى) يهمس:

- "(بيتر)... لا تكن أحمق، تعال هنا"

يشير لهم (معاناة) بالصمت والانتظار مكانهم ويتقدم إلى (كراهية) الذي

يعطي ظهره له ومشغولاً بالنظر إلى القمر.

(معاناة):

- "أتعلم لقد سمعت بأن الحديث يخفف من الألم" يقولها بخوف من رد

فعله

لكن (كراهية) يرد عليه بهدوء دون أن يلتفت:

- "أتعلم (بيتر) عندما أتألم لا أجد سوى الكتمان... فهذه عادتي التي

ستقتلني يومًا ما"

يقف (معاناة) متعجبًا من حديثه، لا يعلم ما يجب فعله، فهو يشعر أنه تائه، فينظر خلفه ل(توني) و(جونى) ليساعده بشيء ما، لكنهما يشيرون له بأن يستمر فيما يفعله وهو الاستماع.

يكمل (كراهية):

- "بالرغم أنني سعيد لرؤيتها تبتسم معه، إلا أنه يؤلمني ويقتلني أنني لم أكن ذلك الشخص الذي يمنحها تلك الابتسامة... فالحب هو المعركة التي كنت أتمنى بأن لا أخوضها"

يستغرب (معاناة) من تشبيهه للحب بمعركة، فعقله يتساءل كيف الحب يقارن بالمعركة فذلك شيء وشيء آخر وينظر إلى (توني) و(جونى) لربما يكون معهما الإجابة ولكنهما مثله يرفعا كتفهما باستغراب ويكمل (كراهية) كلامه:

- "كم أتمنى أن أجد من يحبني، لأثبت بأنني لست سيء... لأرى بأن هناك

شيء ما جيد داخلي، يستحق الحب بالرغم من جميع العيوب التي أمتلكها"

(معاناة):

- "لكن أنا أحبك وإخوتك محبوبك"

- "أنا لا أقصد هذا النوع من الحب"

- "أي نوع تقصده إذا؟!"

لا يرد (كراهية) على ذلك السؤال، فهو يعلم أنه لم ولن يفهم نوع الحب الذي يقصده، لذلك يغير الحوار معه إلى تفرغ ما داخله من كلمات تألمه:

- "ماذا فعلنا في حياتنا لكي نستحق تلك الحياة؟! لقد كنا مجرد أطفال

أبرياء... نحن أكبر مثال بأن الرب غير موجود، أين الرب... لماذا لم يعتني أو يهتم بنا...
لماذا تخلي عنا وتركنا هكذا... الحياة غير عادلة... والمجتمع هو من جعلها غير عادلة"
ومازال (معاناة) يقف تائهاً، لا يستطيع استيعاب ما قيل من كلمات، فهي
أكبر من تفكيره...

يكمل (كراهية):

- "أتعلم ما نحن (بيتر)؟، نحن مجرد انعكاس لحقيقة المجتمع، نحن نتيجة
ذلك المجتمع، نحن الحقيقة التي يحاول المجتمع إخفاءها، نحن الألم، والكراهية،
والغضب، والخوف، والمعاناة، والموت، والظلام... الأشياء التي ينكرها المجتمع ولكن
يتسبب في صنعها... نحن الوجه الحقيقي لذلك المجتمع"
(معاناة):

- "أنا لا أفهم ما تتحدث عنه"

- "لا تقلق (بيتر)... فالآن فقط عرفت إجابة سؤال الذي طالما ما حيرني؟"

- "أي سؤال؟"

- "لماذا لا يوجد اسم ال(حزن) بيننا؟"

- "وما الإجابة؟!"

- "أنه محفور داخل كل واحد مننا... أتعلم أن البكاء أصبح بالنسبة لي لا
شيء، لأنه مهما بكيت لن يغير ذلك شيئاً، فليس هناك من سيعطف على أو يهتم...
فلم إذا أبكي؟... فأنا وحيد بهذه الدنيا، وقدرتي مكتوب ولا شيء في يدي لكي أغيره،
فهناك أناس كتبت لهم السعادة والفرحة وآخرين كتب لهم المعاناة في ذلك العالم،
ونحن هؤلاء الآخرين، لذلك انسى مقولة أن البكاء سيجعلك تترتاح، ها أنا أبكي دون
وعي مني ولا أشعر بأي تحسن، ولا أجد أي تغيير يحدث..."

هنا يستدير (كراهية) إليه وهو يفتح ذراعيه مستعرضاً ألمه والدموع تتدفق من عينيه دون أن يبدو عليه إحساس الراحة، فأنت تراه كشخص رضي بقدره المؤلم واستسلم له، فهو لا يملك سوى ذلك الاختيار، إنه شخص يعرف بأنه مهزوم في معركة الحياة، ومستمر في تلك المعركة لأنه لا يستطيع اختيار شيئاً آخر، قبل بأن ذلك هو حكم العالم عليه، ولا يملك القوة لتغييره.
(كراهية):

"علام نعيش! ومن أجل ماذا نموت!... لا أستطيع أن أجد إجابة على ذلك، فكل شيء لا قيمة له... وسيُنظر إلينا كوحوش... لا يمتلكوا أي مشاعر... ولن يعلموا حقيقتنا أبداً... وسينسوننا بمجرد أن يغطي التراب أجسادنا... يقولوا علينا (الأبناء السبعة)... بل نحن الخطايا السبعة لمجتمع قبي علينا"
(معاناة) بكل براءة:

"أتريد أن تنظر لألبومات صورنا؟ ستجعلك سعيداً... إنها دائماً ما تفعل ذلك معي"

يضحك (كراهية) متأماً:

"(بيتر)... أوه (بيتر)... أشد الأحزان هو أن تذكر أيام السرور والهناء عندما تكون في أشد حالات التعاسة والشقاء"
"لست أنا" يقولها كالأطفال.

"اليتني أستطيع أن أعيش في عالمك"

"كيف؟! وكلنا في عالم واحد... هناك عالم آخر لا أعرفه؟!"

"لكل منا عالمه الخاص... ولا أعتقد أنك ستفهم ذلك الآن"

لكن (معاناة) يهز رأسه بالنفي كالأطفال ضمناً شفثيه ويقول:

- "عدم فهم كلامك؛ لا يعني إنك لست ذكيًا"
- "بيتر) أنت ذكي بطريقتك الخاصة... فأنت تحيا بطريقتك وترى الأمور
بطريقتك الوردية وهذه هي أفضل طريقة للعيش... ليتني أكون مثلك"
- "إذن... إذا كنت مثلي، فستشعر بالسعادة عندما تنظر لألبومات صورنا"
يضحك (كراهية) على براءة (معاناة) ويقول:
- "حسنًا، أحضرهم"
يقفز (معاناة) بسعادة في الهواء ويركض بسرعة ليأتي بهم ويقول وهو
يركض:

- "سأتي بهم بسرعة... وستشعر بالسعادة... أنا متأكد من ذلك..."

* * *

تمر أيام ويتم تحديد مهمة غريبة للغاية لكل من (غضب) و(كراهية) وهي
عملية مراقبة وجمع معلومات وذلك لم يكن من صميم عملهم، فصعوبة العملية
كانت تحتاج لأشخاص مثلهم يستطيعوا الهروب إذا تأزمت الأمور، وكان الغرض من
جمع بيانات كافية عن الهدف حتى يكون هناك ملف جاهز ل(ألم)، فمهمته بالخارج
احتاجت لوقت أكثر من المتوقع لتحقيقها.

المهمة الغريبة كانت عبارة عن مراقبة هدف في غاية الصعوبة، أب روجي
لأكبر عائلات المافيا وكان محاطًا بعدد مهول من الحراس طوال الوقت واستمرت
المراقبة لمدة أسبوع وفي آخر يوم مراقبة، كان غطاء التخفي لكل من (غضب)
و(كراهية)، إنهما حبيبين يتجولوا بالفندق باحثين عن قاعة لإقامة زفافهما بها،
وكانا يراقبا بدقة ما يحدث ومداخل ومخارج الفندق، فالأب الروجي كان يمكث في
ذلك الفندق لفترة مؤقتة...

المراقبة الاخيرة كان ذلك بمثابة حلم يتحقق ل(كراهية)، ف(غضب) تمسك يده وتنادي حبيبي، تتعائش دور التخفي بطريقة يصدقها كل من يراها، و(كراهية) لا يمثل، فهو أطلق العنان لكل مشاعره المدفونة، ولا يرتدي كالمعتاد نظارته الشمسية ليخفي بها عينيه، فهو يريد منها رؤية عينيه والاحساس بمشاعره تجاهها لكن (غضب) تظن بأنه يتقن الدور مثلها، وبعد أن انتهى كلاهما من فحص جميع قاعات الفندق، ذهبا لمطعم الفندق الذي يتناول به الأب الروحي طعامه، ليدرسوا أماكن الحراس ومحاولة إيجاد المكان المناسب لتنفيذ المهمة، وقبل أن يدخلوا القاعة أخبرهم أحد العاملين بأن المطعم الداخلي محجوز بالكامل، ولكن الخارجي متاحًا، فذهبوا إليه وجلسوا معًا لأول مرة بمفردهم و(كراهية) يتأملها طوال الوقت دون كلام، يحاول بكل جهد حفظ كل شيء حواله، خصوصًا تفاصيل ملامح وجهها، نظراتها وابتسامتها وكيف تلامس يديها شعرها بسعادة لأنه يعلم داخله بأنه لن تكون هناك مرة أخرى كهذه...

يأتي الخادم:

- "أنا (ستيف) وسأكون مضيفكم هذا المساء"
(غضب):

- "لما لا نستطيع الدخول إلى المطعم المغلق"
(ستيف):

- "أسف سيدتي، أنه محجوزًا دائمًا في هذا الموعد كل يوم"
(غضب) ل(كراهية):

- "أوه... حبيبي لا بد من أنه شخص مشهور" ثم تلتفت ل(ستيف): "ألدنك

فكرة عمن يكون؟ فقد نريد صورة معه عندما يخرج من المطعم"

"أسف سيدتي، فَتَحُنُّ ليس لدينا فكرة عمّن يكون، فهو يأتي معه طقم الضيافة الخاص به، ولا يقبل بأن يدخل أي شخص عليه لدرجة إنهم يحضروا مكونات الأكل ويشرفوا عليها مع الطباخين"

"ولكن لا بد من إنك رأيتَه... فهو يجب أن يدخل ويخرج من المطعم"

"كلا؛ لأنه يستخدم مصعد خاص للنزول من غرفته مباشرة إلى المطعم

ولا يسمح لأي شخص بالاقتراب من المصعد أو المطعم"

"أوه يا له من غموض... أنني أحب الغموض... على أية حال، حبيبي ماذا

ستطلب؟"

(كراهية):

"أظن أنني سأطلب طبق اليوم"

(غضب):

"وأنا أيضًا"

(ستيف):

"اختيار موفق"

كانا يعلمنا بأن ذلك الشخص الغامض هو الأب الروحي، وأن الأمر سيكون أصعب مما يتخيل أي أحد، فهو شبه مستحيل الاقتراب منه، وتحتاج لجيش للاقتراب منه، وذلك كافي لحدوث مذبحة كبيرة من الطرفين، فهذه كانت من أنواع المهمات التي يكلف بها (موت) والتي ينجح بتنفيذها بإتقان دون التسبب في حمام من الدماء.

* * *

يرفعا كل من (غضب) و(كراهية) التقرير إلى (معاناة) الذي سيعرضه على

(الأم) فيما بعد...

تذهب (غضب) غرفتها لتغيير ملابس الفتيات وترتدي ملابسها المعتادة لتذهب بموعد لها مع (ديفيد)، وكان (كراهية) يعلم ذلك ولهذا كان يقف في الجراج منتظرها بجوار دراجتها النارية، محاولاً استجماع الشجاعة الكافية لعمل ما يدعوه مصارحة أخيرة بمشاعره، فأحداث المراقبة شجعتة على فعل ذلك. وتشاء الظروف بأن يكون ذلك اليوم هو الخامس من أبريل، عيد ميلادها، لهذا يحمل داخل معطفه وردة حمراء كالمعتاد، ويريد أن يعطيها الوردة هذه المرة بنفسه...

تنزل (غضب) إلى الجراج وتلاحظه منتظرًا أمام دراجتها النارية، فتقول

بشدة وجفاف:

"ماذا تريد؟ هناك شيء ما في التقرير؟!"

يرد بتذبذب خفيف وتردد وصوت به نوع من الرومانسية مختلط

بالخوف:

"(جيسي)... الحب هو المعركة الوحيدة التي تنميت ألا أخوضها، فالحرب

بين عقلي وقلبي بدأت بك، ولن تنتهي إلا بك"

تستغرب جدًا من كلماته وتندهش أكثر لمناداتها باسم (جيسي)، فهو لم

يقوله أمامها من قبل في حياته.

يكمل (كراهية):

"وكأني لم أجد شيئًا أقتل نفسي به فأحببتك، هل لهذه الدرجة كنت

أتمنى الموت... فأحببت شخص أعلم أنه من الصعب أن يشعر بتلك المشاعر تجاهي

في يوم من الأيام... ولكنني دائمًا ما كان لدي الأمل، فالأمل هو ما يجعلنا نستمر في

الحياة... أنا يمكنني أن أجعلك سعيدة؛ إذا أعطيتني الفرصة... (جيسي)، أنا أح....."

تقاطعه (غضب) بعصبية شديدة:

- "يكفي هذا الكلام... أنا راحلة من هنا"

تركب دراجتها النارية وترحل وتتركه بمفرده وهو يتأمل رحليها، والكلمات تريد أن تخرج من فمه، لكنه يكتمها وعينيه تبكي بشدة ولا يريد الألتفات بنظره بعيداً عنها، يرغب بأن يراها تذهب ليؤكد لقلبه بأنها من المستحيل أن تكون من نصيبه، ولا يحاول حتى إغماض عينيه ولو لجزء من الثانية حتى اختفت من محل نظره، فأغلق عينيه وجلس على الأرض، وأحنى رأسه بهدوء وبكى دون إصدار أي صوت ألم منه. و(معاناة) يشاهد كل ذلك من خلال كاميرات المراقبة...

تمر نصف ساعة و(كراهية) على ذلك الوضع حتى نهض فجأة، وملامح الحزن اختفت، وأصبح وجهه لا يعبر عن أي معالم، باردًا كما لو كان مخدرًا، ويتجه لإحدى الدراجات النارية، ويأخذها مندفعًا بسرعة مجنونة للغاية، خارجًا من الجراج، متجهًا إلى الفندق الذي يقيم به الأب الروحي...

يركب مصعد الفندق متجهًا لطابق الأب الروحي، وقبل أن يخرج منه يجد اثنين من الحراس يقفوا أمامه، وأحدهما يقول:

- "منطقة خاصة، ممنوع الدخول"

لكن (كراهية) لا يسمع أي صوت، في حالة عزلة عن العالم الخارجي محمل بآلم لا يطاق ولا يحتمل، فيضرب المتكلم في رقبتة بقبضته ويكسر القصبة الهوائية ليسقط على الأرض وهو يختنق، يحاول الآخر إخراج مسدسه ولكن (كراهية) يمسك يديّه ويحركها بعيدة عنه، وأثناء ذلك تنطلق طلقة من المسدس تنبه الباقيين من الحراس، ويكسر (كراهية) ذراع الحارس المسكة بالمسدس وتخرج

منها عظمة الذراع المكسورة ويأخذ منه مسدسه ويطلق النار على رأسه مفعجراً
دماغه ثم يأخذ مسدس آخر من الشخص الذي كسر قصبته الهوائية.

يأتي ثلاثة حراس مسرعين نحو (كراهية) الذي يطلق النار على اثنين منهم
ولكن الثالث يصيب (كراهية) في ذراعه الأيسر، لكنه يتحمل الألم ويطلق النار على
الثالث، فيسقط قتيلًا في الحال، فتصويبه دائمًا بالرأس.

يتقدم (كراهية) إلى الأمام، والغرف تنفتح واحدة تلو الأخرى، يخرج منها
حراس و(كراهية) مستمرًا بإطلاق النار على رأسهم، متقدمًا دون أي مبالاة بما
يحدث... تصيبه طلقة أخرى في ذراعه لكنه يستمر بإسقاطهم قتلي، ثم يأخذ رشاش
من أحد القتلى، ورشاش أخر ملقى على الأرض، ويطلق النيران بشكل ليس عشوائيًا
بل بشكل يستهدف أهدافه بإتقان.

يصل إلى الغرفة المطلوبة، وقبل أن يدخل يطلق النيران على الحيطان
المجاورة، فتتحطم ونجد أنه كان يقف خلفها مزيد من الحراس ثم يطلق النيران
على باب غرفة الأب الروحي ليهشم الباب تمامًا ويسقط من يقف خلفه، وكلما
تنفذ الذخيرة منه، يأخذ أسلحة جديدة من الحراس الذين يقتلهم. حركته منظمة
للغاية، وحواسه في أعلى مراحلها، وعندما دخل غرفة نوم الأب الروحي وجد اثنين
من الحراس أمامه، فأطلق عليهم النار وقتلها بسرعة. وشعر بأن أحد ما خلفه،
فاستدار ليجد الأب الروحي يصوب مسدسًا نحوه ويضغط على الزناد، فيتحرك
(كراهية) بسرعة بعيدًا عن مجال الرصاص لكنه لا ينجح وتصيب الرصاصة كتفه
الأيسر. فيرفع (كراهية) يده الأخرى، ويطلق النار على مسدس الأب الروحي بسرعة
مما يجعله يفلت من يده، وعندما حاول إطلاق رصاصة أخرى عليه وجد أن ذخيرة
مسدسه قد نفذت...

يتجه مسرعاً الأب الروحي إليه ويخرج سكيناً ويطعن بها بجانبه الأيمن، فيتحمل (كراهية) الطعنة ويضرب بكل قوته يد الأب الروحي التي تمسك السكين فيكسرهما، يصرخ الأب الروحي من الألم، ويتزعج (كراهية) السكين من جانبه الأيمن بسرعة ليطعن بها الأب الروحي في رقبته طعنات متتالية وسريعة، و(كراهية) يصرخ بغضب وتخرج الدماء لتغرقه بالكامل.

يسقط الأب الروحي على الأرض جثة هامدة، ثم يلقي (كراهية) السكين ويسير متجهاً لسلم الطوارئ ولكنه يستمر بالسقوط على الأرض والنهوض بصعوبة بسبب إصاباته...

يصل إلى الجراج بعد معاناة وتعب ويراها الناس التي تصيح من الرعب بسبب مظهره، ولكنه لا يهتم بذلك ويذهب لدرجته النارية ويركها بصعوبة ثم ينطلق بسرعة مجنونة مختلفياً في ظلام المدينة، ذاهباً لمتزله بالمقابر...
فقد كانت مهمة انتحارية يأمل بها أن يلقي حتفه بها، لكن حتى ذلك لم يكن من نصيبه، فقرر الذهاب لمتزله بالمقابر وانتظار الموت هناك جراء نزيف جروحه لكن عند وصوله وجد (معاناة) ينتظره ويتفاجأ بأنه لا يهدئ السرعة بل مستمر في السرعة الجنونية، وذلك لأنه لم يستطع إيقاف الدراجة، فسقط من عليها وجرى إليه (معاناة)، وأخرج هاتفه وطلب عناية طبية فورية من المنظمة.

* * *

تم تضميد جروح (كراهية) وإنقاذه وتعويضه بالدماء المفقودة، وعندما تم التحقيق فيما حدث، كانت الصدمة على وجه (الأم)، فكيف ل(كراهية) الضعيف فعل المستحيل، فجميع تقارير المراقبة تشير إلى نسبة واحد بالمائة لنجاح مثل هذه العملية، بل أنه لم يترك دليلاً واحداً، فتحقيقات المكتب الفيديالي أشارت

إنها لا بد من أن تكون حرب عصابات مافيا، وتمت بواسطة عدد كبير من الأشخاص المنظمين وذوي دقة عالية من الاحترافية... فمن المستحيل لشخص واحد عمل ذلك وظنوا بأن الشخص الجريح من طاقم حرس الأب الروحي وهرب لينجو بحياته من المذبحة

ينقل (معاناة) إقامته من منزل (الأم) إلى منزل (كراهية) بالمقابر، ليعتني به ويساعده على العودة إلى عافيته، وكل ذلك دون أي مبالاة لرد فعل (الأم) التي كان يبدو عليها عدم الاهتمام، لكنها كانت تشتعل من الداخل من الغضب والغيرة، فكيف لـ(معاناة) أن يفضل (كراهية) ويتركها دون أن يخبرها أو حتى يستأذنها في الرحيل، فهو مازال بالنسبة لها لعبتها المفضلة التي تحب استخدامها لأغراضها السادية والمريضة.

تمر فترة بسيطة وتحسن حالته شيء بسيط ويعود لوعيه لأول مرة منذ حادثة الفندق، وبالرغم من ذلك ينهض من سريره ليتجه إلى القمر، فيستيقظ (معاناة) النائم بجواره على مقعد ويقول:

"لا تتحرك أرجع إلى السرير، فأنت ما زلت ضعيفاً"

"أتركني، فأنا أريد التحدث معه..."

يحاول الخروج والذهاب إلى الخارج لكنه يستمر بالسقوط، فيسرع إليه (معاناة) ويسنده ليساعده بالصعود إلى الهضبة ليتحدث مع القمر ببداية يوم الأول من مايو.

يستند (كراهية) بظهره على إحدى شواهد القبور، ثم يجلس ويقف

بجواره (معاناة) وينظر كل منهما إلى القمر.

(كراهية):

"- أني أعلم إنها لم ولن تحبني أو تهتم بي... فهذه ليست مشكلتها بل هي مشكلة قلبي الذي أختارها... هل تعلم إنها تنظر إليه بطريقة لم أراها من قبل؟!... الطريقة التي كنت أحلم بأن تنظر بها إلى أنا... أصبحت لا أقوى على الاحتمال... إن مجرد فكرة نظرتة لعينيها، ولمس يده مع يدها وتقبيل جلدتها بشفتيه تقتلني... وتحولني هذه الأفكار إلى مجنون... لماذا يبكي قلبي بهذه الحرقة؟... لماذا لا أستطيع إيقاف ذلك الألم والمعاناة التي أمر بها؟... هل حكم على أن أحيأ حاملاً ذلك الألم؟"

ثم يصرخ بأعلى ما في صوته:

"- لا أستطيعيييييييييييع"

يضرب (كراهية) مؤخرة رأسه بشاهد القبر الذي يستند عليه بظهره بجنون، وتهمر الدموع منه كقطرات المطر الغزير، وهو يصدر أهااته ثم يحرك رأسه المستند على الحائط يميناً ويساراً، رافضاً قدره المحتوم عليه، فيتجه (معاناة) نحوه ويحضنه ويستمر (كراهية) بالبكاء وتهدات مؤلمة تحطم قلب من يستمع إليه لكن كل ما يستطيع فعله هو حضنه ومحاولة التخفيف من عذاب قدره المدمر...

تهدأ الأمور بعد فترة ويجلس (معاناة) بجوار (كراهية)

(معاناة):

"- لما أخبرتها بنقطة ضعفك إذا كانت هي لا تحبك؟!!!!" كان يقصد بها

لحظة اعترافه بحبه لها في الجراج.

"- لتريحني من عذابي"

"- ماذا تعني؟!!!!"

"لأنني أريدها أن تستخدمها ضدي، لتدمرني وتجعلني أكرهها أو تقتلني بها وأستريح من عذابي"

"ولماذا ترغب في ذلك؟"

"لأنني أريد أن تكون نهايتي على يدها، فربما حينها أستطيع التخلص من حياها... ولكن للأسف يبدو أنني لا أستطيع أن أجد طريقة تجعلني أكرهها أو حتى أنساها، فهي ستحيي دائماً بقلبي... فمعها تكون الجنة ومن دونها يكون الجحيم"

"لما لا تنساها وتحاول إيجاد شخص أخر لتحبه؟"

"لأن الحب لا يأتي إلا ليدوم... أتعلّم إنها تملك ابتسامات متعددة شاهدتها طوال حياتي والابتسامة الوحيدة التي أردت أن تكون من نصيبي هي ابتسامتها عندما تأتي عينيه بعينها"

يمز (معاناة) رأسه بالنفي بكل براءة، غير مصدق بأن الإنسان لا يقدر بأن يقع في الحب مرة أخرى...
يكمل (كراهية):

"ما يقتلني هو عندما تكون معه، تشعر بأنه يغنيها عن العالم ولا تحتاج لشيء آخر، وما يؤلمني قلبي الذي ينزف بسبب عدم وجود أي اهتمام منها... أتعلّم أنني كنت دائماً أسأل نفسي... ماذا لو سمح لي الرب بتحقيق أمنية واحدة!... فهل كنت أتمنى بأن تحبّني مثلما أحبها؟... أم أتمنى بأن لا يقع قلبي في غرامها؟... أم أطلب القدرة على النسيان والمضي في حياتي؟... قد يبدو الاختيار صعب ومعقد... ولكنني أؤكد لك... إذا عرف قلبك حياها... فستكون أمنية واحدة التي تمحكن الراحة وهي أن تحبك بقدر ما أنت تحبها لأنه لن ولم يوجد إحساس أعظم من أن يبادللك من تحبه نفس المشاعر"

ثم يصمت لفترة ويكمل كلامه:

"لماذا أحببت؟ ولماذا لم أحب؟!... لماذا الدعوات الأخرى مقبولة ودعوتي

غير مقبولة"

(معاناة) مبتسمًا ببراءة:

"- إذا دعني أنا أدعي من أجلك ومن أجل كل شخص أخريشعر مثلك"

يضع (معاناة) يديه على صدره ويغمض عينيه ويحني رأسه ويقول:

"يا إلهي أعلم إنك تهتم بشدة بقلوب الناس المكسورة، فأنت قريب،

وذلك هو الوعد الذي قلته. وأنا أدعي من أجل جميع الأشخاص الذين تألمت

قلوبهم، يا إلهي لقد أخذت قلوبنا ضربة من خيبة الأمل ونحن محطمين لأن أملنا

قد فقد، يا إلهي أشفي قلوبنا، فنحن لا نستطيع شفاء جروحنا لكن أنت من تقدر

فإذا فقدت أجزاء من قلوبنا أو أصبحت أسيرة لدى شخص، استعدها وأعطها لنا

وبقدرتك ومعجزاتك أجعلها تعود قلبًا كاملاً وسليماً من جديد، فأنت شافي القلوب

المحطمة ونحن نسألك هذه المعجزة، فلا تخيب أملنا وتتخلي عنا"

ينظر (معاناة) إلى (كراهية) ويجده قد ذهب في النوم من التعب، فيذهب

لغرفته بالقبر ويحضر منها غطاءين ويغطي (كراهية) وينام بجواره متدثرًا بالغطاء

الأخر...

كان انشغال (معاناة) بمشكلة (كراهية)، جعلته ينسي ألمه من اختفاء

(موت)، وتوقف الحفلات. وبالمثل (كراهية) ألامه كانت تنسيه ما يحدث حوله لكنه

لا يستطيع نسيان أن يكون بقرب (غضب)، فهو حتى في هذه الحالة يراقبها ويشاهد

كل ما يحدث معها في حياتها حتى مقابلاتها مع (ديفيد)، و(غضب) أيضًا لا تهتم

بغياب (موت) وحفلاته، فهي الآن لديها (ديفيد) الذي يرسم الابتسامة على وجهها، ويجعلها تنسى جروح وأحزان الماضي، فقد أصبحت ترجع لطبيعتها عندما كانت طفلة، ونسيت أي رغبة في الانتقام من (الأم)، بل نسيت كل ماضيها الأليم ودفنته وأصبحت تود فتح صفحة جديدة معه، فالحب عندما يأتي يمسح معه ألام الماضي ومآسيه. ومازال (ألم) لا يعلم المستجدات التي تحدث بالمنظمة، فهو ما زال مشغولاً بمهمته خارج البلاد، وكانت مهمة تحتاج وقت وحكمة في التصرف، فقد كانت عبارة عن قلب نظام حكم في دولة أفريقية، والقضاء على أي مركز للقوي، وضمن صعود من سيولي مصالح منظمة (الأبناء السبعة)

* * *

في ليلة الخامس من مايو، يأتي (معاونة) حاملاً البقالة، ويجد (كراهية) يقف في مكانه أمام القمر يتكلم، فيضع الأكياس ويتجه إليه ويسمع صوت هادئ محمل بالألم... صوت شخص مستسلم ولا يعرف ماذا يفعل.
(كراهية):

- "ألم يكن الأمر مؤلماً بالنسبة لك؟!... أن تجعل سعادة شخص على حساب هلاك شخص... هل هذا هو العدل؟!... سعادته مقابل هلاكي... أليس لي حق في السعادة؟!... لماذا اختارته ووقفت بجواره وتركتني وحيداً؟!... لماذا لم تقف بجواري أو حتى تعطني قدرًا من الرحمة؟!... لماذا تخليت عني؟!... لقد حكمت على بالهلاك عندما خلقتني، ولعنتني عندما جعلت قلبي يحبها، وقتلتني عندما جعلتها تحبه هو؛ ودمرتني عندما جعلتني أحيًا بهذه الألام"

كان في حالة مختلفة عما سبق، فهو لا يصيح ولا يبكي أنه فقط يتحدث من قلبه حاملاً نبرة عتاب.

يكمل (كراهية):

- "أنا أعلم، بأن البشر ليسوا كاملين... ولكن هل أنا غير كامل لهذه الدرجة؟!...! الدرجة التي تجعلها تشعر بأنني لا أستحق حبها... لماذا أشعر بذلك الألم مع أنني أعلم ما سيحدث وعلى أتم استعداد لمواجهة ذلك الألم؟!... يا رب أنا أشعر بأنك تفضله وتحبه وتقف بجواره، فأنت سهلت له الأمور وأعطيته ما يتمناه قلبه، وفي المقابل رميتني أنا وجرحت قلبي... متي يا رب أخذت جانبي؟!... أأست أنا مسئولاً منك؟!... أأست أنت من خلقتني؟!... إذا لم تكن تريد أن ترعاني فلما خلقتني؟!"

يصمت عن الكلام ويستغرب (معاناة) من حديثه عن أن (غضب) تحب ذلك الشخص وإنما كلمة كبيرة، فيتقدم نحوه ليلتفت (كراهية) إليه.

(معاناة):

- "كيف عرفت بأنها تحبه؟!"

- "كنت أراقبها اليوم وشاهدت موعدها معه"

- "أسمعتها تقول ذلك؟"

- "لم أسمع ما قيل بذلك اليوم، ولكني شعرت بما حدث... فقد رأيته في عينها ذلك البريق المختلط بالحب والخجل الذي أراه لأول مرة، لقد عرفت أنه يصرح لها بحبه، وعقلي يحاول التخفيف عني عن طريق أقناعي بأنني على خطأ فأنا لم أسمع ما قيل... لكني لا أحتاج أن أعلم ما قيل... فقد كانت نظراتها كافية بإيصال المضمون"

يصمت (كراهية) لفترة (معاناة) لا يدري ما يجب عليه أن يفعله أو ما يقوله في مثل هذا الموقف، وينظر لأصدقائه الخياليين يجدهم مثله لا يعرفوا ما يقوله، وهمزوا كتفهم ورأسهم بعدم المعرفة.

يتقدم (كراهية) نحو (معاناة) ويضع يده على كتفه ويقول:
- "في وقت ما، في حياتك يا (بيتر): لابد أن تدرك بأن بعض الأشخاص
مكأنهم في قلبك دائماً وليس بالضرورة أن يكونوا في حياتك"
يسير (كراهية) مبتعداً عنه ويذهب لدراجته النارية ويركبها وقبل أن يضع
المفتاح بها يقول:

- "أني أؤمن بأن الإنسان لا يموت دفعة واحدة، وإنما يموت على أجزاء،
كلما رحل صديق مات جزء، وكلما غادرنا حبيب مات جزء، وكلما قتل حلم من
أحلامنا مات جزء، حتى يأتي ملاك الموت ويجد كل الأجزاء ميتة فيحملها ويرحل"
يدير (كراهية) الدراجة ويقول:

- "شكراً (بيتر)... شكراً على كل ما فعلته من أجلي"
يرحل (كراهية) عن المقابر تاركاً (معاناة) بمفرده، فقد كان مطلع الفجر
ولابد أن يذهب ليتبع (غضب) في بداية اليوم الجديد...

تستمر هذه الأوضاع حتى ليلة الثلاثون من ديسمبر، فذلك اليوم غير
عادي لدي (ديفيد)، فهو ينوي طلب يد (غضب) ولهذا يريد أخذها لمكان مميز،
وكان في قمة التوتر والخوف ويحاول بقدر المستطاع إخفاءهما، و(كراهية) يعلم بما
يخطط له (ديفيد)، فقد شاهده ينظر للخاتم، وهو ينتظرها بالفندق لذلك أراد
إعطائها الوردية الحمراء التي كان من المفروض أن يعطيها إليها يوم المصارحة
الأخيرة، يوم عيد ميلادها لكن هذه المرة ربط بها بطاقة.
(غضب) نزلت للهو قبل أن ينجح بترك الوردية على باب غرفتها، لهذا قرر
متابعتهما إلى أن تأتي اللحظة المناسبة له...

كانت (غضب) ساحرة خلافة تخطف الأنفاس والأنظار. ترتدي فستان أبيض متلألئ قصير، وشعرها حردون أي شريطة، وكانت ترتدي للمرة الأولى عقد اللؤلؤ الذي أحضره لها (موت) كهدية، وكل ذلك اجتمع ليظهر جمالها الذي طالما كان مختلفياً بأسلوب ملابسها وغضبها المدفون، أنه كان جمالاً لم يكن له مثيل بأعين (ديفيد)، فجمالها جعله لوهلة ينسى كل توتره وخوفه، فهي الملكة التي حلم بها طوال حياته

يتجه إليها (ديفيد):

"واه... (جيسي) أنا... أنا... أنت... فستانك... آه..."

تضحك (غضب) على (ديفيد) الذي يتحدث بكلمات مشتتة، فيبتسم (ديفيد) لضحكتها ويقول:

"جميلة... هي الكلمة الوحيدة التي تأتي ببالي، وهي الكلمة الوحيدة التي

تليق بك"

تحمّر (غضب) خجلاً لأول مرة منذ طفولتها، وكان ذلك شيئاً غريباً عليها ولكنه ليس مستحيلاً عندما تكون مشاعر الحب صادقة، فالحب بإمكانه منح فرصة جديدة وإعادة ولادة الشخص...

يركب كل من (ديفيد) و(غضب) السيارة، وقبل أن يذهبا إلى المكان المميز، أتجه لمحطة بنزين بالطريق السريع بسبب حاجته ليملاً سيارته بالبنزين، وعندما انتهى من تزويدها ينحني لها من شباك السيارة ويقول:

"اعذريني، فأنا سأذهب للحمام"

يتجه لداخل المحطة ويسأل عن مكان الحمام، فيعطيه الكاشير المفتاح

ويشير إلى المكان، فقد كان يريد دخول الحمام لأنه متوتر ويريد غسل وجهه حتى يهدئ من روعه، فقد عاد إليه التوتر والخوف مرة أخرى...

يخرج من الحمام ويتجه للكاشير ليعطيه المفتاح ويدفع حساب البنزين وأثناء حساب الكاشير للتكلفة، يلاحظ (ديفيد) إحدى العرائس التي تحبها (غضب)، فتأتي بذهنه فكرة لطلب يدها، وهي وضع الخاتم بيد هذه العروسة، وبالفعل يفعل ذلك، يأخذ العروسة ويضعها على البار ثم يخرج العلبة التي بها الخاتم الماسي ويفتحها ويلاحظ الكاشير الخاتم الذي يقول مبتسمًا:

"ليلة مهمة..."

"أهم ليلة في حياتي" وهو ينظر إلى الخاتم ثم يضعه بجوار العروسة التي

يحاول فتح علبتها

الكاشير:

"ماذا ستقول لها؟"

"لا أعلم بعد ولكنني متأكد بأن أي كلام قادم من القلب سيؤدي

الغرض"

يهز الكاشير رأسه مبتسمًا

فجأة يقتحم شخص المقنع المحطة رافعًا سلاحه ويقول:

"فيرفع الجميع أيديهم..."

يرفع الكاشير يديه و(ديفيد) كذلك ويتقدم المقنع نحو البار وهو يقول:

"أفرغ محتويات الخزانة"

يخرج الكاشير الأموال ويضعها على البار ولحظة أخذ المقنع للأموال،

يلاحظ الخاتم الماسي المتروك على البار، فيمد يديه ليأخذه ولكن (ديفيد) يسبقه

ويمسك بالخاتم وهو يقول:

"لا... لا تأخذه"

يشهر المقنع السلاح تجاهه وهو يصيح بتوتر وغضب:

"أعطني إياه وإلا..."

(ديفيد) يهز رأسه بالرفض:

"كلا... لن أسمح بذلك"

يصيح المقنع وهو يتقدم نحوه:

"أيها الملعون..."

يضرب المقنع رأس (ديفيد) بمقبض المسدس، ثم يمد المقنع يديه ليخطف الخاتم منه لكن يد (ديفيد) مغلقة على الخاتم بشدة، يحاول المقنع أخذه منه بعنف، ولكنه يغلق يديه الاثنتين على الخاتم، فيضرب المقنع يدي (ديفيد) بمقبض المسدس، ولكنه يمسك بفوهة المسدس قبل أن يضربه بالمقبض ويحدث شد وجذب بينهما حتى تنطلق رصاصة عن طريق الخطأ، تصيب (ديفيد) ب صدره ليسقط على الأرض، فيفزع المقنع ويهرب بسرعة من الباب الخلفي...

تدخل (غضب) بسرعة المحطة في فزع من صوت إطلاق النار الذي سمعته للتو، وتشاهد (ديفيد) ببحر من دمائه ويده على صدره تقبض بشدة على الخاتم، فتركض نحوه وتمسك به وهي لا تعلم ماذا تفعل، فهي لا تصدق ما يحدث.

"هل تعلمين... أأ... أني... أأأحبك بشدة؟" يقولها (ديفيد) وهو يعاني

ويبتسم بصعوبة، فالدماء الآن تخرج بكثرة من فمه.

"أجل... لكن هذا ليس وقت الكلام" وهي تبكي

تنظر (غضب) للكاشير وتصيح:

- "ليطلب أحد الإسعاف"

كان الكاشير بالفعل يتصل بالإسعاف.

(ديفيد):

- "لا بأس... لا بأس.... يبدو أن... القدر لديه رؤية أخرى"

تبكي (غضب) غير مصدقة ما يحدث وتقول بسرعة كما لو كان الوقت

ليس في صالحها:

- "لا تقلق (ديفيد)، سنقف في وجه القدر، مثلما وقفنا أمامه من قبل،

سيمر ذلك الأمر والأحوال سوف..."

تتوقف عن الكلام، فهي قد شاهدته للتويخرج أنفاسه الأخيرة...

تلامس (غضب) وجهه بيدها وتهز وجهه وهي تقول:

- "(ديفيد)... (ديفيد)..."

تأمل بأن يجيب عليها ولكن لا فائدة، فقد رحل (ديفيد) عن عالمنا... تبكي

(غضب) بشدة وتنزل بيدها لتمسك بيده التي كانت على صدره وتلاحظ أنه يمسك

بشيء ما بشدة، تفتح قبضة يده لتجد بها الخاتم ملطخ بالدماء، فتمسكه ثم تنظر

لعينه الخالية من الحياة وتقول:

- "لا تفعل بي ذلك الآن... ليس بعد أن وجدتي... لا تتركني" ثم تلامس

جبهته بجبهتها وهي تبكي وتأن بأنين مؤلم...

تأتي سيارة الإسعاف، ويحمل أحد المسعفين (غضب) بعيداً عن جثمانه،

وأخر يحاول تنشيط القلب بالصدمات الكهربائية لكن دون فائدة و(غضب) تنظر

باكية مصدومة واضحة يديها على وجهها، وتستند على الحائط متمنية أن يتغير

القدر لكن المسعف ينظر إليها ويقول:

تنزل بنظرها ليديها وتجد دماء (ديفيد) عليها، تنظر للفرسان، فتجده هو الأخر ملطخ بالدماء، فترفع نظرها لعقد اللؤلؤ وتجد عليه هو أيضاً دماء، تمسك العقد بيدها وتضغط عليه بشدة ثم تخرج هاتفها وترسل رسالة طارئة ل(موت) التي كان نصها:

"أنا أحتاج لمقابلتك الآن... الأمر حياة أو موت، الساحة المهجورة بجوار الحديقة الدولية"

ترحل (غضب) عن مسرح الجريمة وهي تغطي جسدها ودماء (ديفيد) بالبطانية، ذاهبة للساحة المهجورة لتنتظر مجيء (موت)...
* * *

يهتز هاتف (موت) الصامت ويقرأ رسالتها، فينهض ويقرر الذهاب، ف(غضب) لم تحاول من قبل الاتصال به وهو يعلم طبعها، فهي لن تتصل به إلا لو كانت حالة طارئة للغاية. يرحل (موت) ليقابلها دون أن تشعر (نورين) النائمة بجواره بتسلله... لكن بعد رحيله بفترة تستيقظ (نورين) من نومها، وتلفتت بجوارها ولا تجده، ويصيبها القلق، فالساعة كانت الثالثة فجراً، تبحث عنه في الغرفة ولكنها لا تجده، فتنزل إلى مكتب الاستقبال الذي أخبرها بخروجه من الفندق منذ ساعة تقريباً، فتقرر انتظاره بهو الفندق إلى أن يأتي ويطمئن قلبها...
* * *

يعود (كراهية) إلى محطة البيزن لكن لا يجد (غضب) بأي مكان، فيشعر بالقلق عليها بشدة، لأنها في حالة سيئة ولا أحد يعلم بما قد تفعله، لذلك أتصل ب(معاناة) وطلب منه مساعدته في إيجادها. شعر (معاناة) بسعادة، فهو يعتقد إنها فرصة لتسوية أمورهما، لهذا فتح نظام التشفير وتفحص هاتفها ووجد رسالتها

ل(موت)، لكن (كراهية) تظهر عليه علامات الفزع عندما أخبره (معاناة) برسالتها
ل(موت). وأغلق (كراهية) الهاتف دون قول أي شيء ويركض مسرعاً نحو الساحة
المهجورة...

يصل (موت) للساحة وقت شروق الشمس، ويجدها تقف بمنتصف
الساحة بانتظاره وسط الثلوج، والكحل الذي حول عينها قد ساح من كثرة البكاء،
وشعرها ملطخ ببعض قطرات الدماء، تمسك ببطانية البوليس التي تخفي بها
الفتان وجسدها.

فيقول (موت) بقلق وهو يتقدم نحوها بسرعة:

- "ما الأمر (جيسي)، أنت بخير؟!"

- "أنت السبب بموسيقاك الملعونة... جعلتني أشعر بتلك المشاعر... أنت من
جعلتني أستسلم لها... أنت السبب في شعوري بألم لا أقوي على تحمله... أنت الملام"
ترفع (غضب) يديها وتسقط البطانية من على جسدها ويشاهد (موت)
الفتان الملطخ بالدماء ويراها تمسك في يديها اليميني سيفان وحول جسدها سوط
ملفوف. ترفع يدها اليسرى لتمزق عقد اللؤلؤ الذي أعطاه لها (موت) وتلقي بأحد
السيفان إليه وهي تقول:

- "قاتلني أيها اللعين"

تندفع نحوه شاهرة سيفها لكن (موت) يرفض أخذ السيف وتتوالى
ضرباتهما بالسيف نحوه وهو يتفادها يميناً ويساراً
(موت):

- "(جيسي)... أرجوك توقفي... (جيسي)"

لكنها لا تبالي بأي كلام يقوله وتستمر بتوجه الضربات إليه ويستمر بتفاديها:

"أرجوك... فأنا لا أريد فقدان أخ آخر"

تقف (غضب) منفعلة من رفضه للقتال وتقول:

"إذا لم تقاتلني الآن؛ فسأقتل تلك العاهرة التي تحبها"

هنا يشعر (موت) بالغضب والخوف على حياة (نورين)، وعندما وجهت (غضب) ضربتها التالية، أمسك السيف بكفي يديه الاثنتين وضربها بساقه، فسقطت على الأرض تاركة السيف بيده الذي يمسكه ويضربها به بسرعة لكنها تفادت الضربة بفرق طفيف بتراجعها للخلف بسرعة، فقطع السيف فقط جزء من الفستان وظهر وشم الثعبان.

يتقدم (موت) نحو (غضب) الساقطة على الأرض... يرفع السيف وكاد أن يضرب عنقها لكنه سمع صوت (كراهية) يصيح
"-توقف، توققققف...."

يستدير (موت) ويشاهد (كراهية) الذي يركض نحوه من بعيد، قد توقف ليأخذ أنفاسه بصعوبة، فقد كان يركض بالحديقة بحثًا عنهما ليلحقهما قبل أن تتطور الأمور للأسوأ

(كراهية):

"أرجوك... توقف"

نظرته أوقفت (موت) عن القتال وجعلته يعود لوعيه، فأنزل السيف وأستدير مبتعدًا عنها حاملًا السيف بيده اليمنى.

تهض (غضب) بسرعة، وتخلع السوط من حول جسدها وتضرب بشدة ظهر (موت) ضربات متتالية ومتعددة وهي تصيح:

- "قاتلي... قاتلي... قاتلي"

لكنه يستمر بالسير بالرغم أن ضربات السوط مزقت ملابسه وسببت له جروح لكنه لا يبالي، مستمر بالسير مبتعدًا و(غضب) تسير خلفه وهي تضربه بالسوط بلا توقف وبغضب شديد...

فجأة تضرب السوط على يده اليمنى التي تحمل السيف ويشبك مع يده التي تجذبها بشدة للخلف وعندما استدار بسبب الجذب، رآها قادمة نحوه مسرعة وبالتحديد نحو السيف المشهور، يحاول إنزال السيف بسرعة لكنه لا يلحق ويخترق السيف رأس وشم الثعبان ويخرج طرف السيف من ظهرها.

تراجع (غضب) للخلف لتخرج السيف الذي مازال (موت) يمسك به مصدومًا مما حدث، فينفجر بركان من الدماء من فم وشم الثعبان وتبدء تترنح في الحركة يمينًا ويسارًا.

يركض (كراهية) إليها مسرعًا وتسقط من جيبه دون أن يشعر الوردة الحمراء ومربوط بها البطاقة، ويدرك (كراهية) (غضب) قبل أن تقع ويمسكها لتسقط عليه بجسدها ويهمس (كراهية) والدموع تسقط من عينيه:

- "لا ترحلي... أرجوك لا ترحلي... أنا لست مستعد لرحيلك"

تخرج (غضب) أنفاس متقطعة مصاحبة بسيول من الدماء، و(كراهية) ينظر في عينها واضعًا يده على الجرح محاولًا وقف النزيف الكثيف الذي جعل لون الثلج من حولهما أحمر، ولكن لا يقدر على إيقاف ذلك السيل وترتعش يديه بشدة من الخوف والقلق. ويقول:

- "ستكون على ما يرام.... على ما يرام،"

لكن (غضب) تخرج من فمها الكثير من الدماء، و(كراهية) لا يعلم ما يفعل، فيقول متوسلاً:

"يا إلهي، أرجوك ساعدني... يا إلهي أتوسل إليك"
تخرج (غضب) النفس الأخير وتظهر ملامح الصدمة على وجهه، وتتحول
نظراته إلى رعب وخوف ثم يقول بسرعة وهو يحرك جسدها:
"-لا...لا...لا... لا"

يحضنها بشدة وهو يبكي بحرقة ويصرخ صراخات متقطعة من الألم:
"-لماذا... لماذا... لماذا يجب أن ترحلي قبلي؟!"

يقف (موت) في ذلك اليوم المشؤم، متأملاً عيني (كراهية) والنظرة الخالية
من الحياة. فقد كانت مثل نظرات الجثث التي قتلهم (موت)، علم (موت) أنه في
هذا اليوم، لم تموت (غضب) فقط بل مات معها (كراهية) وأصبح الآن جسداً يسير
بلا روح...

بينما يسير (موت) مبتعداً عن المكان، يلاحظ الوردية الحمراء المربوط بها
البطاقة التي سقطت من جيب (كراهية)، ويرى البطاقة التي تحمل جملة:
"*(جيسي)، إنني أريد ما يجعلك سعيدة... ليس ما يجعلني سعيداً*"

يرحل (موت) مبتعداً وسط الثلوج التي تتساقط من السماء، تاركاً
(كراهية) مع حزنه وألمه الذي كان هو سبباً به...

يعود إلى الفندق، ويتجه للبيانو الخالي الذي يتواجد بهو الفندق ويجلس
عليه، لا يلاحظ وجود (نورين) في الهو، التي خلدت للنوم بمكانها. يعزف (موت)
معبراً عما يشعر به داخله من ألم وتعاسة، تلك الألحان الحزينة والمؤلمة التي تدفع
أعين المتواجدين لدموع بسيطة، والالتفات لذلك العازف الحزين...

تستيقظ (نورين) على أُلحانه الحزينة وتتجه إليه. كان يخفي ملامح الحزن
والألم، برسم وجه قاسي وصارم، محاولاً الاندماج بالعزف... يلاحظ (موت) وجودها

وتقدمها إليه، فيتوقف عن العزف ويلتفت لها في صمت دون قول أي شيء...

(نورين):

"ماذا بك؟!"

(موت) بصوت متألم وضعيف:

"أتعلمين عندما ندخل الجحيم أنا وأخواتي... سنكون على الأقل مدركين

لماذا... لكننا لن نعرف أبدًا سبب مجيئنا إلى هذا العالم"

تتساقط بعض الدموع على وجه (موت) الصارم ويعود للعزف دون قول

المزيد وتتركه (نورين)، فهي تعلم أنه يحمل قدر كبير من الألم الآن ويريد أن يعبر

ويخفف عنه بالطريقة التي يعرفها وهي العزف...

* * *

السيمفونية الخامسة

سيمفونية الواقع

يجلس (كراهية) وأمامه (معاناة) بأعلى تل بالمقابر والصمت يملأ الأجواء،
ولأول مرة (كراهية) لا يتأمل القمر، فهما يجلسان والقمر على جانبيهما وكل منهما
ينظر للأخر، لا يعطيان أي اهتمام للقمر.

(معاناة):

"-ماذا الآن؟"

"-لا شيء"

"-ألا تفكر في الانتقام لها؟"

"-أنتقم لها ممن؟! فلا يوجد أحد أنتقم منه لذلك وحتى إن وجد... أتظن

أن الانتقام سيجعلني سعيداً!!!... كلا، فإني كنت تجعلني سعيداً رحلت دون عودة،
ولا يوجد أي شيء بإمكانه تغيير ذلك... فالألم سيحيي معي مهما فعلت ومهما
أخترت"

"-إذا لم لا تهرب وتبدأ حياة جديدة مثل (أنجيل)؟"

"-أهرب لأين (بيتر)!!... فأني مكان سأذهب إليه سيصاحبني ألبي وحزني...

إنهما الآن في قلبي... مسيطران على جسدي وروحي"

يصمت (معاناة) ولا يعلم ما يقول ولذلك يغير الموضوع:

"-لدي سؤال لك، لماذا تتحدث مع القمر دائماً؟!"

"-لأنه كان الشاهد الوحيد على أسعد لحظات حياتي"

ثم يصمت ولا يريد التحدث أكثر في ذلك الموضوع ولكن في داخله يتذكر

تلك اللحظة، التي يحيا داخلها دائماً، ويعود إليها كلما شعر بالألم والوحدة، فهي اللحظة التي تمنى أن يقف بها الزمن، لحظة إمساك (غضب) يديه أثناء ليلة الشهب، تلك اللحظة التي جعلته سعيداً بوجوده في ذلك العالم لأول مرة ولآخر مرة، اللحظة الوحيدة التي كان مستعداً لتكرار حياته مرة أخرى بكل ما تحمله من حزن وعذاب من أجلها، اللحظة التي أسرت روحه وحررتة من عذاب العالم واضطهاده.

يفق (كراهية) من ذكريات اللحظة ويقول:

- "أتعلم لقد تعلمت شيئاً بهذه الحياة وهو أن الحب والحياة قوتان لا يكتمل كل منهما الا بالآخر، فلا حياة بدون حب، ولا حب بدون حياة؛ فإذا ظهر أحدهما يظهر الآخر وإذا اختفي يختفي معه الآخر... الحب والحياة وجهان لعملة واحدة؛ بل قلب واحد..."

ثم ينهض من مكانه ويكمل كلامه:

- "لقد حان وقت رحيلي عن هذا العالم المؤلم"

يرحل (كراهية) من المقبرة تارك (معاناة) جالساً بمفرده، لم يلتقي به مرة أخرى، فقد رحل دون عودة من منزله بالمقابر، فلا يوجد أي مكان بالعالم يمنحه الراحة، وأصبح لا يبقى بمكان واحد مرتين، دائم التنقل والتجوال كل يوم، تائباً يبحث عن مكانه بالعالم...

* * *

يقرر (موت) بأن يرحل ويختفي هو و(نورين) من هذه الدولة تماماً، فربما في الابتعاد والهروب الحل لألمه، توافقه (نورين) على ذلك، فهي لا يهمها أين تكون طالما هما معاً، وقبل أن يغادروا المدينة ويتجهوا لدولة أخرى، يرسل (موت) رسالة

ل(كراهية) ليتحدث معه مرة أخيرة قبل رحيله، فهو يعلم أن ألمه فوق أي احتمال، ولا يستطيع تخيل ما يشعر به من ألم لفقدان من يحب، ولا يريد أن يكون هناك أي ضغينة بينهما، فهو لا يريد فقدان أخ آخر بأي شكل، فيكفي ما حدث حتى الآن...

كانت الرسالة تنص بأن المقابلة ستكون بمطعم على الطريق السريع

لم يكن بعلمهم بأن (الأم)، أمرت بعد موت (غضب) بوضع كل من (كراهية)، و(معاناة) تحت المراقبة الدائمة، فهي تأكدت تمامًا بعد مقتلها أن (الأبناء السبعة) لديهم قناة اتصال سرية بينهم، فكيف ل(غضب) احتكت ب(موت)...

* * *

يصل (موت) بالسيارة لساحة انتظار المطعم، كان معه (نورين) وخرجا من السيارة ودخلا المطعم، يلاحظ (موت) (كراهية) جالسًا منتظره على مائدة، فيميل ل(نورين) ويهمس لها:

"هل تمانعين بأن تنتظري على البار إلى أن أنتهي من محادثتي معه؟"

تحترم رغبته وتقول:

"لا بأس"

تذهب لتجلس على البار ويتجه هو نحو المائدة.

(موت) وهو يجلس:

"كيف حالك (كوازي)؟"

(كراهية) بسخرية بسيطة:

"لقد مررت بأوقات أفضل"

"إلى أين أخذتها؟"

"إلى المكان الذي تنتمي إليه، جوار من أحبته وأحبها"
يهز (موت) رأسه موافقًا على ما فعله ويكمل (كراهية) كلامه:
"-إنها لم تكن من نصيبي، بل كانت من نصيبه هو، ولذلك هي تستحق
بأن تكون معه... بجواره للأبد... ذلك ما كانت تريده"
"- (كوازي)، أنا أسف... عما..."
"- لا تقول أسف، إنه ليس خطئك... أنه فقط..."
يصمت (كراهية) لفترة ثم يقول متألمًا:
"-كم أودّ لوم أحد جراء ذلك، ولكنه هروب من الحقيقة التي أيقنها...
الحقيقة بأنه لا يوجد أحدًا نلومه على حياتنا سوى أنفسنا... فنحن من نفعل ذلك
بأنفسنا... لقد عشت طوال حياتي ألوم الآخرين عما حدث لي دون فعل أي شيء...
والآن انظر إلى... أنا لا أستطيع تغيير الماضي... ولكن يمكنني التحكم بالمستقبل..."
صوته كان في غاية الألم والحزن، ولم تكن هناك أي دموع تسقط من
عينيه...

(موت):

"ستكون الأمور على ما يرام"
"-أعلم أن هذه الكذبة أقولها أنا أيضًا لنفسى... الأمور ستكون على ما
يرام... أنا لا أستطيع الاستمرار في التظاهر بأن كل شيء على ما يرام... فابتسامتها
ووجودها بالعالم كان يمدني بالقوة أما الآن، بعد أن رحلت إلى الأبد، لا أجد شيء
يدفعني للاستمرار... لقد فقدت الشيء الذي يعطيني القوة"
"-لا تقل ذلك، فأنت أقوى مما تظن"
"-لا تجاملني بكلام أعلم بأنه كذب، فلطالما كنت ضعيف ولهذا كانوا

يعاقبوني دائماً، فمشاعري هي ما تتحكم بي، وهي سبب تعاستي"
- "بالعكس، مشاعرك هي مصدر قوتك، هي ما تجعلك إنسان، أكثر من أي
أحد منا"

- "إنسان!... لا يوجد إنسان هنا..."
يتوقف (كراهية) عن الكلام لوهلة، وينظر لـ(نورين) الجالسة على البار
التي تشاهد التلفزيون، ويقول:
- "نحن لا نخاف الموت... إلا عندما نعرف الحب... وعندما نفقد الحب...
نفقد معني الحياة"

ثم ينظر لـ(موت) ويكمل كلامه:
- "اذهب في طريقك ودعني مع الأمي، فأنا أعلم كيفية التعايش معها"
وينهض (كراهية).
- "كوازي) أنا..."

- "لا تقلق بشأنني يا أخي... وشكراً على الموسيقى التي جعلتني أحلم ذلك
الحلم الجميل"

يحضن (كراهية) (موت) ثم يتركه ويذهب إلى الحمام.
يتجه (موت) لـ(نورين) التي تقول:
- "كيف كانت الأمور؟"

- "كلما أزداد حبه ازدادت معاناته... ذلك ما كان يقوله لي عندما كنا
صغار... وهذا ما أراه الآن"
- "يا له من مسكين"
- "أنه يريدني أن أتركه وشأنه..."

- "وهل ستتركه؟!"

- "لا أعلم... ف(كوازي) دائماً ما كان يفضل العزلة والوحدة ومهما فعلت

وحاولت... لا أستطيع الوصول إليه... فهو فقط من يستطيع إيجاد طريقه"

يدفع (موت) الحساب للمضيضة ويقول ل(نورين):

- "اذهي للسيارة وسألحق بك"

يذهب (موت) إلى الحمام، ويلاحظ بأن النافذة مفتوحة، ولا يوجد أحداً

بالحمام، فيعتقد أنه أراد الرحيل، فيذهب (موت) إلى (نورين) ليرحلوا، ولكن الأمر

لم يكن مثل ما يعتقده، ف(كراهية) لمح أحد رجال (جنة عدن) الذين كانوا يتبعوه

دون علمه من نافذة الحمام، فخرج منها وحاول الإمساك به، لكن الرجل لمح

وهرب، فطارده لفترة إلى أن أمسك به.

يحاول (كراهية) معرفة لما هو هنا، لكنه لا يتكلم، فيبحث بملابس الرجل

عن أي دليل يساعده في معرفة ما يريد، فيجد هاتف الرجل المحمول، فيفتح

سجل الصادر ويجد مجموعة رسائل كثيرة موجهة ل(أم)، وكانت الرسالة الأخيرة

تقول:

"تم التعامل مع (الموت)"

يُجد أيضاً بجيبه بعض الأسلاك وأدوات تركيب، فيعلم أنه بالتأكيد قد

تم تركيب قنبلة في سيارة (موت) أثناء حديثهما بالمطعم، فيركض بسرعة

لسيارتهما...

يشاهد (كراهية) من على بعد (موت) في السيارة على وشك إدارة المحرك

من خلال الضغط على الزر. فيصبح (كراهية):

- "(أنجيل) توقف، لا تفعلها"

يسمعها (موت)، ويتوقف تمامًا ويثبت على الوضع الذي هو عليه وهو الضغط على الزر جزئيًا وليس بأكمله مما سبب تنشيط القنبلة وجعلها في وضع الاستعداد، فإذا ترك الزر فستنفجر وإذا ضغط عليه ستنفجر أيضًا...

يأتي إليه (كراهية):

"- لا تقوم بأي حركة؛ فالسيارة مفخخة"

تشعر (نورين) بالرعب والقلق و(موت) يستمر بالهدوء والثبات. يفحص (كراهية) السيارة ويحدد مكان القنبلة، يحاول التعامل معها بحرص، لكنه بعد فترة يهض وينظر له بخوف ويأس.

(كراهية):

"- إنها أسفل مقعد السائق، وقد تم تنشيطها بسبب الزر، فإذا تركت أو ضغطت الزر فستنفجر... و...!"

ثم يصمت، فهو لا يريد إكمال باقي كلامه ويبدو عليه القلق والتوتر

الشديد

(موت):

"- تكلم ما الأمر؟!"

"- القنبلة بها مؤقت زمني، وقد تم تفعيله عندما ضغط الزر"

تضع (نورين) يديها على وجهها في خوف وقلق وتقول:

"- يا إلهي"

(موت):

"- لا بأس (نورين)، سأتولى الأمر، فلا تقلقي... (كوازي)، ما الوقت الباقي؟"

"- ٢٠ دقيقة... لكن (أنجيل)، أنا لا يمكنني إبطالها"

يزداد القلق والخوف داخلهم و(موت) يحاول إخفاء ذلك حتى لا يتوتر الجميع أكثر، فهو يعلم أن (كراهية) هو أفضل (الأبناء السبعة) في التعامل مع المتفجرات، وإذا كان هو لا يعرف كيفية إيقافها، فالأمر مستحيل...
(موت):

"- لا تقلقوا ستكون الأمور على ما يرام... (كوزي)، أريد منك أخذ (نورين)

بعيداً عن السيارة وأنا سأتعامل م..."

يقطعه (كراهية):

"-كلا... دعني أنا أتعامل مع الأمر"

ثم يفتح الباب لتتزل (نورين) ويركب هو بجواره ويكمل الكلام:

"-دعني أخذ مكانك وأضع يدي مكان الزر"

(موت) رافضاً المبدأ تماماً:

"-كلا (كوزي)؛ لن أسمح لك بفعل ذلك"

"(أنجيل) أسمعني، أنا عشت حياتي أحلم حلمًا... متمنياً تحقيقه بيوم

من الأيام ولكن مع مضي الوقت... أصبح جزء من هذا الحلم يموت تلو الآخر... حتى

جاء اليوم الذي ولد به اليقين... لم ولن يكون لذلك الحلم أي وجود بحياتي... فقد

مات الحلم بالنسبة لي... ولكنه مازال موجوداً معك... فلا تسمح له بأن يموت...

أرجوك دعني أساعدك..."

"-أنا لا أستطيع فعل ذلك"

"-إذا دعني أخذ مكانك... لتفحص أنت القبلة، فقد تعرف كيف تسيطر

عليها"

يصمت (موت) لفترة ويفكر بكلماته التي يجدها بها شيء من المنطق وإنما

محاولة قد تنجح

(موت):

- "حسناً... استعد لتأخذ مكاني"

يهز (كراهية) رأسه بالموافقة، ويضع إصبعه على الزر بجوار إصبع (موت)

الذي يقول:

- "مستعد؟"

- "أجل... أرفع يدك"

يرفع (موت) يده ويأخذ (كراهية) مكانه ثم يخرج (موت) من السيارة وقبل

أن ينحني ليفحص القنبلة يقول (كراهية):

- "ماذا تفعل؟!"

فينظر إليه (موت) باستغراب

(كراهية):

- "لا يمكنك فعل ذلك الآن... فلتأمن أولاً المنطقة وأخْلِها من الناس حتى لا

يتأذى أحد"

- "لا يهم ذلك الآن... دعني..."

- "إذا لم يكن من أجلهم... فأفعله من أجل (نورين)، خذها لمكان آمن أولاً

ثم عد لي"

يصمت (موت) لفترة وهو ينظر له متردداً...

(كراهية) بسرعة:

- "لا يوجد وقت للتفكير، فقط أفعَل ما أقوله"

يدرك (موت) أن كلام (كراهية) هو الأصح، فيقرر عدم إضاعة المزيد من

الوقت ويقول بكل ثقة وحزم:

- "لا تقلق، فسأعود من أجلك، ولن أترك مهما حدث"

- "أني على ثقة بذلك" وهو يبتسم بهدوء

يأخذ (موت) (نورين) ويذهبوا للمطعم، ويطلب من الجميع الذهاب خلف

المطعم ليحتموا من مجال الانفجار، إذا لم ينجح بأبطال القنبلة.

تمسك (نورين) بيد (موت) قبل ذهابه وتقول:

- "كن حريصًا"

- "لا تقلقي، سأكون على ما يرام"

يتأكد (موت) بأن (نورين) والأخرين في أمان من مدى الانفجار ثم يركض

مسرعًا نحو (كراهية) ليساعده لكنه يلاحظ نظرات (كراهية) ويعلم ما هي، فهي

نظرات وداع، ف(كراهية) يعلم داخله، إنه لا يوجد أمل في إبطال هذه القنبلة، فقد

كان كل ما قاله له مجرد حيلة استخدم بها المنطق لأبعاده عن مدى الانفجار،

وإنقاذه هو (نورين)، ولأنه يعرف مدى إصراره، وكيف أنه لن يتركه يموت بمفرده،

قرر (كراهية) تفجير القنبلة بنفسه.

علم (موت) بما يفكر به (كراهية) من خلال نظراته، لهذا يصيح بأعلى

صوته وهو يركض بسرعة نحوه بكل قوته:

- "لا تفعلها، (كوز...)"

لكن القنبلة تنفجر وتدفق قوة الانفجار (موت) للخلف بعنف، ليسقط

على الأرض مصابًا...

ينهض (موت) ويسمع صفير شديد بأذانه، يلاحظ بأن رؤيته حمراء بعض

الشيء، فهناك جرح بسيط في رأسه يسقط منه دماء على عينيه. يمسح هذه الدماء

ويتقدم إلى الأمام ببطيء، فقدمه حدث لها التواء بسبب سقوطه العنيف على الأرض.

يستمر في التقدم بصعوبة، متحدياً ألمه حتى شاهد جثمان (كراهية) على المقعد، خالي من الروح، تأكله النيران، فيركع على الأرض، فاقدًا العزيمة بجسده ويبيكي ويقول:

"إنه ليس عدلاً... يا إلهي إنه ليس عدلاً"

تأتي (نورين) مسرعة إليه وتجلس بجواره وتضع يديها على كتفه، فيلتفت لها ثم ينظر لجسد (كراهية) الذي تلممه النيران:

"إنه لا يستحق ذلك... بأن يتحقق شعوره هكذا... رحيله عن عالم رفضه منذ البداية وجعله يشعر بأنه دخيل... لا يوجد له حتى مكان ليدفن به أو شخص يدفن بجواره... وحيداً ومنبوذاً من العالم... ها هو يتحول الآن لرماد يحمله الهواء... بحثاً عن مكان يحتويه، بحثاً عن من يحبه..." ثم ينهمر بالبكاء، وتحتضنه (نورين)...

ينهض (موت) عندما يسمع سرينة سيارات الشرطة، ويذهب ليسرق سيارة حتى يكمل بها رحلتها... استمر بالقيادة طويلاً حتى غابت الشمس، تشاء الأقدار بأن يمر في طريقه بالصدفة على المسرح المفتوح الذي كان يتجمع به هو وأخواته.

كان لا يدرك بأن ذلك الطريق سيقوده للمسرح المفتوح، فعقله كان مشغولاً بشدة بما حدث وغير مُلتفت بما حوله إلى أن شاهد المسرح المفتوح الذي أعاده لوعيه، فقرر قضاء الليلة به حتى يستعيد عافيته ولبيدلوا أيضاً السيارة حتى لا تتبعهم الشرطة من خلالها...

* * *

يدخل (موت) المسرح المفتوح ويشاهد ويتأمل القمر، صديق (كراهية)،

عاليًا في السماء ثم يتجه للبيانو ليعزف عليه حتى يخفف مما يشعر بداخله، وعندما بدأ بالعزف تدفقت دموعه. أستمربالعزف طوال الليل والدموع لا تقف مع العزف بل إنها تزداد بغزارة... تقف (نورين) صامتة، فهي تعلم بأنه لا يوجد شيء تستطيع قوله أو فعله لتخفف من حزنه، فتركته للعزف وتبحث عن علبة الإسعافات لمعالجة جروحه...

* * *

السيمفونية السادسة سيمفونية الدماء والدموع

يعود (ألم) من مهمته بعد أن تمت بنجاح، وتم أخباره بما حدث من تطورات، وكيف (موت) خان المنظمة وقتل أخواته، الحقيقة أنه لم يكن مهتمًا كثيرًا بما فعله أخيه (موت) مع المنظمة أو أخواته، بل يرى المشكلة الأكبر بأنه تخلى عنه وهرب دون قول أي شيء له، لذلك تملكه الغضب والإحساس بالخيانة، فكيف بعد كل ما عانوه معًا تكون هذه النهاية، الرحيل دون قول شيء والتخلي عن رابطة الإخوة بينهما...

* * *

تطلب (الأم) حضور (ألم) أمامها ليتم تكليفه رسميًا... يقف أمامها بصمت دون قول أي شيء، منتظرًا الأوامر منها...
(الأم):

"أريد منك تحضير فريق لتعتني بأمر (موت)، وإذا رفض العودة وإعادة التأهل؛ أنت تعلم ما ستفعله... أتفهمني؟"

"لا تقلقي فسأفعل اللازم، مهما كلف الأمر" بصوت خالي من المشاعر.
قبل أن يرحل ويخرج من الغرفة تقول له بحزم وشدة:
"أريد منك أخذ (ظلام) معك... هذا أمر وليس اقتراح"
يلتفت لها ويشاهدها تضع طوق وريموت على الطاولة وتقول:

"هذا نظام أمان لضمان السيطرة على (ظلام)، فإذا فكر الخروج عن النظام... فقط استخدمه واضغط على ذلك الزر وسينفجر" تقول الجزء الأخير وهي

ممسكة بالريموت، وتشير إلى الزر بيديها الأخرى
لكنه يقف ثابتًا بمكانه لا يبدو عليه أي ملامح قبول أو رفض، فطالما كان
ناجحًا بإخفاء ما يشعر به، فتكسر (الأم) ذلك الصمت بدفع الطوق والريموت نحوه
قائلة:

"هيا... ماذا تنتظر؟!"

يتقدم نحو الطاولة ويأخذ الطوق والريموت ويمسك به، ينظر لعينيها
بشدة وحزم ويكرر:

"سأفعل المطلوب، مهما كلف الأمر"

تهز (الأم) رأسها بالموافقة وتقول والسعادة تملأها:

"جيد"

يخرج (ألم) من مكتبها ويذهب لـ(جنة عدن)، فهناك توجد زنزانة (ظلام)
بالقبو، ذلك المكان الذي لم تخطاه قدم (ألم) منذ رحيلهم عنه، المكان الذي تغير
كثيرًا، فقد أصبح مهجورًا وعلامات الإهمال على المكان واضحة، وتحول لمكان نائي
مظلم وموحش ببطن الليل الداكن.

* * *

يتقدموا (ألم) والحراس نحو الزنزانة المظلمة، التي يقتحمها قبلهم، أضواء
الكشافات التي يحملوهم معهم. يفتح أحد الحراس باب الزنزانة ويلاحظ (ظلام) ظل
ضخم يخرج من وسط أضواء الكشافات ويتقدم نحوه. يتسم (ظلام) كلما تقدم
ذلك الشخص، فهو يعلم أنها ليست زيارة عادية، بل هي شيء كبير وغير عادي، فقد
مر زمن طويل منذ دخول أي أحد الزنزانة. وتزداد ابتسامته عندما استطاع تمييز
ملامح (ألم).

(ظلام) الجالس بالزنزانة مقيد بالسلاسل:

- "زيارة أم عمل؟" بكل سعادة وفرحة

يتجه إليه (ألم) في صمت ويبدأ بفك السلاسل واحدة تلو الأخرى،

و(ظلام) يساعده بدفع يديه نحوه ويلاحظ عدم رضاه عما يفعله

(ظلام):

- "لابد من سماع كلام (الأم) مهما حدث... فهي (الأم)"

ويبتسم بسعادة أكبر، فهو يعلم أمر كهذا لابد بأن يأتي منها، فهي صاحبة

السلطة الأكبر عليهم جميعاً وهي الوحيدة التي بإمكانها جعل (ألم) يأتي إليه ليحرره.

ينتهي من فك السلاسل وينهض (ظلام) ويبدأ بتحريك وتنشيط جسده،

فقد مضي زمناً والسلاسل تقيده، يتحرك متمتعاً وسعيداً بحريته ويبدأ بتحريك

رأسه للخلف ثم يغلق عينيه ويأخذ نفساً عميقاً، فجأة يضع (ألم) الطوق حول

عنقه ويغلقه بسرعة

(ظلام):

- "ماذا... ماذا حدث؟!"

يتحسس الطوق بيده ويجده مغلق بأحكام حول عنقه رافضاً ما يحدث

ويبدو عليه عدم الرضاء...

(ألم):

- "هدية من (الأم)... خالف أوامري وسوف..."

يخرج (ألم) من جيبه الريموت ثم يفتح الغطاء من على الزر ويلامس الزر

بإصبعه ثم يكمل كلامه:

- "فهمت؟"

يهز (ظلام) رأسه متضايقًا من الموقف ويقول وهو يتحسس الطوق:
"- لا تتناسب مع ذوقي... ولكن لا بد من إطاعة (الأم) فهي المحكمة"
ويتسم بشدة حتى يغيظ (ألم).

"- خطأ، فأنا المتحكم هنا الآن... ليس (الأم)... اعصني وسينتهي أمرك دون
تفكير"

"-أوه... أنت على قدر هذه المسؤولية الكبيرة؟!" ثم يضحك ضحكات
مجنونة وعالية بعض الشيء
لكن (ألم) يستدير دون رد ويسير خارجًا من الزنزانة، فيتبعه (ظلام) ويسير
خلفه قائلاً:

"- من الهدف أيها الزعيم؟"

يقف (ألم) ويستدير نحوه لينظر بعينه ليؤكد له مدى جديته بالمهمة وأنه
سيفعل المستحيل لتحقيقها ويقول:
"- (موت)"

"- ها ها ها ها "

يعلو (ظلام) بالضحك الهستيري، وملامح السعادة الشديدة ترسم على
وجهه ثم يقول وما زالت الضحكات مستمرة منه:

"-ال(موت) يواجه ال(ألم) وال(ظلام)..."

ثم يدخل في نوبة من الضحك التي لا تتوقف وتزداد علوًا. لا يبالي (ألم)
بضحكاته ويتجاهلها تمامًا، فسعادة (ظلام) لا توصف، فهو لم يتخيل بأن يأتي يومًا
ويصبح (موت) الهدف، وأن يكون المنفذ للمهمة (ألم) الأخ الشقيق الذي طالما ما
دافع عنه وساعده، وليس ذلك فقط بل هو يضع يده بيد (ظلام) ليكون حليفًا له

بالمهمة...

يسير (ألم) خارجًا من القبو و(جنة عدن)، خلفه (ظلام) الذي مازال مستمر بالضحك بشدة، وصدى ضحكاته يدوي في (جنة عدن)...
يركبا مقطورة القيادة التي تحتوي على نسخة مصغرة من (أوليمبوس) ليبدأ عملية التتبع من خلالها.

تبدأ المقطورة بالتحرك بقوة ويتبعها أسطول من السيارات صانعة سحابة ضخمة من التراب، ينظر (ظلام) من مؤخرة المقصورة من خلال النافذة الخلفية، مبتسمًا متأملًا (جنة عدن) التي تبتلعها سحابة الأتربة وتختفي عن النظر تمامًا...
يتجه (ألم) للشخص الجالس على لوحة التحكم بداخل المقطورة ويعطيه الهاتف الشخصي الخاص به الذي كان يستخدم في التواصل بينهم بسرية ويقول:
"-تتبع هذه الإحداثيات"

"-أجل سيدي"

ف(ألم) استطاع اختراق نظام (خوف) و(معاناة) وتتبع كل من يحمل ذلك الهاتف ولم يكون ذلك وليد اللحظة بل أنه فعل ذلك لحظة استلامه الهاتف، فهو كان يريد معرفة دائمة بمكان (موت)، فطالما كان يخشى عليه من حدوث أي شيء له.

يظهر مكان الهدف على شاشة المقطورة الذي كان المسرح المفتوح، الأمر الذي يزيد من غضبه وإحساسه بالخيانة فيقول (ألم) لنفسه:

"-أخذتها لمنزلنا، أخذتها لمصدر سعادتنا..."

يأمر الجميع بالذهاب إلى نقطة الهدف...

* * *

يصل الجميع للمسرح المفتوح واستعدوا جميعًا بارتداء الدروع التي تحمل كاميرات تنقل بث مباشر ل(الأم) التي ترى وتسمع كل شيء يحدث من خلال الكاميرات وسماعات آذانهم وبإمكانها إعطاء الأوامر لشخص محدد دون أن يسمع الآخرين شيء.

ينزل (ألم) و(ظلام) وباقي الفريق من السيارات ويقفوا في صف أمام (ألم) الذي يقف خلفه (ظلام) متفرجًا.
(ألم):

"أريد من الجميع تأمين مداخل ومخارج المكان وإذا لمحتوا (موت) لا تشتبكوا معه... استعدوني فقط على الفور"
يبدأ (ألم) بالتقدم داخل المسرح المفتوح ويلاحظ بأن (ظلام) يتبعه، فيقول:

"إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟!"

"معك أيها الزعيم..." بسخرية

لكنه يلاحظ ملامح (ألم) الحاسمة التي يفهم معناها فيكمل ويقول:
"- لا تقول لي بأنني سأنتظر بالمقطورة... ويفوتني العرض الكبير..." يقولها بنوع من الحزن الساخر.

هنا تتدخل (الأم) وتتحدث فقط لسماعة أذن (ألم) قائلة:

"هذه ليست الأوامر... (ظلام) معك في كل خطوة"

فينظر (ألم) له:

"اتبعني ولا تنسى بأنني المتحكم"

يضحك (ظلام) في سعادة:

- "أوه... أنا أحب (ألم)" ثم يضحك بصوت عالي فهو استنتج بأنها هي من جعلته يغير رأيه.

يتقدمان داخل الممر المؤدي إلى المسرح المفتوح، يلاحظ (ظلام) بعض من صورهم المعلقة بالممر التي يتأملها بتمعن شديد، ويقول:

- "إذا هذا هو مكان حفلاتكم المهمة?... كيف لديكم قلب بأن تحتفلوا ولكم أخ محبوس في زنزانة، وحيداً يشعر بالبرد، ألسنت أنا من ضمن العائلة؟!"
يقولها بنوع من السخرية الشديدة

يرد (ألم) بحزم وهو يرفع الريموت بوجه (ظلام) دون أن يلتفت إليه:
- "اصمت"

- "حسنًا أيتها الزعيم... لا مكان الآن للمشاعر والعائلة... فالواجب فوق كل شيء"

يقول الجزء الأخير بنوع من السخرية البسيطة. يرفع (ألم) الغطاء عن الزر ويلامسه دون قول شيء
يرد (ظلام) بسرعة:
- "حسنًا... حسنًا سأصمت"

يتقدما باتجاه المسرح المفتوح ويقف (ألم) أسفل المنصة لينادي بأعلى صوت:

- "(موت)... (موت)..."

يسمع (موت) صوت (ألم) الذي يتعرف عليه، فيفرح وينهض من مكانه متجهًا نحو مصدر الصوت وتتبعه (نورين) متجاهلاً أنه يناديه لأول مرة بـ(موت)، ففرحة سماع صوت أخيه بوقت ألمه أنساه نفسه وحذره...

يخرج (موت) من كواليس المسرح وقبل أن ينزل من فوق المنصة، يرفع (ألم) مسدسه نحو أخيه الذي يقف مندهشًا مما يحدث وما يثير فزعهُ أكثر عندما رأي (ظلام) يظهر من خلف (ألم) مبتسمًا ويقول بسعادة، وإثارة كبيرة:
- "أوه الدراما المترقبة... الأخان يقفان أمام بعضهما، من سيقتل الآخر؟! من سينجو؟!، يا لها من إثارة" دون أي تمثيل مبالغ به فهذا بالفعل ما كان يشعر به.

يلتفت إليه (ألم) ممسكًا بيده الأخرى ريموت التحكم ويقول مهددًا:
- "أصمت ولا تتدخل وإلا..." وهو يهز الريموت.
يرفع (ظلام) يديه باستسلام:
- "أنت الزعيم"

يرجع (ظلام) للخلف ويجلس على أحد مقاعد الصف الأول للمسرح ليتابع ما يحدث بسعادة...

يصعد (ألم) السلالم ليقف فوق المنصة وهو مازال مشهرًا سلاحه ويقف أمام (موت)، ينظر إليه بغضب وعتاب شديد لفترة دون قول أي شيء إلى أن يلاحظ (نورين) التي تقف بجوار أخيه.
(ألم):

- "أتحبها لهذه الدرجة؟! ... أهنالك شيء لن تفعله من أجلها؟!... لقد كنت أظن أنني الخط الأحمر لديك، الخط الذي لم ولن تتجاوزه... أتذكر ما قلته... إخوة إلى النهاية... كان المفروض حماية بعضنا البعض، لقد طعنتني بظهري عندما تركتني دون قول أي شيء... لقد خنتني وبعث أخيك من أجلها..."
يغير تصويب مسدسه من (موت) إليها ولكن (موت) يتحرك بهدوء ويقف

أمامها في صمت...

(ألم) مصدومًا:

- "ألهذه الدرجة!!!... من أجل شخص غريب، تضحي بكل شيء... حتى

حياتك..."

يضع (ألم) إصبعه على الزناد، ويرجعه إلى الخلف، استعدادًا لإطلاق النار على (موت) الذي يقف ثابتًا دون أي حركة أو كلام، فهو يشعر بالخزي منه، ولا يقدر على مواجهته أو حتى قتاله، فهو الشخص الوحيد الذي لم ولن يرفع يديه عليه أبدًا مهما حدث.

يحاول (ألم) استجماع قوته ليطلق النار عليه لكنه لا يقوى على ذلك، فكل ما يراه أمامه ذكرياتهم معا، فهو مازال يراه الطفل الصغير الذي يحتاج لحمايته، يستعيد ذهنه محادثاتهم معا... تدمع عيني (ألم) بشدة ويقف ثابتًا متحدثًا تلك الذكريات ويحاول بشدة أن يضغط على الزناد، لكنه لا يستطيع فعل ذلك، فكيف بإمكانه إطلاق النار على أخيه الذي قضى عمره يحميه من الأذى...

(الأم) تقول من خلال سماعه (ألم):

- "افعلها... افعلها"

لكنه لا يستطيع، فيلقي مسدسه على الأرض وينزع السماعه من أذنه، ويلقيها هي الأخرى... وها هي تحقق شكوك (الأم) وتتأكد أنه ليس لديه الشجاعة لفعل المطلوب، ولهذا لجئت إلى الخطة البديلة.

تقول (الأم) لسماعة (ظلام):

- "اهتم بالأمر"

فيضحك بشدة وبصوت عالي وينهض، فها هي أنت اللحظة التي طالما ما

انتظرها، إثبات من الأقوى بينهما (الموت) أم (الظلام)...
يصعد (ظلام) المنصة ليتقدم نحو (موت)، ويلاحظ (ألم) ذلك، فيلتفت
إليه ويهدده بالريموت ويقول بحزم:
"-توقف وإلا.."

يقف (ظلام) أمامه متحديًا قائلاً ووجهه يكاد يلامس وجه (ألم):
"-افعلها... إذا كان لديك الشجاعة الكافية" مع ابتسامة كبيرة تظهر
أسنانه الحادة...

يضغط (ألم) على الزر دون تردد لكن لا شيء يحدث، فيضغط عليه عدة
مرات ولكن لا يحدث شيء، فقد فصلت (ألم) التحكم بالريموت وأعطت (ظلام)
حريته الكاملة في التصرف.

يكسر (ظلام) الطوق بيديه الاثنتين:
"-أوه... يبدو أن (ألم) تخلت عنك"
يلقي بباقي الطوق بعيدًا. ويترك (ألم) ليتجه نحو هدفه، لكن (ألم) يندفع
إليه ويمسكه من الخلف ويرفعه في الهواء للخلف ليسقطا هما الاثنتين...
يهم (ظلام) بالنهوض، و(ألم) يحاول السيطرة عليه ويكبله وهو يعلم
داخله أن نتيجة المعركة غير معلومة، لهذا يصبح (ألم) ل(موت) و(نورين):
"-أهربوا..."

لكنه لا يريد التحرك من مكانه، فكيف يترك أخيه هكذا حتى أتت
(نورين)، وأمسكت بيده وسحبته ليركضا هما الاثنتين مبتعدين عنهما...
يفلت (ظلام) من قبضة (ألم) ويضربه ضربة تدفعه بعيدًا عنه ويقول
(ظلام):

- "كم أنت طفل سيء... لا تستمع لكلام (الأم).. إذا لابد من معاقبتك"
ثم يضحك، ويتقدم بسرعة نحو (ألم) الذي ينهض بسرعة، ويتقدم
مسرّعاً هو الآخر نحوه.

(ظلام):

- "كم كنت انتظر هذه اللحظة"

يسدد كل منهما لكمة قوية بوجه الآخر، وتبدأ معركة طاحنة وضخمة
للغاية بين هذين الاثنين، تتسم بالتدمير لما حولهما، فالأرضية تتحطم أسفلهما جراء
سقوطهم المتكرر عليها وتيارات الهواء القوية الناشئة من لكمتها المتتالية والمؤلمة
وأصوات العظام التي تنكسر بجسد كل منهما بسبب هذه اللكمات...

كانت المعركة مهولة، لكمت عنيفة وبلا رحمة وتكسير العديد من الأشياء
على جسد كل منهما، والزجاج المكسور الذي يملأ الأرض، إنه قتال مؤلم وعنيف
ولكنه متساوٍ، فلا يوجد أي ملامح لمن سينتصر، فكلما يسقط أحدهما وتظن بأن
الأمر انتهى لهذا الحد، ينهض الساقط متحدياً ألمه ويعود للقتال...

في تلك الأثناء (موت) يركض مع (نورين) إلى أن وصلوا لسيارتهما، وقبل
أن يدخلان السيارة يقف رافضاً ما يفعله ويقول:

- "أنا لا أستطيع... أنا أسف... لابد من أعود إليه... فأنا لا أستطيع خسارته

هو أيضاً... انتظريني بالسيارة"

ثم يتركها بالسيارة مختبئة ويركض مسرعاً ليعود إلى أخيه (ألم)...

يصل إليهما ويجدهما مازالا مستمران بالقتال، يشاهد (موت) (ألم) يسدد
لكمات متتالية دون توقف إلى (ظلام) الذي يأخذها متحدياً الألم إلى أن يضحك
ويمسك يد (ألم) ويوقفها ويقول:

"دوري"، ثم يسدد لكمات سريعة له ويكمل بسعادة: "كم كنت أحلم بقتال كهذا وخصوصًا معك" وهو يضحك ضحك هستيري...
يصد (ألم) ضرباته الأخيرة ثم يمسكه من وسطه ويقول:
"-أنت تتحدث كثيرًا"

ويرفعه في الهواء إلى الخلف كما في المصارعة صادمًا رأس (ظلام) بالأرض قبل جسده، ويسقط (ألم) بجواره. يتحرك (ظلام) على الأرض وهو يتألم بشدة ولكنه سعيد ويضحك. ثم ينهض ببطيء و(ألم) بجواره على الأرض ينهض بسرعة، متأملًا جنونه المخيف...

يستعد (ألم) للدخول في مهاجمة أخرى معه، ولكنه يسمع من خلفه صوت الزجاج يسير عليه شخص، فيستدير ويجد أن (موت) قد عاد وهنا يستغل (ظلام) تشتته، ويأخذ من الأرض بسرعة مأسورة من الحديد مكسورة من إحدى المقاعد ويضرب بها قدم (ألم) التي تنكسر في لحظتها ويسقط على الأرض وتخرق قطعة من عظمة قدمه الجلد. فينحني (ظلام) نحوه ولكنه لا يضربه بل يأخذ قطعة الزجاج التي بجواره ويمسك بها ثم ينظر لعينييه ويقول:
"-ستستمتع بما سوف يحدث"

يلاحظ (ظلام) محاولة يائسة من (ألم) لتسديد ضربة نحوه، فيتفادها بنجاح ويسدد ركلة قوية وشديدة إلى ضلوع (ألم)
يتركه (ظلام) ليتقدم نحو (موت)، ويقول ظلام مخاطبًا (ألم):
"-أريدك أن تشاهد ما سوف أفعله"

ثم يخرج لسانه الطويل للغاية بسعادة ليمسح به شفتيه... لا يتحرك (موت)، واقفًا بمكانه بالمنصة، متجمدًا بسبب الخوف، فمازالت ذكرياته مع (ظلام)

له. ويمهمس (موت) له:

"احتاج منك أن تساعدني... هيا يمكنك فعلها، أرجوك... أفعلمها من أجلي..."

يسير (ألم) معه بصعوبة وببطء مبتعدين عن المسرح، ودماءه تتساقط كبرك منه على الأرض.

يصلًا لبداية مدخل الجراج، ولا يقدر (ألم) على المزيد من السير، فيسقط على الأرض، لكن (موت) يمسك به ويحاول جعله يقف من جديد بقوله:

"لقد اقتربنا... هيا"

"(أنجيل)... لا بأس... لا بأس"

فينظر وينتبه (موت) لبرك الدماء الكبيرة للغاية، ويعلم الحقيقة التي يحاول عقله إنكارها، فيجلس على الأرض مسكًا بـ(ألم)، يحضنه بشدة ولا يتركه، والخوف يتملكه ويقول باكيًا:

"لا تتركني... لا تتركني"

فهو في حالة صدمة ومستمرًا بتكرار هذه الكلمة دون توقف بصوت خافض محمل بالألم والحزن، بنبرة ثابتة تحمل معها الانكسار...

يتحدث (ألم) بصعوبة بالغة وأنفاسه تتقاطع، ناظرًا إلى الفراغ، لا يستطيع التركيز، فهو فقد الكثير من الدماء:

"كل أفعالنا كانت تقود إلى الموت..... كان لدينا الحرية بأن نكون شيء

آخر، لكننا... إنغمرنا بأنفسنا وضعفنا ولم نتمرد... وفي النهاية... لا يوجد سوى الموت... سامحني... يبدو أنني لن أفي بوعدتي لك... ولن أستطيع أن أكون بجوارك بعد
ال..."

يفارق (ألم) الحياة، ويستمر (موت) بتكرار

- "لا تتركني" بصوت منخفض ثم يقترب منه

يستمر بقولها دون توقف، وهو يتأمل وجهه الخالي من الحياة ثم ينظر لعينيه التي مازالت مفتوحة، يلاحظ كمية الدموع التي بها، فينهض بسرعة، ويترك جثمان أخيه كما هو، ويتجه لغرفة ما بالجراج، يأخذ منها منجل كان يستخدم في قص الحشائش ثم يذهب ليعود للمسرح مرة أخرى...

كان في هذه الأثناء وصل باقي الفريق ل(ظلام) وساعده ليعود لوعيه وعندما حاولوا مساعدته على النهوض دفعهم بغضب وقال:

- "ابحثوا عنهم وآتوا بهم لي، مهما كلف الأمر"

ينتشروا أعضاء الفرقة بجميع أنحاء المسرح المفتوح باحثين عنهما... فجأة جميع الأنوار بالمكان انطفأت من قبل (موت)، فهو فصل المفاتيح كلها من غرفة التحكم.

يتقدم (موت) مختفيًا في الظلام، حاملاً المنجل، يذبح كل من يقابله من قوات (الأم) دون رحمة أو تفكير، يسمع الأحياء منهم صرخات الذين يسقطوا قتلى في الظلام، فيبث الرعب بقلوبهم...

تسمع (نورين) تلك الصرخات المدوية، فتفزع وتخرج من السيارة التي كانت تختبئ بها، وتتفحص الجراج وتجد جثمان (ألم) وسط بركة كبيرة من الدماء، تضع يديها على فمها من هول الصدمة ثم تبحث عن (موت) فعقلها يتساءل أي حالة هو بها الآن؟...

(موت) مازال مستمرًا بحصد أرواح الجميع دون توقف، و(ظلام) يزداد توتر لهذا أمر جميع الجنود الباقين بالتجمع حوله، وكان الجنود الباقين أربعة،

والخوف أصبح يملكهم، فالصراخ الصادر من الظلام يربكهم بشدة ويشتت صفوفهم، فلا يوجد أي ضوء بالمكان سوى مصابيح الأسلحة التي يحملها الأحياء والذين سقطوا قتلي، فالغيوم تخفي القمر بتلك الليلة ولا يوجد منه ضوء ينير المسرح...

كلما تقدم (ظلام) والجنود لأماكن الصراخ، يشاهدوا برك من الدماء وجثث مذبوحة العنق...

(ظلام) لمن حوله:

"إنه موجود حولنا... يراقبنا وينتظر فرصته"

يتقدم جميعهم إلى الأمام بهدوء وببطء... فجأة اثنين من الرجال الذين كانوا بالمؤخرة يصرخوا، فيستدير الباقي شاهرين ضوء المصابيح نحوهم، لا يجدوا سوى جثثهم على الأرض، تتحرك لا إرادياً مذبوحة العنق، تخرج منها نافورة من الدماء. فيتملك الاثنين الباقيين الخوف، ويهريا مبتعدين عن (ظلام)، محاولين النجاة من الموت...

يصيح (ظلام) لهم:

"أيها الجبناء... اهربوا... أنا لا أحتاجكم، فأنا كفيل بمواجهة (موت)"

لكنه يقولها وبها نوع من الخوف والتوتر وعندما ابتعدوا عنه، يسمع صراخهما المرعب مما يجعله يتوتر أكثر وأكثر، فيصيح بغضب:

"أنا (ظلام)... أنا من أحيأ به... أنا من يرعب الآخرين... أنا الأقوى... أنت مجرد أضحوكة... أنت ليس لديك القوة أو الإرادة لتغلبني"

ثم يتجه لضوء أحد المصابيح الملقى على الأرض، ويمسك به ويدور حول نفسه بدوائر، لكن لا يسمع أي صوت أو رد من (موت). فيصيح (ظلام) بتوتر

وخوف أكثر:

"أظهر نفسك أيها الجبان... أظن أن الظلام يخيفني... أنت من تخاف

الظلام"

يقول الجزء الأخير وبه نوع من التذبذب والخوف الشديد، لأنه لا يستطيع سماع أي شيء يساعده بتميز مكان (موت) بالظلام، لا يوجد صوت دقات قلب مضطربة أو أنفاس متسارعة، مما يجعل (ظلام) يتوتر، وعندما استدار للخلف بالمصباح وجد أمامه (موت) يقف بصمت...

(ظلام) متفاجأ ومفزوعاً:

"(موت)"

قبل أن يفعل (ظلام) أي شيء، يطعنه (موت) بالمنجل في معدته طعنة عميقة... يدفعه (ظلام) بعيداً عنه بضربة قوية من يده اليسرى، ويسقط (ظلام) بعدها أرضاً والمنجل مازال داخل جسده، فالطعنة سببت جرحاً بالغاً بمعدته ولكنه يتحمل ويخرج المنجل ويلقي به بعيد ويحاول استعادة قوته، لكن الطعنة كانت أقوى مما يتخيل، وهي التي صنعت فرصة متكافئة للقتال مع (موت)، قد تنتهي في صالحه...

ينهض (ظلام) بصعوبة ويتجه ل(موت) الساقط على الأرض وعندما اقترب منه، نهض (موت) بسرعة وسدد لكمة قوية لوجه (ظلام) أفقدته توازنه، وعندما استعاد توازنه ليسدد لكمة انتقامية، يلاحظ اختفائه من أمامه، فيستدير حول نفسه بحثاً عنه لكنه لا يجد له أي أثر، وفجأة ينقض (موت) عليه بركلة من أعلي ثم يختفي بالظلام...

(موت) يتحرك بسرعة وخفة تسبب الخوف، فأنت لا تعلم من أين ستأتي

الضربة التالية، (ظلام) الآن محبوس في دوامة من ضربات (موت)... يفقد (ظلام) هدوءه ويصبح متوتر، ولأول مرة يشعر بالخوف على حياته، لا يعلم كيف يتصرف، فيمسك بأحد الرشاشات الآلية الملقى على الأرض، ويطلق النيران عشوائي في جميع الاتجاهات، وفي لحظات الإضاءة الناتجة من النيران، (موت) يهجم عليه كصقر جراح دون توقف، ويأخذ الرعب بالتصاعد داخل (ظلام) ويقول وهو همس:
"-لا يمكن... لا يمكن... أن تكون نهايتي هنا، على يد (موت)... فأنت أضعف من أن تقف أمامي... أنت لا تستطيع قتلي!!!"

هنا يهجم عليه (موت) ويسقط منه الرشاش وينكسر الكشاف الذي به ويصبح المكان معتم، لا يوجد به أي إضاءة...

يحاول (ظلام) التحرك في الظلام لكن قدميه ترتطم بجثمان أحد الجنود، فيسقط على الأرض... يتحسس الأرض بيديه بحثاً عن هذا الجثمان، محاولاً إيجاد أي مصباح قد يكون حول ذلك الجثمان، يحرك يديه باحثاً عن أي شيء يقوده إلى النور، وأثناء ذلك يمسك بقطع الزجاج المكسور التي تجرح يديه، لكن لا يهمله ذلك، فهو يريد الضوء، يريد أي مصدر للإضاءة، يريد أن يكسر ذلك الظلام ويرى (موت). فيتقدم وهو يزحف على ركبتيه، متحسساً أي شيء على الأرض يساعده بإنارة المكان؛ هنا يمسك بحذاء (موت) الواقف أمامه...

تعود الإضاءة إلى المكان، بواسطة (نورين) التي عثرت للتو على غرفة التحكم، ورفعت مفاتيح الكهرباء بها.

يرفع (ظلام) نظره تدريجياً، يلاحظ قفازات (موت) التي يلتف حولها بشدة سلاسل حديدية ضخمة.

(ظلام):

- "يبدو أن حتى ال(ظلام)... ليس بإمكانه الوقوف في وجه ال(موت)"

ينحني (موت) ويمسك به من ملابسه بيده اليسرى ثم يرفعه، ويضرب وجهه بيده اليمنى لكدمات متتالية بلا توقف بكل قوة، محملة بالغضب والكرهية والألم التي تملأه، متحدياً أي خوف داخله من (ظلام)... تنكسر معظم أسنان (ظلام) الحادة، وتسقط واحدة تلو الأخرى على الأرض حتى يفقد جسد (ظلام) أي قوة ويسقط من يد (موت) على الأرض، مستسلمًا لمصيره المحتوم.

يجلس (موت) فوق جسده ويسدد لكدمات متتالية ببيديه الاثنتين بلا توقف لفترة طويلة حتى انشقت جمجمة (ظلام) وانكسرت السماعة التي بأذنه. لا يهتم (موت) بأنه قد مات، فهو مستمر في تسديد لكدمات لوجه (ظلام)... تتمزق قفازات (موت) بسبب السلاسل وعظم جمجمة (ظلام) أصبحت ذو أطراف مدببة التي تجرح يد (موت) مع كل ضربة، وبرغم ذلك يستمر في الضرب، ولا يتوقف بل هو مستمر بقوة أشد مما مضيت. ويدي (موت) تنجرح وتتأثر بشدة، لكنه لا يشعر بأي شيء، فهو منغمر في الضرب حتى خلت يديه من أي قوة بها، وتأثرت عظام وأعصاب يديه، وأصبح لا يقدر على إحكام قبضته جيداً، وتحولت اللكمات إلى مجرد لمسات لكنه مازال مستمرًا دون توقف أو مبالاة بما حدث ليديه...

تأتي يدين من الخلف تحضنه ليتوقف ويسمع صوت (نورين):

- "لقد انتهى الأمر... لقد انتهى الأمر"

فيتوقف لمهلة ثم يبدأ بالصياح بجنون وفي حالة هستيرية بأعلى ما يتحمله صوته ويتشنج جسده و(نورين) تمسكه بأحكام أكثر وتحاول أن تهدئ من روعه وصراعاته الداخلية التي اشتعلت لأقصاها. لا تعلم (نورين) ما تفعله، فهو في حالة من الجنون لم ترى لها مثيل من قبل، وكانت هذه أول مرة يصرخ بمثل هذه

الشدة في حياته منذ حبسه بالظلام، بل إنها نبرة مختلفة عن أي شيء بحياته، إنها نبرة شخص مجروح فقد أي معني لحياته، شخص أطلق العنان لألمه وأحزانه الدفينة، إنه مثل صراخ نزاع ما قبل الموت، صراخ مفارقة الروح للجسد...

كان (موت) لا يريد التوقف عن ضرب جثمان (ظلام)، لأنه يعلم حينما يتوقف، عليه أن يتعامل مع وفاة أخيه (ألم)، وذلك شيء لا يقوى عليه، وعندما حدث ذلك، خرج كل شيء كتمة داخله طوال حياته، فموت (ألم) كان القشة التي قسمت ظهره، فسرح عقله إلى تاريخه الحزين بأكمله، كيف هجرته والدته لذنب لم يكن له يد به، وموت الطفلة ونظراتها، وكيف حكم عليه القدر بأن يكون السبب في وفاة إخوانه، وجعله يحمل دماءهم على يديه... يديه التي أصبحت محملة الآن بدماء الجميع... يديه التي كانت تمنح السعادة والراحة لأخواته؛ هي نفس اليد التي أخذت أرواحهم...

* * *

في ذلك الوقت (الألم) بعالم غير العالم، فقد تدمر كل شيء كانت تعمل من أجله، فبموت (ظلام)، و(ألم) المنظمة في طريقها الآن للانهييار، فتأمر لأول مرة بمغادرة جميع العاملين من (أوليمبوس)... يرحل الجميع ويتركوها لتذهب هي إلى منزلها ومنه إلى مكتبها الذي تخرج منه زجاجة خمر، تلاحظ أمامها (معاناة) يراقبها من خلف باب المكتب، فتشير له بالاقتراب وتصب له كأس مثلها، وتأمره بالشرب ويستمر ذلك الوضع، كأس بعد كأس حتى أصبح كل منهما في حالة السكر...

تجد (الألم) إنها مازالت تشعر بالألم جراء ذلك الفشل، ولا تستطيع نسيان أن المنظمة التي تقودها، أصبحت على حافة الانهييار، وإنها هي المسؤولة، ومن ستتحمل العواقب، وبذلك تتهار جميع أحلامها بالسيطرة، فتقرر فعل الشيء الذي

كان طالما ما يسعدها، وهو إغواء (معاناة) لقضاء الليلة معها، فلا يوجد أحد آخر تتجه إليه لعمل ذلك معها.

تبدأ (الأم) بفتح آزار قميصها الحريري الأسود الذي ترتديه ببطيء، وتزعه في إغراء، وتظهر الصدرية السوداء المرصعة بقطع من الألماس، وتصعد على المكتب كقطة وتتقدم نحوه، وهو ينظر إليها في حالة من الدهول والثبات. تمسكه من كرافته وتشده نحوها وتبدأ بتقبيله...

في البداية لا يبدو عليه أي مقاومة أو رد فعل، ولكن عندما تزداد القبلة في السخونة، يفقد معها السيطرة على نفسه. ويمسك بها ويرفعها في الهواء، ويجعلها تنام أمامه على المكتب ثم يمزق الصدرية، ويخلع قميصه وملابسه، و(الأم) تخلع التنورة وما بقى من ملابسها حتي أصبحت الاثنتين عرايا تمامًا، وبدأ في مضاجعتها، وعندما رفع عينيه حوله لثواني، لاحظ أن جميع شخصياته الخيالية، تقف حولهما على هيئة دائرة، تتأمل ما يحدث في صدمة، ولا يبالي بذلك وينزل بنظره ل(الأم)، ويستمر بمضاجعتها وكلما استمر تتحول شخصياته الخيالية إلى نفس حالة الضحايا الذين قتلهم، فمن أخذ رصاص في رأسه، تنفتح رأسه وتتساقط الدماء وأجزاء من المخ، ومن تم طعنه في معدته، تخرج أمعائه وتسقط على الأرض، ومن تم ذبح عنقه، ينشق جلد عنقه وتنزل الدماء... إنهم الآن تحولوا جميعًا إلى الطريقة التي تم قتلهم بها، وكلما استمر فيما يفعله، يأخذ جلدهم بالتعفن إلى أن أصبحوا كالموتى الأحياء...

كان (معاناة) في حالة سكر شديدة، مما أدى إلى تسليم نفسه لرغباته الجنسية كرجل، وهذه كانت بداية الانهيار لعالمه الخيالي ودخوله شفق الجنون، فهو الآن أصبح بين صراع الخيال والواقع، فإذا قبل بأنها أمه، فهو ارتكب خطيئة

كبيرة معها وتجعله يتساءل، كيف لأمه ونفسه السماح بحدوث ذلك، وإذا قيل إنها ليست أمه، فعليه أن يتعامل مع من قتلهم، وحقيقة إنه قاتل وملعون، وكلا الأمرين لا يستطيع التعايش معهما، فأصبح منذ تلك الليلة يتخبط بين العالمين، أحياناً يصبح شديد الجدية، وأحياناً يعود إلى طبيعته الطفولية، وكلامه مع شخصياته الخيالية أصبح قليل للغاية، فهو أصبح يخاف منهم بشدة، بسبب أشكالهم التي أصبحوا عليها الآن...

لقد أصبح ملعوناً... فقد امتزج عالمه الخيالي الذي يمنحه الراحة بالواقع المرير وفسد، ولا يمكنه العودة لعالم الواقع وقبوله فهو لا يقدر على مواجهة ما فعله به...

* * *

في هذه الأثناء كان (موت) قد هدأ من حالته الهستيرية قليلاً ويريد أن يمنح الاحترام لجثمان أخيه، فيتجه نحو الجثمان ويحمله بصعوبة بالغة ولا يسمح ل(نورين) بمساعدته مع إنه في أشد الحاجة إليها بسبب جروحه البالغة...

يصل (موت) إلى خارج المسرح المفتوح، يضع جثمان أخيه على الأرض ويذهب نحو كشك الأدوات ويمسك بأحد الجواريف ويبدأ بحفر القبر بجوار قبر حديث الذي يحتوي علي جثمان (خوف)...

(نورين) تعلم مدى جروح يديه البالغة التي لن تمكنه من الحفر، فتحاول شرح ذلك له...

فيصرخ بها لأول مرة:

"ذلك شيء لا بد من أن أفعله... إنه أخي ولن أترك جثته هكذا"

يحاول الإمساك بالجواروف والحفر ولكنه يسقط منه باستمرار وكلما

سقط يعند ويمسكه...

يستمر بالحفر لكن يديه لا تساعد على الحفر بالطريقة السليمة كما المفروض أو حتى غرس الجاروف في بطن الأرض بشدة، يحفر بمعدل بسيط، فيده بالكاد تمسك بالجاروف ولا تقوى على رفعه أو حمل كميات كبيرة من التراب... تتقدم (نورين) وتأخذ جاروف آخر وتبدأ بمساعدته في حفر القبر...

ينظر (موت) لها جزء من الثانية، ولا يعطي أي مشاعر أو اهتمام، ويعود سريعاً لاستكمال الحفر. والحقيقة إنها إذا لم تكن (نورين) فعلت ذلك، لما كان نجح بحفر القبر ولكن مع عناده الشديد كان من الممكن أن ينجح لكن كان ذلك سيؤدى لتدمير أعصاب يديه بالكامل، وفقدانه القدرة على تحريكهما...

ينتهي من دفن (ألم) ثم يدخل المسرح المغلق، يجلس (موت) بعيداً عن البيانو الأبيض، محاولاً تجنب النظر إليه أو الاهتمام بوجوده. تذهب (نورين) لتحضر صندوق الإسعافات حتى تضمد جروحه...

تأتي (نورين) بصندوق الإسعافات وأثناء ضمدها لجروحه ظل صامتاً منشغلاً مع ذهنه ومعاناته. تكتشف (نورين) وهي تضمد جروحه مدى الضرر الذي أصاب أعصاب وعظم يديه، فهي قد دمرت بشكل كبير وبإمكان أي شخص أن يدرك إنه لن يقدر على العزف مرة أخرى أو القيام بأي أنشطة تحتاج لهذا القدر من المجهود، فأنامله ضعيفة بشدة والحقيقة أن ذلك لم يكن شيء غامض بالنسبة له، فهو يعلم بما حدث ليديه، فهو قد تعمد فعل ذلك...

تنتهي من تضميد جروح (موت) الذي ينظر إلى البيانو المتواجد على المسرح ثم يعاود بنظره ليديه المضمدان ويقول:

"الآن هي يدي قاتل... وليست عازف"

ثم يغلق عينيه لفترة حزينًا، لكنه سرعان ما يفتحها عندما سمع عزفًا على البيانو. يشاهد (موت) (نورين) تعزف على البيانو، ولكن هذه المرة كانت نغماتها مختلفة عما قبل، فهي تمتلك جزء ما من طريقة عزفه، فهي الآن تتفهم مصدر ألمه، ولما دائمًا عزفه مخلوطًا بالحزن والألم. تستمر بالعزف ودموعه تتساقط من عينيه، فهو يتذكر حفلاتهم، كلما تأمل المسرح، كيف كان يحمل لحظات فرحهم، وكيف أصبح الآن لا يحمل سوى آلامه ومعاناته...

* * *

السيمفونية الأخيرة سيمفونية الوداع (الموت)

بعد كل ما حدث تحول (موت) إلى شخص آخر، شخص غريب عما كان من قبل، أصبح سريع الغضب والانفعال ممتلئ بالخوف، محملاً بالألم الشديد، كارهًا لنفسه بسبب اللوم اللا متوقف داخله الذي التهمه تدريجيًا، وتحول جزء من هذا اللوم إلى (نورين)، أصبح يلومها، ويحملها جزء من مسؤولية ما حدث. أصبح دائم الشجار معها، وهي تعلم داخلها إن ما يفعله؛ هو مجرد تبعيات صدمة فقدان أخيه، وقد تكون على خطأ، فربما كان السبب تخليه التام عن العزف، الذي طالما ما كان وسيلته للتعبير وتفرغ ما يشعر به...

لا أحد بإمكانه الجزم بما يحدث داخله، حتى هو نفسه، لا يعلم ما أصبح يمتلكه من الداخل، أصبح تائه ومشتت الذهن، لا يبالي كثيرًا بما يحدث حوله، يميل للعزلة والصمت أكثر، ومهمل للغاية في علاجاته حتى تغيير الضمادات، ولولا وجود (نورين) وعنايتها به لأصابه العدوي والتهبت جروحه، وكان للأسف يقابل ما تفعله له بنوع من الجحود.

كان هناك فقط حقيقة واحدة يعلمها كلاهما وهي إن لم يتغلب (موت) على صراعاته الداخلية، فستلهمه كالنار ويفقد نفسه بلا رجعة...

نعود إلى (الأم) التي كانت في ذلك الوقت، ترفع تقارير عما حدث إلى (الأب)، تتضمن قلقها وخوفها من أن المنظمة على وشك الانهيار، لكن (الأب) كان

غير مهتم ولا يبدو عليه الخوف على المنظمة، بل كان يتصرف ببرود شديد، وقد تشعر في بعض الأحيان إنه سعيد بما يحدث، وبما تطورت إليه الأمور، لدرجة إنه أعطي أمر غريب لها، فقد أمرها بالتفكير في طريقة لمعالجة الموقف، وأعطاه الحرية بالتفكير، وإخباره بخطتها عندما تنتهي من وضعها. كان شيء غريب للغاية، وغير مألوف بأن يترك مثل هذه المسؤولية تقع على عنق (الأم)، فهو معروف عنه التدخل وأخذ القيادة، والإتيان بخطط الإنقاذ عندما تسوء الأمور، إنه يتصرف كما لو كان شخص رفع يديه من الأمر تمامًا...

(الأم) بدأت بالتفكير الجاد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المنظمة، ولكن طبيعتها دائمًا ما تسيطر عليها، وهي الرغبة بالانتقام فيمن كان السبب بسقوط المنظمة... المنظمة التي أفنت عمرها من أجلها... المنظمة التي كانت خطوة تجاه أحلامها بالسيطرة، لهذا قررت استخدام سلاحها الأخير (معاناة)، وإرساله لقتل (موت)، وإعادة بناء المنظمة من جديد...

تذهب (الأم) لحجرة (معاناة)، تجده جالسًا بمفرده بمنتصف الغرفة، وألعابه مجمعة وملقاه بجانب الغرفة، شارد الذهن بعالم آخر، فذهنه بعد تلك الليلة أصبح أشد اضطرابًا، فهناك الآن تأكيد لا يحتمل الشك بأن فكرة العائلة مجرد وهم خلقه...

كان كالطفل الذي يريد التحليق في السماء وسط خيالاته لكن تم ربط قدميه بسلاسل الواقع الذي كان يحلم بالهروب منه، فما حدث جعله يواجه ما فعله طوال حياته، الأشياء التي دفنها أسفل عالم الخيال الخاص به تعود للحياة بقوة إليه... العالم الخيالي الذي بناه أصبح يتخبط بالواقع، وسيأتي الوقت الأليم

بأن يواجه ما فعله...

(الأم):

- "بني... بني"

يسمعها ولا يجيبها ولا يلتفت إليها، فهناك جزء كبير منه لا يصدق تلك

الكلمة بعد الآن، فتناديه (الأم) بغضب:

- "معاناة)..."

يلتفت إليها سريعاً:

- "أجل"

ثم ينهض واقفاً كجندي مطيع يستجيب لأمر عسكري لأول مرة بحياته

منذ زمنًا طويلاً.

لا تبالي (الأم) بهذا التغيير، وتقول:

- "أريد منك تنفيذ أمرًا"

- "وأنا تحت أمرك"

- "أريدك أن تقتل (موت)"

فيخرج عن وضعية الجندي، ويعود كما كان من قبل كالطفل. ويقول:

- "أنجيل)..."

تستغرب (الأم) منه وتقول بحزم:

- "موت)"

فهي تريد منه الآن ان يفصل مشاعره عن أخيه (موت)، وأن يكون

الجندي المطيع.

يتحدث أحد الأصوات في أذان (معاناة):

-تقتل أخاك الذي وقف بجوارك... لا يمكن... العائلة لا تقتل بعضها"
ثم يؤكد ذلك الكلام الشخصيات الأخرى الذين يكملوا كلام بعضهم البعض:

"أجل... لا يمكن قتل العائلة... بالتأكيد... فنحن نختلف في الرأي... ولكننا في النهاية عائلة... أجل عائلة وليس لدينا سوى بعضنا البعض"
(معاناة) لا ينظر إليهم، فهو منذ تحويلهم لموتي أحياء، وهو يتجنب النظر إليهم كلما أستطاع.

يتحدث (معاناة) مع (الأم) وهو يتلعثم بالكلام كالطفل:

"أنا... أنا لا... لا... لا أستطع.. يع... فعل..ها"

تشتعل (الأم) غضبًا:

"ماذا تعني؟... أتعصي لي أمرًا؟!"

"أنا أسف" يقولها بحزم شديد

تلاحظ (الأم) بأن الغضب والحزم لا يجدي بأي فائدة معه، لهذا ستلجأ إلى مخاطبته بالطريقة التي طالما ما تنجح معه.
(الأم):

"بني... أنني أفهم مخاوفك... وأجد بأنه لديك حق بالرفض... لهذا

سنتجاهل أمر القتل"

يبتسم (معاناة):

"أحقا ذلك أيها (الأم)؟"

"أجل... فنحن عائلة وكنت أرغب فقط بطريقة تجمعنا مرة أخرى...

فظننت أن الطريقة الوحيدة هي لقاءنا في العالم الآخر"

لكن (معاناة) ينظر متعجبًا من كلامها، لا يفهم ما تقوله، مازال مثلما مضي، غير واعي بحقيقة الموت والعالم الآخر، أحد الأجزاء الأخيرة المتبقية بعالمه الخيالي الذي يتمسك به ليحمي نفسه من المواجهة...
تكمل (الأم):

"لا يجب أن تكون هذه الطريقة الوحيدة... لا يجب أن نموت جميعًا حتى نري بعضنا... فنحن بإمكاننا أن نحيا نحن الباقين بسعادة حتى يحن وقتنا لنجتمع كلنا مرة أخرى؛ لكن كيف ذلك؟!... و(موت) بعيد عنا... لا أستطيع تقبل الفكرة أن يحيا فرد من أسرتنا لوحده... بعيدًا عنا"

"نستطيع التحدث معه... ف(أنجيل) دائمًا ما يستمع لصوت العقل"
- "أوه (معاناة)... لكن أنت تعلم كم هو عنيد وسيرفض ذلك بالتأكيد"
يشعر (معاناة) بالحزن ولا يجد شيء يقوله
(الأم):

"لدي فكرة..."

تضئ عينيه ويقول متلهفًا:

"ما هي؟!... ما هي؟!"

تهمس الأم في أذنه:

"نصيبه بالسم ونجعله يأتي إلينا باحثًا عن الترياق"

يرجع برأسه للخلف قليلًا إلى شخصياته الخيالية التي لم يسمع منهم أي تعليق أو تعقيب على كلام (الأم)... لا يسمع منهم شيء، فيلتفت وينظر إليهم بالرغم من شكلهم الحالي، ليجدهم ينظروا لبعضهم غارقين بالتفكير فيما قد قيل، وبعضهم يحاول استيعاب ما تم قوله، وما النتائج التي يمكن أن تترامح على ذلك...

يتحدث بعضها فجأة:

"-قد تنجح هذه الطريقة..."

يهز الباقي رؤوسهم بالموافقة وبعضهم يقول:

"-أجل المساومة، قد تنجح وتهدئ من عناده"

ينظر (معاناة) لـ(الأم):

"-أجل... أجل لنفعل ذلك"

ثم يهز رأسه بالموافقة سعيدًا وتبتسم (الأم) بخبث وسعادة:

"-أحسننت الاختيار... هيا بنا لنخبر (الأب) بالخبر السعيد"

* * *

تمر أيام وعلاقة (موت) مع (نورين) تزداد تعقيدًا، فالعصبية والغضب

الغير مبرر أصبح زائدًا عن الحد...

تعود (نورين) من الخارج لغرفة الفندق الذي يقيمان به بعد رحيلهما من

المسرح المفتوح وتشاهده جالسًا على المقعد في صمت، فتتجه (نورين) لمشغل

الموسيقى وتخرج أسطوانة اشترتها للتو من حقيبتها وتضعها بالمشغل. كانت

الأسطوانة تحتوي على سوناتا (ضوء القمر)، فذلك اليوم كان الموافق لذكرى أول

مقابلة بينهما، مقابلة البيت الأبيض، اليوم الذي سمعته به عزف (موت) لأول مرة

على البيانو سوناتا (ضوء القمر) التي كانت سببًا بتعارفهما...

يسمع (موت) سوناتا (ضوء القمر)، فيثور غضبًا، فكما هي ذكرى سعيدة

لديها، هي أيضًا ذكرى تذكره بأخيه والوعد الذي قطعه معه.

ينهض (موت) في غضب ويتجه لمشغل الموسيقى وهو يصيح:

"-ماذا تفعلين؟!... ألا يكفيك ما أنا به..."

يمسك بالمشغل، ويشده بقوة تفصل السلك منه ثم يلقيه على الأرض بكل قوته لينكسر ثم يبدأ بتحطيمه أكثر بقدميه بغضب وكرامية شديدة:

- "كفى... كفى... كفى موسيقي... كفى ألم... كفى أوهام سعيدة..."

تقف (نورين) مصدومة من رد الفعل المخيف وتقول:

- "كفاك أنت... ما الذي أصبحته؟"

- "أصبحت ما صنعني المجتمع... وإن كان لا يعجبك ارحلي... فأنا لا أحتاج

لأحد يذكرني بألمي فأنا أحيأ به... أرحلي... فأنا لا أريدك هنا، فأنتِ السبب فيما أنا به الآن"

ثم يعطيها ظهره وتنظر إليه والدموع تملأ عينها ولا تصدق ما تحول إليه
(نورين):

- "إذا كان هذا ما تريد..."

فيشير إليها بيده لتذهب دون حتى أن يستدير إليها، في تلك اللحظة تلاحظ (نورين) نقطة شعاع ليزر حمراء مخترقة زجاج النافذة موجهة لظهر (موت)، فتجري نحوه بسرعة وتمسك به وهي تصيح:

- "أنجيل..."

تنطلق الرصاصة وينكسر الزجاج لينتبه (موت) بعد ما سقط على الأرض بوجود قناص قد أطلق النار للتو... ينهض (موت) ويتجه نحو النافذة ثم ينظر منها بحرص ولا يجد أي وجود لأي شخص ويقول:

- "يبدو إنه قد ذهب"

يلتفت ل(نورين) التي تنهض من على الأرض ببطء وتضع يدها على كتفها وتخرج منه طلقة على شكل حقنة وتنظر له وتقول:

-("أنج...") ثم تسقط على الأرض...

يركض إليها وهو يصرخ في خوف:

-("نورين)..."

يمسكها (موت)، ويرفعها عن الأرض، يحاول التحدث معها لكن دون فائدة، فهي فاقدة الوعي الآن. يلتفت بنظره نحو الطلقة، ويمد يديه ليمسك بها ويفحصها ويعلم إنها سم وإلا لكان القناص استخدم رصاص حي لقتله... ينظر (موت) لها، ويشاهدها تفتح عينها بصعوبة، يبدو عليها التعب والإعياء كأنها بعالم آخر، لا تبالي بما يحدث حولها، فيحملها ويخرج من الغرفة، مسرعاً للسيارة التي يقودها نحو أقرب مستشفى...

* * *

يركن (موت) السيارة أمام باب المستشفى، غير مهتم بتحذيرات رجال الأمن من طريقة الوقوف الخطأ للسيارة، يركض حاملاً (نورين) نحو باب المستشفى الذي يفتحه بعنف، غير مبالي بأنه مطلوب القبض عليه، بسبب إصدار والد (نورين) أمر بالقبض عليه بجميع أنحاء الولايات...

يجري إليهما الممرضين ومعهم عربة الفحص، ويضعها (موت) بالعربة، يأتي إليه طبيباً مسرعاً ليفحص معدل ضربات قلبها، وينظر إلى استجابة عينها بضوء مصباحه المحمول، وهو يستفسر عما حدث لها من (موت).

الطبيب:

-("أخبرني بما حدث")

-("لقد تم أصابتها بهذه، أعتقد إنها تحتوي على نوع ما من السم")

يعطيه الحقنة التي أصابتها، يأخذها الطبيب، ويعطيها لأحد الممرضات

ويقول:

- اذهبي لمعمل السموم وحللي نوع السم المتواجد بها"
تأخذها الممرضة وتذهب بها لإرسالها بطرد مستعجل لمعمل السموم
المتواجد بالولاية...

بعد أن أخبر (موت) الطبيب عما يعرفه لا يبقى له سوى الانتظار، وهنا
يأتي إليه اثنين من رجال الشرطة رافعين أسلحتهم. ويقول أحدهما:
"- ارفع يدك..."

فيرفع يديه ويأتي الاثنين إليه وواحد منهم يحاول وضع الأغلال بيديه،
فيستغل (موت) اللحظة ويجرد الاثنين من أسلحتهم ويفككها ويلقيها بعيدًا ويقول:
"- لن أذهب إلى أي مكان إلا بعد أن اطمئن عليها"

يرحل رجال الشرطة في خوف ويقف (موت) خارج غرفة الفحص، ينظر
للممرضين والأطباء الذين يبدو عليهم القلق مما فعله للتو مع رجال الشرطة،
فيتجه (موت) إليهم ويقول:

- أرجوكم... إنني فقط أريد الاطمئنان عليها وبعدها سأذهب دون مقاومة،
فأنا لا يمكنني الرحيل هكذا دون معرفة إذا كانت ستكون على ما يرام"
يشعر الأطباء والممرضين بصدق كلامه، فهو يتحدث متأثرًا بشدة، فيكملوا
أعمالهم كما لم يكن هناك شيء...

* * *

بعد فترة طويلة من الوقت، يأتي الطبيب المعالج ل(نورين) إليه، ويلاحظ
على وجه الطبيب ملامح القلق، فيتحدث (موت) بسرعة قبل أن يسمح للطبيب
بقول شيء:

- "أرجوك... أخبرني بالحقيقة مهما كلف الأمر"

ينظر الطبيب إليه بحرج وآسف ويقول:

- "الطلقة كانت تحتوي بالفعل على سم قاتل... وبدون الترياق لا يمكننا

فعل شيء... لقد اضطررنا لوضعها في غيبوبة صناعية حتى نؤخر تأثير السم بجسدها"

يهز (موت) رأسه يمينًا ويسارًا متألمًا والدموع تملأ عينيه:

- "أيمكنني رؤيتها؟!"

يفتح الطبيب الباب ويدخله الغرفة ليشاهد (نورين) على السرير في

غيبوبة لا تعي بما حولها... يتقدم (موت) نحوها ويجلس على ركبتيه بجوار السرير ثم يمسك يديها ويقول:

- "أنا أسف... أنا أسف... فأنا الملام على كل شيء"

تنزل الدموع من عينيه ثم يكمل (موت):

- "فقد كان الأمر عبارة عن حلم تمنيته... لكن ذلك الحلم تحول إلى

كابوس... ومن الكابوس تحول إلى واقع... كل جريمتي هي أنني حلمت... إنه باستطاعتي أن أكون إنسان عادي، من حقه أن يحيا في سلام وأن يحيا حياة عادية وأن يحب ويتحب... لكن ذلك لم يكن مقدرًا لي... فطريقي محكوم بما رسم لي من البداية، وبسبب تمردني على قدرتي... أذيت من أحبهم وحملتهم ألم لا يستحقوه، لقد أخذتهم معي في طريق عقابي ومعاناتي..."

ينهض وينظر لوجه (نورين) التي تبدو بخير كما لو كانت في حالة من النوم

العميق ويضع يده على جبهتها ويقول بألم شديد:

- "أني أحمل الموت... لكل من حولي... أخوتي... حي..."

يقف (موت) عن الكلام وينهض ويتراجع خطوة للخلف، يمسح دموعه ويمسح رأسه رافضاً:

- "كلالين أسمح لنفسني بأن أكون موتك... لا بد من أن يتوقف ذلك الأمر... لا مزيد من أرواح مفقودة بسببي... فأنت تستحقين أن تحيي... فهو ليس خطاك دخولك حياتي... فقد كان قدرتي، وقدرتي على أن أتحملة بمفردي"
قبل رحيله من جوارها ينحني ويمس بأذنيها:

- "أنا أسف لأنني جعلتك تحلمين بقصة خيالية... قصة لا أقدر على تحقيقها... لكن دعيني أخبرك بما أقدر عليه... أعدك بأن الأمور سترجع مثلما قبل... وستكونين على ما يرام... هذا وعد مني بذلك، ومهما كلفني الأمر، سأفي بذلك الوعد"
يتجه (موت) لباب الغرفة، وعندما وضع يديه على المقبض، وفتح الباب شاهد (توماس) والد (نورين) أمامه الذي يثور ويغضب، يمسك به من المعطف ويجذبه بشدة وهو يصيح:

- "ماذا فعلت؟... أنظر إلى ما فعلته؟!"

لكنه سرعان ما يتركه عندما شاهد (نورين) بالغيبوبة، فهو يعلم إنه لا فائدة الآن للعتاب، ويتجه للسرير ليكون بجوار ابنته
(توماس):

- "هي كل شيء لدي في حياتي..."

تدمع عيني الوالد الذي لا ينظر لأي شيء آخر سوى وجه ابنته.
(موت):

- "أعدك بأنني سأصلح الأمور"

لا يبالي (توماس) بكلامه، فهو جالساً بجوار ابنته ناظراً إليها بحزن...

يخرج (موت) من الغرفة ويجد رجال العمليات الخاصة شاهرين أسلحتهم نحوه، وكانوا قد سمعوا ما قاله للتولد (توماس).

ينظر إليهم (موت) بتألم وتأثر شديد:

"أرجوكم دعوني أصلح الأمور... فلا يوجد لدي الكثير من الوقت...

وسأسلم نفسي بعدها... أرجوكم... فأنا لا أريد فقدانها هي أيضاً"

يقفوا جميعاً لفترة في صمت دون فعل شيء إلى أن أنزل فجأة رجال

العمليات الخاصة أسلحتهم، طبقاً لأمر من (توماس) من خلال نافذة الملاحظة

الخاصة بالغرفة، فلقد نهض عندما سمع كلمات (موت)، ولم يكن (موت) يعلم

بذلك ولم يبالي لما أنزلوا أسلحتهم، فهو مهتم فقط بعنصر الوقت... يخرج من

المستشفى متجهاً لمنزل (الأم) ليحصل على الترياق...

في تلك الأثناء، (الأم) تلوم وتعاتب (معاناة) على إخفاقه في التصويب،

وتضربه بصفعات قوية على وجهه وهي تقول:

"أنت أحمق ومعاق لا أعلم لما تركتك تعيش، كان لابد من التخلص

منك... عندما علمت أنك معاق ولا فائدة منك"

(معاناة):

"أرجوكم... أنا أسف... أنا سأصحح الأمر وسأفعل ما تريد به أيها (الأم)"

ثم يتفوق مثل الجنين على الأرض.

"أصمت، فأنا ليس لي أبناء حمقى مثلك"

تركه (الأم) وتذهب إلى الشاشة لتبلغ (الأب) بما حدث من تطورات...

(الأم) ل(الأب):

"إنه أحمق، وكان من الخطأ الإبقاء عليه... كان لابد من التخلص منه، إنه أكبر تهديد على المنظمة... ذلك المعتوه الأحمق الذي يتحدث مع نفسه... إنه لا يستحق حتى استنشاق الهواء... فهولا فائدة منه"
يخرج (معاناة) من وضع القوقعة ويضع يديه الاثنتين على وجهه في غضب ويقول:

"اصمتي... اصمتي أيها (الأم)" بغضب واحتقان شديد
تستدير له (الأم):

"أصمت أيها المعتوه، أنت معاق، ولا يوجد أي اندهاش لما تخلوا عنك أهلك وألقوا بك بالملجأ... فأنت فاشل ومعتوه ولا توجد عائلة تريدك حتى الملجأ، ومن كانوا به يكرهوك وتخلوا عنك في أول فرصة"
"أصمتي... أصمتي... فأنت لست أمي"
يصيح بغضب شديد تتجاهله (الأم) وتكمل المحادثة مع (الأب) الذي يستمع بكل هدوء لما يحدث:

"لا أصدق بأن هذه المنظمة ستنتهي على يد شخص معوق ذهنيًا"
هنا ينهض (معاناة)، يمسك بثقالة الورق المتواجدة على المكتب القريب منه وينقض كالوحش الجارح عليها وهو يصيح بكل قوته:
"اصمتي... اصمتي... لما لا تصمتي..."

ويضربها بثقالة الورق بلا توقف و(الأب) يشاهد ذلك دون رد فعل، سوى ابتسامة خفيفة شيطانية قبل أن يكسر (معاناة) الشاشة، ويتجه لتحطيم كل ما في الغرفة بلا توقف كالمجنون، بعد أن قتل (الأم)...

يصل (موت) لمنزل (الأم)، يتقدم نحو الباب الذي يجده مفتوح جزئيًا،
فيدخل المنزل ويلاحظ مدى دمار المكان... يصل إلى باب غرفة (أوليمبوس) الذي
يجده مفتوح، والغرفة لا يوجد بها أي أنوار سوى الضوء الصادر بسبب الشرارات
الناجمة من معدات الاتصال المحطمة وكابلات الكهرباء الممزقة، كلما تقدم داخل
الغرفة لا يجد شيئًا سليمًا بها، فقد تم تحطيمها بالكامل... يلفت نظره بعض أثار
الدماء على الأرض، فيتبعها حتى يجد أمامه جثمان (الأم) موجود على مقعد
بمنتصف الغرفة، وجمجمتها مكسورة، وبجوارها (معاناة) الذي يمشط شعرها،
ليخفي انشقاق الجمجمة، لكن دون فائدة، فالكسرواضح وكبير...
يتحدث (معاناة) مخاطبًا (الأم):

- "أنتِ كما أنتِ... جميلة ولا شيء مختلف... فقط مجرد دماء بسيطة...
بقليل من الماء ستذهب وتختفي... ومع الرعاية ستعودين كما كنتي وأفضل... لا
داعي للكلام فقط احتفظي بقوتك حتى تنهضي بسرعة... سامحيني يا أمي فأنا لم
أقصد فعل ذلك... فأنتِ تعلمين مكانتكِ عندي... فأنتِ وعائلتي تعنون كل شيء لي"
كانت هذه أول مرة (معاناة) يناديها بأمي وكان يحاول إنكار ما فعله، لا
يبالي بما يحدث حوله، لا يشعر بأي شيء فقد وصل الآن لمرحلة الجنون المطلق...
يصيح (معاناة) فجأة وبقوة:

- "أصمتوا... أصمتوا جميعكم، ألا تروا أن أمي مريضة، وتحتاج للراحة
حتى تستعيد قوتها"

ثم يضع يديه على أذنيه ويصيح مجددًا:
- "أصمتوا... أرجوكم اصمتوا... لما لا تصمتوا... إنها بخير ألا تروا... أتوسل
إليكم أن تصمتوا..."

يلاحظ (معاناة) حضور (موت) فيقول له وهو راكعًا ويضع يديه على أذنيه
مغمض عينيه:

"(أنجيل) أجعلهم يصمتون، أرجوك... فأنا لا أقدر على تحمل أصواتهم"
فقد كان يسمع أصوات جميع شخصياته الخيالية التي تقف في دائرة
كبيرة حوله هو و(الأم) والتحلل والعفن بهم ازداد لدرجة مهولة وهم يكررون دون
توقف جملة واحدة:
"-لقد قتلت والدتك"

يتقدم (موت) إلى (معاناة) الذي يبكي ويصيح للأطفال بهستيرية. يضع
(موت) يديه على كتف (معاناة) الذي يتكلم وهو مازال مغمض عينيه ويضع يديه
على أذنيه:

"إنهم لا يريدوا أن يصمتوا... منذ أن تعرضت (الأم) لتلك الوعكة... وذلك
شيء سيء... فلا بد من راحة المريض... لا بد من راحة المريض..."

ثم يفتح عينيه تدريجيًا ويقول وهو يمسك بيد (موت) التي على كتفه:
"-أخبرهم بأنها ستكون على ما يرام... أخبرهم بأن كل شيء بخير"

يجلس (موت) على ركبتيه وينظر له بأسى لما وصل إليه من حال ويقول:
"- (بيتر)... أنا أسف ولكنها ماتت ولا يوجد شيئًا أستطيع فعله"

يبكي (معاناة):

"-ليس أنت أيضًا... لا تصبح مثلهم... فأنت أخي ولا بد بأن تأخذ صفي
وتحميني"

ثم يركع برأسه على الأرض وهو يضع يديه الاثنتين على أذنيه ويبكي ويصدر
أنين مؤلم.

يضع (موت) كلا يديه على كتفيه أخيه ويساعده على رفع رأسه لينظر إليه ويسمعه:

"أنت تعرفني (بيتر)... أنا معك مها كلف الأمر ولن اتخلى عنك"
ينزل (معاناة) يديه بجواره في استسلام وينظر إلى (موت) وعينيه ممتلئة بالدموع وهز رأسه بالموافقة.
(موت):

"(بيتر) أنا أسف لكنني محتاج مساعدتك بشدة، فالوقت ليس في صالحني... فهل ستساعدني؟"
"-أجل، بالتأكيد، فالأخوة لا يتأخروا بمساعدة بعضهم، أليس كذلك يا (أنجيل)؟"

"-أجل (بيتر)، أنني أحتاج معرفة مكان ترياق السم؟"
"- (الأب)... (الأب) هو من لديه الترياق"
"-أعرف مكان (الأب) يا (بيتر)؟"
يهز رأسه بالموافقة قائلاً:
"-إذا أخبرتك، فستفعل لي معروفًا؟"
"-وما هو المعروف؟"

"-أريدك بأن تخلصني من أصواتهم وتمنحني السكينة"
هنا يضع (معاناة) الذي مازال راكعًا على الأرض يده داخل معطفه، ويخرج منه مسدسًا ويقدمه ل(موت) ليأخذه.
(موت) مصدومًا بما يطلبه منه:
"- (بيتر) أأنت مدرك لما تطلبه؟!"

- "أجل" يرد بكل ثقة وهدوء والدموع تملأ عينيه
يمسك (موت) المسدس بصمت وينهض ويقف أمام (معاناة) الذي أخبره
للتو بمكان (الأب). يرفع المسدس ويصوب فوهته نحو رأس (معاناة) الذي مازال
راكعاً على الأرض وينظر لفوهة المسدس ويقول:
-"الآن، دورك"

يغمض (معاناة) عينيه، ويخفض رأسه منتظراً الرصاصة لكن تمر فترة
دون حدوث شيء، فيفتح عينيه، ويجد (موت) ينظر إليه متردداً في الضغط على
الزناد، رافضاً الأمر
(معاناة) وهو يبكي بشدة:

- "لقد اتفقنا... وأنا أخبرتك بما تريد"

(موت) متأثراً:

- "(بيتر) أنا... أنا... لا تخرج المزيد من الكلمات من فمه"

- "لقد قلت أنك لن تتخلي عني... أرجوك... امنحني السكينة... فهي كل ما

أريده... اعطني السكينة، اعطني الراحة"

- "(بيتر)... س... س... سامحني"

يبدأ (موت) بالضغط على الزناد وعندما يري (معاناة) ذلك يبتسم وتضئ

عينيه بالسعادة ويقول بكل هدوء:

- "سنصبح عائلة سعيدة مرة أخرى"

يضغط (موت) على الزناد، وتنطلق الرصاصة مخترقة جمجمة (معاناة)،

وتخرج الرصاصة من الناحية الأخرى، ويسقط ببحر من دمائه تحت قدمي جثمان

(الأم). يقف (موت) متأملاً ذلك المشهد، وكيف أصبح المتسبب في مقتل كل

أخواته...

* * *

يذهب (موت) لغرفة الأسلحة المتواجدة بالمنزل ليستعد للمواجهة الحاسمة، وكانت هذه أول مرة يأخذ معه الأسلحة النارية في مهمة... بعد أن أخذ ما يلزمه وقبل أن يخرج من الغرفة، ذهب، وجلس على الحاسب الآلي الموجود بالغرفة، ودخل من خلاله إلى السيرفر الخاص الذي يرسل منه التقارير ويستقبل منه المعلومات، حمل من السيرفر ملفًا ضخماً يحتوي على كل شيء عن المنظمة، وكل ما فعلته المنظمة، وبه أيضًا مواقع القيادة المهمة للمنظمة، وأرسله في بريد إلكتروني لوالد (نورين)، وليس ذلك فقط بل أرسل له أيضًا لينك السيرفر الخاص بالأرشيف، وبيانات الدخول السرية... بعد أن انتهى مما كان يفعله، يدخل على موقع بنكي خاص به، ويحول جزء كبير من أمواله باسم (ماريا) و(أنجيلا)، والجزء الباقي للملاجئ الأيتام، فقد كانت ثروته كبيرة تقدر بأكثر من ثمانون مليون دولار، فقد كان دائمًا يختلس من المنظمة دون علمها بحجة مصاريف إضافية لعملياته لكنه يستخدم الأموال من أجل إسعاد الآخرين...

ينهض (موت) حتى يرحل، ويذهب إلى (الأب)، وهو في طريقه للخروج يمر بالصدفة على غرفة (معاناة) التي عرفها من خلال الصور الكارتونية المرسومة يدويًا، ومعلقة على الباب التي كانت عبارة عن صور ل(المبدع ستيفن). يدخل الغرفة التي كانت مظلمة للغاية، يضغط على مفتاح الإضاءة، ليجد حائطها مغطاة بصورهم التي كان (معاناة) يأخذها طوال السنوات الماضية، منها صور سرية لم يكن يعرف أحد بوجودها، فهو قد أخذها دون علمهم، ولم يشعر أحد منهم بوجوده خلال لحظة خلوتهم، ك(كراهية) الذي يقف فوق السطح، متأملًا القمر الساطع في

السماء. و(غضب) ترتدي الفستان الأبيض القصير قبل إحدى المهمات، تجلس على البار تمسك بكأسها. و(خوف) يقف أمام قسم كتب العظماء بالمكتبة، بحثاً عن أحد الكتب. و(ظلام) الجالس بالزنزانة مقيد بالسلاسل وسط شعاع طفيف من الضوء، بالكاد يظهر ملامح وجهه، وحتى (موت) الذي كان بإحدى المرات يجلس ليتدرب على البيانو قبل الحفلة. و(ألم) الجالس بالغرفة وحيداً متأملاً اللوحة الزيتية التي أحضرها (موت) له كهدية...

يتأمل كل هذه اللحظات، لحظات كان يعلمها وعاشها معهم، ولحظات أخرى يري من خلالها أخواته بشكل جديد، لم يكن يعلمه، وكلما يدور في الغرفة، يجد المزيد والمزيد، فقد كانت جميع الحيطان مغطاة بالصور وبأحجام مختلفة، لا يوجد بها جزءً فارغاً، فقد كان كولاج* في غاية الجمال، موزع بدرجة عالية من الإحساس والمشاعر، تستطيع أن ترى من خلاله إنسانيتهم الحقيقية. فقد كانت الحيطان محملة بلحظات من السعادة والألم؛ وعندما أتت عينيه لقلب الغرفة، فالصور كانت تقود الناظر إلى صورة واحدة محددة... الصورة الأولى التي أخذها (معاناة) لهم وتدمع عيني (موت) قليلاً وقال:

- "لقد كُنْتُمْ أنتم من تعطون حياتي الأمل، والهدوء، والحب، والبراءة، والسلام وبعد أن ذهبتم وتركتموني وحيداً، أصبحت أحياء مع الخوف والغضب والكراهية والمعاناة والألم... أرجوكم، سامحوني... سامحوني على ما فعلت وعلى ما كان يجب فعله ولم أفعله..."

يخرج من الغرفة ويغلق الباب ورائه متمعداً ترك الإضاءة مشتعلة
بالغرفة...

* الكولاج: (مشتقة من الكلمة الفرنسية *Coller* والتي تعني لصق) هو فن

بصري يعتمد على قص ولصق العديد من المواد معًا، لتكوين شكل ومعني جديد.

يصل (موت) لمبني (الأب) الذي لا يجد عليه أي ملامح لأي نوع من الحراسات أو الحماية، وعندما دخل المبني يزداد قلقه، فالمبني فارغ تمامًا والأبواب مفتوحة، ولا يوجد أثر لأي أحد به. يبحث حوله عن أي دليل يقوده لمكان تواجد الأب، فالمبني إداري ضخم يحتوي على أكثر من مائة طابق، ولا يوجد أي أثر، والمكان مظلم ولا توجد به إضاءة، ولكن فجأة يفتح باب إحدى المصاعد الذي يصبح بمثابة شعاع نور بنهاية طريق مظلم، فيتجه إليه. وعندما دخل (موت) المصعد تم غلق الباب عليه، ينظر للوحة المفاتيح، ويجد أن المفتاح الوحيد المضيء باللوحة هو مفتاح الطابق رقم ١٠٠، فيضغط على مفتاح الطابق رقم ١٠٠...

هنا يسمع صوت شخص صادرًا من سماعات المصعد:

"مرحبًا بك يا بني، أم إنك هنا بصفتك الرسمية أيها ال(موت)، دعني

أعطيك فرصة أخيرة لتقرر بينهما"

يقف المصعد، فيظن (موت) إنه سيجعل المصعد يسقط، فيحاول

الخروج من السقف، ولكن (الأب) يكمل كلامه:

"لا تقلق، فأنا سأعطيك فقط حرية الاختيار"

تضاء مفاتيح المصعد التي على هيئة أسهم تتجه لأعلي وأسفل فقط،

ويكمل كلامه:

"الأسفل يمكنك أن تعود وتهرب بعيدًا يا بني... أما لأعلي ستواجه موتك يا

(موت)"

يتجه (موت) لمفاتيح الأسهم وقبل أن يضغط على أي زر يقول (الأب):

"احترس لأن في الأعلى (حفاري القبور) وهم مدربين على حفر قبور
ل(الأبناء السبعة)... إنهم صمّام الأمان لكم... إنهم من قبضوا على (ظلام) دون أي
خسائر في الأرواح من جانبيهم... إنهم موجودين فقط لأسرّكم أو قتلكم... يعلموا كل
أساليبكم القتالية وطريقة تفكيركم... أكنت تظن أن التقارير والملاحظات من أجل
الدراسة فقط... كلا، بل كانت أيضًا لمعرفة نقاط ضعفكم..."

يضغط (موت) على السهم المتوجه لأعلى دون تردد أو مبالاة لكلامه
وتهديداته، فيقول (الأب):

"حسنًا، ولكن أعلم إنه لا يوجد عودة بعد مواجهة (حفاري القبور)" ثم
يغلق المحادثة.

ينفتح باب المصعد بالطابق ١٠٠ على ممر مظلم، لا يمكنك تمييز أي ملامح
له، فلا يوجد سوى ضوء بسيط ساقط من خلال النوافذ بسبب القمر الذي كان
بدرًا...

يتقدم (موت) في حرص وهدوء، يخرج مسدسه ولا يدري أن شخص ما
يحمل سيفًا قد نزل من سقف المصعد الذي كان به، يتبعه بصمت، ولكن (موت)
شعر به، وهو يستعد لتوجيه ضربة إليه، فأستدار وصد الضربة الأولى بمسدسه،
وأمسك بيده الأخرى اليد التي تمسك بالسيف. يسمع (موت) صوت سحب شيء ما
من جرابه، فيضرب (موت) بسرعة الشخص الذي يمسك به ليدفعه للخلف
بضربة من قدميه ثم يرجع للخلف، متفادي نجوم معدنية ذات أسنان حادة.
يحاول (موت) تحديد ومعرفة أماكن من ألقى هذه النجوم، ولكنه يسمع أصوات
أقدام خلفه، فيستدير بسرعة، وهو يصوب المسدس نحوها لكن الشخص صاحب
الخطوات يضرب المسدس بالسيف، فتنتطلق الطلقة بعيدًا عنه. يشعر (موت)

بوجود شخص ثالث أخر بجواره، فيستدير ليراه يستعد لتوجيه ضربة بسيفه، فيرجع بسرعة للخلف، وبالكاد يتفادى تلك الضربة القوية بفارق شعرة. يتصادم السيف بالأرض ويغرس بها من مدى شدة الضربة ثم يضرب (موت) بإحدى قدميه الشخص الذي غرس سيفه بالأرض، فيسقط للخلف تاركًا سيفه مغروسًا بالأرض. يحاول (موت) الاستدارة بسرعة، ليطلق النار على الشخص الأول الذي نزل ورائه من المصعد، ولكن ذلك الأول يفعل نفس الحركة معه، ويجعل الرصاص تنطلق بعيدة عنه. يستدير (موت) سريعًا، ويمسك بيده الأخرى السيف المغروس، ويخلعه من الأرض، ويحاول بسرعة ضربه بالسيف لكن ذلك الشخص يصدها بسيفه، فيحاول (موت) إطلاق النار عليه، ليأتي الشخص الثاني حاملاً السيف الذي يضرب به مسدس (موت) لتتحرف الرصاص بعيدة عنهما، وتثنئ معركة طاحنة بينه وبين هؤلاء الاثنين، وضربات متتالية وسريعة تسقط على (موت) الذي يستخدم السيف والمسدس لصدها...

إنها معركة سريعة وعنيفة، وبالكاد يستطيع (موت) مجاراة الاثنين، وما زاد الطين بلة، إحساسه المتأخر بعودة الشخص الثالث الذي أتى حاملاً سيفًا جديدًا. ويفشل في الإفلات من ضربة الشخص الثالث، فقد جرحه جرح سطحي بظهره. ويعاني الآن (موت) من مواجهة ثلاثة في وقت واحد، وكانوا من وقت لآخر ينجحوا بإصابته بجروح سطحية. ويحاول بقدر المستطاع الإفلات من ضرباتهم، لكنه ينجح فقط بالرجوع للخلف مسافة بسيطة، تنقذه من ضربة قاتلة، وتتسبب بجرح سطحي.

تصبح الأمور الآن في غاية السوء، ف(موت) يحاول إيجاد طريقة أو ثغرة للتغلب على هؤلاء الثلاثة، ودعنا لا ننسى قلق وهم (موت) الذي يشغل باله، فهو لا

يعلم كم عدد (حفاري القبور) وهل هم هؤلاء الثلاثة فقط أم هناك أكثر، وأن كانوا هناك أكثر، فأماكنهم بالغرفة ووقت تدخلهم بالمعركة غير معلوم، لا يعلم إنهم وضعوا خطة خاصة للتعامل معه، وهي التآني والهدوء عند قتاله، فالأعداد الكثير قد ينتج عنها فجوات تسمح له بقلب سير المعركة. كان ذهنه محملاً بأشياء كثيرة، يحاول إيجاد حلاً قبل أن تَفَاقَمَ الأمور أكثر، ولأول مرة بحياته يشعر إنه قد لا ينجح في الخروج من هذا على قيد الحياة...

يريد (موت) طرد الأفكار السلبية من عقله، ووهم نفسه بأنه المسيطر لكنه لا يصدق نفسه، فهم أكثر سرعة ومهارة منه، ويعلموا جميع حركاته واستراتيجيته، وجسده الآن يحمل جروح كثيرة جراء ضربات سيفهم، أجل هي سطحية لكن كثرتها سيئة وأثرت على لياقته الجسدية، وقريباً ستصبح حركته بطيئة للدرجة التي ستسمح لهم بتسديد ضربات قاتلة...

يتعمد (موت) ترك مسافة بينه وبين الثلاث، ثم يبدأ بإطلاق النيران بشكل عشوائي. لا يفهم أحد من الثلاثة لما يفعل ذلك، ثم يطلق (موت) النيران على سيوفهم الصلبة التي تتحمل تلك النيران ولا تنكسر. لا يفهم أي أحد منهم ما يفعله، لذلك لا يهتموا ويختاروا الاستمرار بالقتال...

يتقهقر (موت) بظهره، متجهاً لأماكن محددة بالغرفة، وعندما وصل لنقطة محددة، استدار بسرعة وبدأ بالهجوم خلفه بالسيف، ثم يلتفت (موت) لأحد الثلاثة، منتظراً اللحظة المناسبة ليتفادى ضربته التي تصدم بصندوق الكهرباء المتواجد بالحائط، ويحدث بسبب ذلك ماس كهربائي كبير يموت بسببه ذلك الشخص، ليلاحظ الباقي وجود جثتان لاثنتين آخرين من (حفاري القبور) على الأرض، فيتوقفوا الاثنتين اللذان يهاجمان (موت) لبرهة من الزمن، متفاجئين مما

حدث للتو، لكن (موت) لا يقف، فيطلق خمسة أعيرة نارية بسرعة لكنها لا تصيب أي أحد من الاثنين الذين يقفوا أمامه، ومازالوا حتى الآن لا يستوعبوا ما يفعله (موت)...

الحقيقة أن (موت) كان أذكي مما توقعوا، فقد استغل في البداية، الضوء البسيط الناتج من إطلاق النيران العشوائي لتحديد أبعاد الغرفة، وساعده على تأكيد الأبعاد صوت ارتطام الرصاص بالحائط، وعندما علم الأبعاد، أراد إضاءة أكبر لتحديد مكان (حفاري القبور) الآخرين بالغرفة، لهذا أتجه لاثنين محددين بالغرفة، الذين يقفوا بجوار صندوق الكهرباء، وتعتمد الاتجاه إليهما بظهره حتى لا يثير شكوكهما، ولا يأخذوا حذرهما مما سيفعله، كان كل شيء مخطط بعناية حتى إطلاق الأعيرة النارية الخمسة، لم تكن هباء بل كانت نحو هدف محدد، وهو خمسة أشخاص آخرين مختبئين بالغرفة، الذين عرف أماكنهم من خلال الماس الكهربائي الذي أضء جزء كبير من الغرفة. وكل ذلك ساهم في معرفته بعدد فرقة (حفاري القبور) بالغرفة، الذين كانوا ثلاثة عشر، ثلاثة منهم يهاجموه، وعشرة مختبئين منتظرين الوقت المناسب، وقد قتل (موت) واحد من الثلاثة الذين يهاجموه، واثنين عندما استدار فجأة وهجم بالسيف خلفه، وخمسة بالأعيرة النارية. كانت استراتيجية (موت) ذكية للغاية، تعتمد على قتل أكبر عدد من المختبئين، فهو يعلم أماكن من أمامه، ويعلم أن الخطر الأكبر سيأتي من المختبئين، الذين أصبح عددهم الآن ثلاثة...

تبدأ المعركة بأخذ منحني جديد، فقد أستطاع (موت) من خلال قتله لسبعة من (حفاري القبور)، إثارة الخوف والارتباك في صفوفهم، مما أدى لتغير استراتيجية هجومهم تمامًا، فقد أنضم الآن الثلاثة المختبئين للاثنين الذين

يوجهاهم، وأصبحوا يريدون الآن القضاء عليه بأسرع وقت ممكن، وعدم منحه أي ثغرات أخرى يستغلها، وهذا ما كان يأمل (موت) بحدوثه، فالسرعة نتج عنها فجوات وأخطاء من جانبهم، وأستطاع (موت) من خلال هذه الفجوات، جرح الخمس مثلما جرحوه.

المعركة أصبحت دموية لأبعد الحدود، والدماء تنتشر وتسقط من الجميع، فالضربات متتالية بينهم، وبعضها يتم صدها وبعضها تصيبهم إصابات سطحية التي تتسبب بالنزف، ومع ذلك القتال مستمر وبتركيز عالي...

إنها معركة شديدة التوتر والخطورة، فلا أحد يعلم من سيكون الرابع. يعلم (موت) الحقيقة المؤلمة إنه لا توجد لديه فرصة لتسديد ضربة قاتلة لأي أحد منهم، وبالمثل هم أيضاً، فجميعهم لا يسمحوا بوجود تلك الهفوة، لهذا قرر فعل الغير متوقع. استخدم (موت) سيفه ليعكس ضربة أحد (حفاري القبور) تجاه شخص منهم، وهذه كانت خطته، عدم صد ضرب سيوفهم ومحاولة عكسها تجاههم، ونجحت بالفعل هذه الخطة، فقد عكس ضرب سيفان منهم لتطعن أحدهم، ويقفوا هؤلاء الاثنتين مذهولين، وهم ينظروا لزميلهم المطعون بسببهما. وأصبح (موت) الآن أمامه اثنتين، فسمح لأحدهما بطعنه بمنطقة غير قاتلة بجسده، ليجمد حركة سيفه وعكس ضربة السيف القادمة من الشخص الثاني تجاه الشخص الذي طعنه، ثم استخدم (موت) مسدسه لإطلاق النار على كل منهم بسرعة في الرأس، ليسقط كل منهما على الأرض، ويبقى السيف داخل جسده. يتلفت (موت) للاثنين الآخرين، الذين يخرج كل منهما سيفه من جسد الثالث الذي مات في الحال من الطعنتين، ثم يتقدموا الاثنتين نحوه بسرعة، يطلق آخر ثلاث رصاصات بالمسدس على أحدهم، فيصدها بسيفه ويسبب ذلك تأخر في التقدم

نحوه. فيأتي الثاني مسرعًا بضربة سيف موجهة نحو (موت)، الذي يصدها بنجاح بسيفه، يترك المسدس من يديه بسرعة، ويخرج السيف المطعون بجسده، ويقطع به عنق (حفاري القبور) الذي أمامه. هنا يتقدم بسرعة آخر (حفاري القبور) الذي أخره (موت) بالرصاص. يحاول (موت) صد الضربة لكنه ينجح فقط بتغيير اتجاهها ليخترق السيف كتفه الأيسر. يتحمل ألمه، ويسدد بسيفه ضربة نحو عنق (حفاري القبور)، الذي يرجع للخلف متفادي الضربة، وخلال رجوعه للخلف سحب السيف من كتف (موت)، وفي تلك الثانية وجه (موت) ضربة سريعة نحو معدة (حفاري القبور)، التي لا ينجح بتفاديها، فيقف قليلاً من الوقت، دون أن يبدو شيء عليه إلى أن تنفتح معدته، وتتساقط منها معظم أمعائه على الأرض. يحاول تسديد ضربة يائسة لـ(موت) بالسيف، لكن الإصابة شديدة مما سهل بشدة على (موت) صدها بسيفه، وبالسيف الأخر نحر عنقه. يستدير (موت) وينحني، ويترك السيوف على الأرض، ليمسك بمسدسه ويضع به الذخيرة...

ينهض (موت) حاملاً مسدسه، يشعر ببعض من الدوار والتعب، فيتقدم بخطوات غير متزنة نحو الباب الوحيد بالغرفة. لا يعلم لما يشعر بذلك التعب والدوار الشديد، فذلك غير مألوف بالنسبة له، فأثناء تدريبه بـ(جنة عدن) تعرض لمثل هذه الجروح، ولم يشعر بمثل هذا التعب والدوار الشديد...

يحارب كل ما يشعر به من تعب ودوار غير مبررة، ويفتح الباب ويتقدم للأمام، ليجد شخص يقف أمام النافذة الضخمة، معطيًا ظهره يقول:

- "إدًا لقد اخترت المضي بالطريق لنهايتها، أحسنت"

يتقدم (موت) الذي يبدو عليه التعب واضح بشدة، وهو مثقلًا بخطواته

نحو الشخص الغامض الذي يكمل كلامه:

"لكن دعني أولاً أقول... مرحباً أيها (موت)" يقول الجزء الأخير وهو

يستدير نحوه.

يتعرف (موت) علي الشخص، فهو من قابله في احتفالية تنصيب والد
(نورين)؛ إنه (أدم كلود) صاحب أكبر شركة أسلحة بالعالم.

(موت) متفاجأ:

"أنت (الأب)!!"

لكنه لا يبالي بكلام (موت) ويكمل حديثه:

"العالم في أشد الحاجة لمن يكمل طريقه مهما كانت التحديات، فالعالم

أصبح مكان مثير للشفقة ولا بد من إعادة تغييره وتشكيله"

ثم يتجه لمقعد مكتبه ويجلس عليه:

"لقد أخذت مرحلة (الأبناء السبعة) كثير من الوقت، وقد أدت دورها

المطلوب على أكمل وجه؛ لكن كل ذلك لا يهم الآن، حان الوقت... لبدء المرحلة
الآخيرة"

"المرحلة الأخيرة؟!"

"أعتقد بأن كل ما حدث لكم كان محل الصدفة، كلا... بل كان كل شيء

مرتب ومدروس بعناية فائقة حتى عملية القتل الأولى لم تكن عشوائية... فقد تم

اختيار كل هدف بدقة وعناية حتى تتخلصوا من عيوبكم التي تمنعكم من التقدم

المطلوب... أجل، بعضكم لم يستطع التعامل مع ذلك... وسبب نوع من الخلل

النفسي لديكم ولكن أنت... أنت من كان الرهان الأكبر عليك، لقد تم اختيارك أنت؛

أن تكون ال(موت) قاهر الجميع، وكان عليك أن تثبت أنك الأقوى والأفضل... ولقد

نجحت بتفوق في اختبار (حفاري القبور) وأثبت لي أنك جدير بحمل اسم ال(موت)"

ينصدم (موت) من كلماته

يكمل (الأب):

"-(الأبناء السبعة) ما كانت إلا مجرد تجربة لإيجاد من يستحق قيادة

التغيير الذي سيقودنا لعالم جديد..."

يفتح (الأب) أحد أدراج المكتب:

"-الآن الاختبار الأخير، حتى تأخذ مكانك بجواري ك(حاصد الأرواح)"

ثم يخرج زجاجة ويضعها على المكتب ويكمل حديثه:

"-الجرعة الأخيرة والمتبقية من الترياق؛ تكفي لإنقاذ شخص واحد فقط..."

أتعلمّ لما لشخص واحد... لأنك أنت والفتاة تحملان نفس السم في دمائكم..."

يلاحظ (الأب) الدهشة على وجه (موت) الذي أدرك الآن لما يشعر بالدوار

والتعب، فهذه السيوف لم تكن سيوف عادية بل كانت تحمل نفس السم..."

يكمل (الأب):

"-لقد كنت دائماً مقاتل من أجل النجاة... وحين الوقت لإثبات ذلك،

أثبت لي، أنك تخلّيت عن المشاعر التي تدفعنا للخلف؛ أثبت لي أنك (حاصد

الأرواح)"

ينظر إليه (موت) دون تردد ويرفع مسدسه ويصوبه نحوه، لكنه يبتسم

ويمد يديه بهدوء أسفل المكتب ويضغط على زر دون أن يدرك (موت) ما فعله

(الأب) للتو

(موت) وهو يستعد للضغط على الزناد:

"-اسمي (أنجيل)"

هنا يتنزع المسدس بشدة من يده قبل حتى أن يتمكن من الضغط على

الزناد ويلتصق بالحائط وبالمثل جميع الأسلحة التي يحملها تنسحب بشدة من أسفل معطفه وتلتصق بالحائط هي وأي شيء معدن معه...
(الأب):

"حوائط مغناطيسية" والابتسامة تملو وجهه
ينهض (الأب) ويخلع جاكيت البدلة بهدوء، ويضعها على المقعد:
"الناس تظن أنني شخص ولد غني؛ ولدت وفي في معلقة من الذهب،
ولا يعلموا أنني من أولاد الضواحي وحاربت وقاتلت الكثير لأصل إلى ما أنا عليه
الآن..."

ينظر (الأب) للساعة المعلقة على الحائط:
"-جرعات السم المكثفة في السيوف... لا بد من إنها الآن بدمائك وقريبة
بشدة من قلبك..."

(موت) يقف بصعوبة على قدميه، يشعر بأن الرؤية أصبحت ضبابية،
ويتنفس بصعوبة، ويبدأ (الأب) بفك أسوار القميص ويثنيها لأعلي، ويستعد للقتال
(الأب):

"ستكون معركة قصيرة"
يحاول (موت) تملك نفسه ليحارب كل ما به من تعب، ويأخذ وضع
الاستعداد. هنا ينقض عليه (الأب) بلكمة يصدها (موت) في البداية، لكنه لا يقوى
على إيقافها، فجسده ضعيف من تأثير السم، فيسقط على الأرض
(الأب):

"يا للعار بعد كل هذه التقارير والدراسات... يكون (موت) بهذا الضعف"
ينحني (الأب)، ويمسك به من الخلف، ويخنقه ثم يكمل كلامه:

"يبدو إنها ستكون معركة أقصر مما تخيلت"
لا يستطيع (موت) الهروب من المسكة، ويبدأ بالمعاناة في التنفس، ويكمل
(الأب):

"لا تقلق، فسينتهي الأمر أسرع مما تتخيل"
عندما أوشك (موت) على فقدان الوعي واستسلامه للوضع، أغلق عينيه،
فمرت حياته أمامه لحظة بلحظة، لحظة موت الفتاة الصغيرة، ولحظات موت
أخواته، ولحظات سعادة متقطعة مع (نورين)، وكاد أن يطلق آخر نفس لديه حتى
أتت لحظة الوعد الذي أعطاه لها بالمستشفى...
ينهض (موت) فجأة، رافعاً (الأب) معه الذي يمسك برقبته من الخلف، ثم
يقفز في الهواء، ويسقط على ظهره... يأخذ (الأب) تأثير صدمة السقوط كلها، ثم
يستدير (موت) بسرعة، ويمسك بـ(الأب) من الخلف، ويغلق يديه بقوة على رقبته،
(موت) يحاول استدعاء كل ما لديه من قوة وإرادة لأحكام المسكة، ليضمن عدم
إفلاته منها

(الأب) بصعوبة وتقطيع في الكلام:

"فكر في كل القوة والنفوذ التي ستخسرهما"
"-لقد خسرت كل شيء مهم في حياتي، ولن أسمح بأن أخسرها هي أيضاً"
يكسر (موت) عنق (الأب) وينهض بصعوبة متجهًا للمكتب، ولا يمسك
بزجاجة الترياق بل يأخذ ورقة، ويبدأ بالكتابة عليها، وتلطح بدمائه بسبب كثرة
الجروح التي يحملها جسده. وبمجرد أن انتهى من الكتابة، ثني الورقة وأخذها هي
وزجاجة الترياق، وأتجه نحو معطف أسود ثقيل وطويل موجود بجوار مكتب
(الأب)، وارتداه ليخفي به جروحه والدماء التي تغطي ملابسه الممزقة، ووضع

الورقة والترياق بجيب المعطف، وخرج مسرعًا من المكتب متجهًا نحو المستشفى...

يدخل (موت) المستشفى وهو يترنح يمينًا ويسارًا بعدم تركيز، يحاول استجماع قوته والسير نحو غرفة (نورين)، لكنه لا يقوى على ذلك، فيضع يده على الحائط ليستند عليه، ويساعده للوصول للغرفة... يصل بصعوبة للغرفة ولكنه لا يقوى على الاستمرار بالسير، فيستند بظهره على الحائط، ويشير لإحدى الممرضات التي تأتي إليه، يضع يده بجيبه بصعوبة، ويخرج منها الرسالة والترياق، ويستجمع كل ما به ليبدو بخير أمام الممرضة التي يقول لها مرهفًا بشدة:

"الترياق... ها هو... وعندما تفق... أعطيها... تلك... تلك... الرسالة"

الممرضة:

"حسنًا"

تنظر الممرضة إليه بقلق، فهو يبدو عليه التعب والإرهاق الشديد

(موت):

"ماذا تنتظري؟! اذهبي وأعطيها الترياق... أرجوك، فلا يوجد الكثير من

الوقت"

تأخذها الممرضة، وتعطي للطبيب المرافق الترياق الذي بدوره يجهز الحقنة ليحقنها بها، ويقف (موت) بنفس مكانه دون أي حركة، مستند على الحائط، متابعا بنظرة الطبيب و(نورين) من خلال نافذة المتابعة الخاصة بغرفتها، يحاول بقدر المستطاع البقاء في العالم أكبر فترة، يحارب نداء الموت له، فروحه ترفض الرحيل عن هذا العالم قبل الاطمئنان عليها. كانت إرادته قوية للغاية، لأن

أي شخص آخر بمكانه لاستسلم لوهن جسده، ولكنه يحارب بكل قوته حاصدوا الأرواح، ليحفظ على وعده لها، وهو أن يتأكد بأنها بخير.

تفتح (نورين) عينها ويلاحظ (موت) ذلك، يبتسم بكل سعادة وفرحة، وهنا وفي تلك اللحظة، ترحل روحه عن جسده الذي يسقط ببطء مرتكزاً على الحائط، تاركاً أثر كبير من دماءه، تلتخ الحائط كلما يسقط مقترناً من الأرض، فقد كانت جروحه شديدة للغاية، استمرت بالتزيف من أسفل معطفه الطويل الأسود الداكن، حتى أمتلأ بدمائه الممتزج بالسم، الذي كان له النصيب الأكبر في أخذ روحه.

تركض الممرضات والأطباء تجاه جثمان (موت) المتواجد على الأرض، وينادوا على الآخرين لإحضار عربة الإنعاش. ويأتوا بها ويمزقوا الأطباء ملابسه، وبدأوا بصعق جسده بالصدمة الكهربائية لكن دون نتيجة، فيضطر الطبيب لإعلان وقت الوفاة...

تلاحظ (نورين) التوتر والأصوات التي خارج غرفتها، وتحاول رؤية ما يحدث وهي راقدة على السرير، فهي لا تقوى على النهوض ولا يمكنها رؤية ما يحدث، فينهض (توماس) بنفسه ليخرج من الغرفة ليستعلم عما يحدث، ويجد أمامه جثمان (موت) ملقى بالممر مفارقاً الحياة، فيقف أمامه في حالة من الصدمة...

تتجه الممرضة نحو (توماس)، وتسلمه الرسالة المكتوب عليها أسم (نورين)، فينظر للرسالة ثم ينظر لجسد (موت) الذي لا يخلو مكاناً به من جروح وطعنات، فيعلم مدى التضحية التي قدمها من أجل ابنته...

يدخل (توماس) الغرفة ووجهه لا يخلو من ملامح الحزن والندم، فهو يعلم إنه ظلم (موت) وإنه كان بالفعل يحب ابنته، وعندما سقطت عيني (توماس) على

وجه (نورين) التي تنظر هي الأخرى إليه، نظر بعيدًا عنها في حزن وصمت لفترة، فهو لا يعلم كيف يبلغها ما حدث، حتى كسرت (نورين) ذلك الصمت لشعورها بأن شيء سيء للغاية قد حدث للتو بقولها:

"أبي، ماذا حدث؟"

"(نورين)... أنا... أسف... (أنجيل)... وهو ممسك بالرسالة يرفعها بتردد

وخوف.

"كلا... كلا..."

فقد شعرت (نورين) بما كان والدها يحاول قوله، ولم تكن في حاجة لسماع ذلك، فهي شعرت بداخلها برحيل جزء منها من هذا العالم بلا عودة، وتدخل في نوبة من البكاء الهستيري. يتقدم والدها نحوها بسرعة ويحضنها محاولاً التخفيف عنها وعندما تمسك (نورين) يد والدها تشعر بالرسالة التي يتركها من قبضة يده، لتصبح هي من تمسك بالرسالة الآن، تستمر بالبكاء وهي ممسكة بالرسالة دون أن تقرأها حتى تخلد إلى النوم من تعب كثرة البكاء...

تستيقظ (نورين) بمنتصف الفجر مفزوعة، متمنية أن يكون كل ما حدث مجرد حلم سيء، لكنها تلاحظ وجود والدها نائمًا على الأريكة، وإنما في غرفة بالمستشفى، فتبدأ بالبكاء مرة أخرى. تضغط على يديها بشدة، فتشعر بالرسالة التي مازالت بيدها، فتتأمل إليها وتفتحها لتجد كثيرًا من الدماء، قد لطح الرسالة التي كان مكتوب بها الآتي:

"أتذكري عندما قلت لي بأن كل شخص لابد من أن يكون له نهاية سعيدة، لقد كنت على صواب؛ فالنهاية السعيدة التي أرادها أخي... أن أجد السعادة وراحة

البال، والنهاية السعيدة التي تحلمين بها دائماً؛ حق كل شخص بنهاية سعيدة...

أما نهايتي أنا السعيدة هي أن تحيي

لتعلمي دائماً بأن وجودك يخلق بي حب الحياة وأنت الحياة التي أحبها

تساقط دموعها كالمطر على الرسالة، وتختلط بدماء (موت) ثم تستلقي على جانبها بالسرير وهي تبكي، تغلق عينها، وتخلد تدريجياً إلى النوم، محتضنة الرسالة بشدة...

* * *

يمر أسبوع، وتملاً أخبار سقوط المنظمة وإمبراطورية (الأب) الجرائد وشاشات التلفزيون، وكيف أستطاع مكتب التحقيقات الفيدرالية تفكيك أي أثر باقي لها بسبب البريد الإلكتروني الذي أرسله (موت) لـ(توماس)، وأشاد مكتب التحقيقات بمدى أهمية دور (موت) بإسقاطها الذي كان لولاه لما نجحوا بذلك، وتم نشر كل ما وصل إليه مكتب التحقيقات بالجرائد حتى البيانات التي حصل عليها من سيرفر (الأبناء السبعة)، والأرشيف الذي كان يحتوي على صور خاصة بجميع الأطفال المختارين وملفاتهم التي تحتوي على شهادات ميلادهم الأصلية، وأيضاً صور (الأبناء السبعة) الحديثة، وكيف أن حملة (العلاج من حق الجميع) كانت مجرد كذب وواجهة لخبايا شركات الأدوية. تم القبض على المسؤولين، وعمل أكبر عملية تطهير للفساد في التاريخ، فالملفات كان بها المتورطين مع المنظمة من الحكومات المختلفة حول العالم والخدمات التي قدمتها المنظمة لهم...

* * *

كانت (ماريا) بعدما ابتعدت عن الخمر، وعادت بحياتها لمجراها الصحيح، تتناول الإفطار وتتابع الأخبار بالتلفزيون، وشاهدت صور (موت) وهو

طفل رضيع بجوار صورته وهو جثة هامدة بالمستشفى. فتنهار وتبكي بحرقه وتدفع بكل شيء موجود أمامها على الطاولة بجنون، فهي عرفت الحقيقة، عرفت من هو الشخص الغامض، عرفت من هو (موت)، الذي ما كان إلا أبها الذي تخلت عنه أملاً في حصوله على السعادة... السعادة التي لم يحصل عليها، فتتعالى صيحاتها الجنونية، لتأتي (أنجيلا) إليها مسرعة وتحضنها محاولة تهدئتها، لكنها لا تفلح، فهي أيضاً قد علمت ما عرفته (ماريا)، فهي قد قرأت الأخبار منذ فترة، ولم تعرف كيف تخبرها بالأمر...

تتساقط دموع (أنجيلا) وهي تحضن (ماريا):

- "كل شيء سيكون على ما يرام، كل شيء سيكون على ما يرام... أنا معك

ولن أتركك أبدا"

تحضن (ماريا) (أنجيلا) بشدة، ويبكي كلاهما بقهر وحزن شديد، فكلاهما يكذب على نفسه بوهم أن كل شيء سيكون على ما يرام، وهما يعلمتا داخلهما أن الأمور تغيرت للأبد، والحزن أصبح محفور داخلهم أشد مما كان من قبل...

* * *

في تلك الأثناء، تقف (نورين) مرتدية فستان أسود بالمسرح المفتوح، أمام قبر (ألم) والدموع تملأ عينيها، تحمل بيديها وعاء يحتوي على رماد (موت) الذي تفتحه، وتنثره فوق قبر (ألم) بالمسرح المفتوح...

فهي تعلم داخلها بأن هذا ما كان يريده (موت)؛ أن يكون مع أخيه (ألم) بمثواه الأخير...

في المكان الذي عرفوا به معنى السعادة...

تمت

في المكان الذي افترقوا به...